

الإصدار: 59

أحاديث الشعر والشعراء

(رؤية حضارية)

د. الحسين زروق

إسهام

يهدى ولا يباع



أحاديث الشعر والشعراء
رؤية حضارية

د. الحسين زروق

الإصدار: 59 (نوفمبر 2012م / ذو الحجة 1433هـ)

الإخراج الفني : محمود محمد أبو الفضل

د. الحسين زروق

من مواليد المغرب، حاصل على الدكتوراه في الآداب، عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

له مؤلفات عديدة ، منها: «قضايا الإعجاز في نصوص القرن الأول الهجري»، و«أمثال الخلفاء الراشدين: جمع وتوثيق»، و«الحوار منهج حياة»،إضافة إلى مجموعات قصصية منها:«الخيل والليل» ، و«صريم»، و«السالك»، و«أبراج».



نهــر متعــدد ... متجــدد

مشروع فكري وثقافي وأدبي يهدف إلى الإسهام النوعي في إثراء المحيط الفكري والأدبي والثقافي بإصدارات دورية وبرامج تدريبية وفق رؤية وسطية تدرك الواقع وتستشرف المستقبل.



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

قطاع الشؤون الثقافية

إدارة الثقافة الإسلامية

ص.ب: 13 الصفاة – رمز بريدي: 13001 دولة الكويت

الهاتف: 22487310 (965+) – فاكس: 22445465 (965+)

نقال: 99255322 (965+)

البريد الإلكتروني: rawafed@islam.gov.kw

موقع «روافد»: www.islam.gov.kw/rawafed

تم طبع هذا الكتاب في هذه السلسلة للمرة الأولى،

ولا يجوز إعادة طبعه أو طبع أجزاء منه بأية وسيلة إلكترونية أو غير

ذلك إلا بعد الحصول على موافقة خطية من الناشر

الطبعة الأولى - دولة الكويت

نوفمبر 2012 م / ذو الحجة 1433هـ

الآراء المنشورة في هذه السلسلة لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة

كافة الحقوق محفوظة للناشر

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

الموقع الإلكتروني: www.islam.gov.kw

رقم الإيداع مركز المعلومات : 19 / 2012

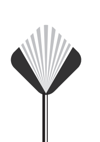
تم الحفظ والتسجيل بمكتبة الكويت الوطنية

رقم الإيداع: 2012 / 082

ردمك: 978-99966-50-35-2

فهرس المحتويات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



تصدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

دارَ جدَلٌ واسِعٌ حول موقف الإسلام من الشعر، وموقعه في خريطة العلوم والفنون والمعارف الإسلامية، وانْتُقِيَتْ أحاديثُ من هنا أو هناك للتدليل على أن الإسلام كان له موقف سلبي من الشعر والشعراء.

ومع ما كتب في الموضوع قديما وحديثا، فهو لايعدو أن يكون دراسات تحليلية تستند إلى بعض المرويات، سواء صحت في سندها أم كانت معلولة بالضعف أو الوضع. وما يميز الدراسة التي أنجزها الباحث الحسين زروق أنها اسْتَقْرَتْ مجموع الأحاديث في الموضوع ، وكشفت عن درجة صحتها، ثم سعت إلى توجيهها بما يتلاءم من سياق ورودها ، أولا، ويتساوق مع الآيات الواردة في الشعر والشعراء، ثانيا، ثم من خلال الاحتكام، ثالثا، إلى منظومة القيم المقاصدية للآداب والفنون في الرسالة العمرانية للإسلام.

وهي ، بحق، قراءة أدبية ثقافية حضارية ، تنضاف إلى سلسلة الدراسات التي تقدم منهجا تأصيليا في صياغة الأحكام النقدية يقوم على الاستقراء والتحليل السياقي بالدرجة الأولى.

ويَسُرُّ إدارةَ الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية أن تقدم هذه الثمرة النقدية إلى جمهور القراء الكرام، إسهاما منها في تنمية السؤال النقدي وحسن صياغته ، سائلة المولى أن ينفع بها وأن يجعلها في ميزان حسنات كاتبها!..

والله من وراء القصد...



مقدمة

مدار هذا البحث على أمرين، إن وفق في تقديمهما فذلك عيار نجاحه:

الأول: عرض الأحاديث النبوية الصحيحة الخاصة بالشعر والشعراء، وبناءالدراسة والاستنتاجات عليها دون سواها، تصحيحًا لمسار خاطئ في الدراسات النقدية العربية تنهج فيه نهج حاطب الليل؛ لا تدري ماذا تجمع، وتبني أوهامًا تحسبها نتائج علمية على نصوص ولمَّا تُحَل معضلتُها، فإذا بنتائج الدراسة أوهن من بيت العنكبوت.وكما يقال: بالمثال يتضح المقال.

والمثال هنا دندنة طالت عن كسْر النبي ﷺ الشعرَ؛ بدليل أنه مُنِعَه بنص قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾[1]، وبعدد من الأحاديث الضعيفة، أَكتفِي منها باثنين[2]:

– روى ابن سعد: «عن الحسن أن رسول الله ﷺ كان يتمثل بهذا البيت: كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيا، فقال أبو بكر: يا رسول الله، إنما قال الشاعر:

كفى الشيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهيا

ورسول الله ﷺ يقول: كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيا، فقال أبو بكر: أشهد أنك رسول الله، ما علمك الشعر وما ينبغي لك»[3].

– روى البيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما جمع رسول الله ﷺ بيت شعر قط إلا بيتاً واحدًا: تفاءل بما تهوى يكن، فلقلما يقال لشيء كان

١– سورة يس، الآية ٦٩.

٢– ن. نصوص الشعر والشعراء: ص: ٤٧٣–٤٧٦.

٣– الطبقات الكبرى: ١/٣٨٢–٣٨٣. والحديث: ضعفه الألباني. ينظر: (ضعيف الجامع الصغير، حديث رقم ٤٥٣٥)، و(الضعيفة، حديث رقم: ٣٠٨٥).

إلا تحقق. قالت عائشة رضي الله عنها: ولم يقل تحققا لئلا يعربه فيصير شعرا»[١].

ولقد طالت هذه القضية حتى انتهت عند قوم إلى أن الرسول ﷺ لا يتمثل بشعر صحيح، وكل شعر تمثل به فإنه يكسره كما عند القرطبي، فقد ذكر أن النبي ﷺ كان «لا يقول الشعر ولا يزنه، وكان إذا حاول إنشاد بيت قديم متمثلا كَسَر وزنه، وإنما كان يحرز المعاني»[٢]؛بل وانتهت القضية عند البقاعي إلى أن النبي ﷺ كان يقصد المزاحفة وكَسْر الوزن لغاية جليلة: «وإذا تأملت كل بيت تمثل به فكسره لا تجده كسره إلا لمعنى جليل لا يتأتى مع الوزن، أو يكون لا فرق بين أدائه موزونا ومكسورا»[٣].

هذا الوهم يكفي فيه منهجيا أن تكون النصوص جاهزة للدراسة، أي بالتأكد من صحة النص من حيث طريق وصوله إلينا، ثم من حيث هو نص.

لكل ما سبق جَعلتُ قاعدة انطلاق هذه الدراسة قسما مستقلا جمعت فيه فقط الأحاديث التي صححها العلماء، ليدرسها الباحث وقلبه مطمئن بالإيمان في صحة البناء عليها، وإقامة دراسة علمية انطلاقًا منها.

والأمر الآخر: هو أن هذه الدراسة سترتاد أفقًا أكثر رحابة أغفلته معظم دراساتنا المتخصصة لاقتصارها على مجال الأدب والنقد في حدودهما الضيقة، وهذا الأفق هو موقع تلك النصوص من تصور الإسلام لبناء الحضارة، ومن ثم فإن هذه الدراسة تريد أن تنظر إلى الأحاديث النبوية

١- السنن الكبرى للبيهقي: ٧/ ٤٣. قال البيهقي معلقا عليه: «ولم أكتب إلا بهذا الإسناد، وفيهم من يجهل حاله».

وقال ابن كثير في تفسيره: ٣/ ٦٠٣:«سألت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي عن هذا الحديث فقال: هو منكر، ولم يعرف شيخ الحاكم ولا الضرير».

٢- الجامع لأحكام القرآن: ١٥/ ٥١.

٣- نظم الدرر: ١٦/ ١٧٠.

الخاصة بالشعر والشعراء نظرة حضارية تضعها في سياق التأسيس لحضارة مركزها القرآن الكريم.

ولقد ظهر لي أن الطريق إلى هذا النوع من الدراسة يمر عبر أربع محطات: تُقرأ في أولاها أحاديث الشعر والشعراء قراءة تاريخية، وفي الثانية قراءة أدبية، وفي الثالثة قراءة أخلاقية، وفي الأخيرة قراءة ثقافية.

وبناء على ما سبق، فإن هذا الكتاب يتوزعه قسمان:

القسم الأول: الدراسة، وهو خاص بقراءة النصوص المجموعة، وذلك من خلال أربعة فصول: فصل لكل محطة من المحطات الأربع الآنفة الذكر.

القسم الثاني: النصوص، وهو خاص بعرض الأحاديث النبوية الصحيحة الخاصة بالشعر والشعراء، وذلك من خلال ستة فصول: الأول لمفهوم الشعر ووظيفته، والثاني لأغراضه، والثالث لسماعه وإنشاده، والرابع للموقف منه، والخامس لنقده، والسادس لنصوص ذات صلة بأحاديث الشعر والشعراء.

وقد قدمت في الاختيار الكتب الستة على غيرها بترتيبها المعروف، ورتبت النصوص في كل فصل حسب مصدرها، وخرجت أسانيدها بناء على أقوال أهل العلم، ثم قابلت بين رواياتها، وعلقت عليها عند الاقتضاء.

فإن وفقت في إعطاء الموضوع حقه فذلك بتوفيق من الله تعالى ومنّة، وإن تكن الأخرى فمن نفسي، وحسبي أنني قرعت الباب، وقديما قيل: «من أدمن قرع الباب يوشك أن يُفتَح له».

قائمة الرموز

ب	:باب
ح.ر	:حديث رقم.
د.ت	:دون تاريخ الطبع.
د.ط.ت	:دون رقم الطبعة وتاريخ الطبع.
ص	:صفحة.
ط	:طبعة.
ق.ن	:قسم النصوص.
ك	:كتاب.
م.س	:مصدر/مرجع سابق.
ن	:ينظر.
هـ	:هامش



القسم الأول: الدراسة

الفصل الأول

قراءة تاريخية

المبحث الأول:

المكي والمدني من أحاديث الشعر والشعراء

سمة المرحلة المكية أنها مرحلة عقيدة وإعداد عقدي للمسلم، بينما سمة المرحلة المدنية أنها مرحلة دولة وعبادة وتمكين للإسلام، ومن ثم فالفائدة التي يقدمها لنا تنزيل النصوص على هاتين المرحلتين كامنة في فهمها في ضوء ذلك القانون في تدرج الإسلام ومقاصده.

عندما ننزِّل آيات الشعر والشعراء على ذلك التقسيم نجد أنفسنا أمام مجموعتين:

١- مجموعة مكية تتضمن أمرين:

أ - حكاية تهمة:

- ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾[١].

- ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴾[٢].

- ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴾[٣].

- ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾[٤].

ب- نفي تهمة:

- ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾[٥].

١- سورة الأنبياء: الآية ٥.

٢- سورة الصافات: الآية ٣٦.

٣- سورة الطور: الآية ٣٠.

٤- سورة الحاقة: الآية ٤١.

٥- سورة يس: الآية ٦٩.

٢- مجموعة مدنية تتضمن نصًّا واحدًا هو قول الله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1].

ما الفارق بين المجموعتين؟ يبدو الفارق حقيقًا بالتأمل:

فنصوص المجموعة الأولى كلها إما أن تحكي تهمة، أو تنفيها:تحكي أربع آيات تهمة قوم لرسول الله ﷺ بأنه شاعر، بينما تتولى الآية الخامسة نفي الشعر عنه، فإذا كان محمد ﷺ - حسب المفهوم من الآية الخامسة - ليست لديه القابلية لقول الشعر،فكيف يكون شاعرا؟! وكيف يكون شاعرا واللّه تعالى لم يُعلّمه إياه؟! هذه واحدة.

والثانية: أن موضوع تلك الآيات الخمس كلِّها شديدُ الصلة بمبحثين من مباحث العقيدة هما الكتاب والرسالة، فهي وإن تناولت الشعر والشاعر إنما كان ذلك من أجل أن تضيء العقيدة من زاويتهما.

أما آيات الشعراء في النص السادس فمختلفة اختلافا تاما عن سابقتها، فهي:

أولا- مدنية.

وثانيا- تتحدث عن الشعراء بصيغة الجمع، لا عن شاعر بصيغة المفرد.

وأخيرا- تتحدث عن طبقات الشعراء،وتنزّلهم منازلهم بحسب حظهم من أربعة أمور: الإيمان، والعمل الصالح، والذكر الكثير، والانتصار من بعد ظلم.

لا ريب أن مقصد الحديث مختلف بين المجموعة الأولى والثانية، وهو

١- سورة الشعراء: الآيات ٢٢٤-٢٢٧.

اختلاف لا يمكن فصله عن مرحلته التاريخية التي نزل فيها، ولا يمكن أن يُفهم بعيدا عنها، وإن كان يتجاوزها؛ لأنه وإن صبغ بتلك الصبغة إلا أنه فوق التاريخ والزمان.

تلك النتيجة التي سقناها في عجالة، وكان لنا معها وقفات طويلة في بحث سابق[1]، هي التي تمهد لنا الطريق لفهم ما بين أيدينا من أحاديث عن الشعر والشعراء من زاوية الموضوع التاريخي نفسه، ومن ثم فالسؤال الذي لابد أن نجيب عنه هنا هو: ما المكي وما المدني من الأحاديث التي بين أيدينا؟

من مجموع الأحاديث المعروضة في قسم النصوص لا نقف سوى على حديث واحد ينتمي إلى المرحلة المكية، بينما كل الأحاديث الأخرى تنتمي إلى المرحلة المدنية.

والحديث المكي الوحيد هو الحديث الذي يتعرف فيه الرسول ﷺ على كعب بن مالك في لحظات بحثه ﷺ عن بديل لمكة من أجل حماية المسلمين، والاستعداد لمرحلة التمكين للإسلام.

وإنه لأمر جلل أن يكون تعرفنا على الشعر بهذه المناسبة الجليلة، فترتبط العناية بالشعر والشعراء بالتفكير في إيجاد كيان للأمة، والبحث لها عن موطئ قدم بعيدًا عن الحصار.

روى كعب بن مالك قصة بيعة العقبة - وكان ممن شهدها، وبايع رسول الله ﷺ - فقال: «خرجنا في حجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا ومعنا البراء بن معرور كبيرنا وسيدنا...قال: فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ، فقال: هل تعرفانه؟

قال: قلنا: لا.

١- نصوص الشعر والشعراء: ص:٣١٦-٣٢٢.

قال: فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه؟

قلنا: نعم.

قال: وكنا نعرف العباس. كان لا يزال يقدم علينا تاجرًا.

قال: فإذا دخلتم المسجد، فهو الرجل الجالس مع العباس.

قال: فدخلنا المسجد، فإذا العباس جالس، ورسول اللّه ﷺ معه جالس، فسلمنا ثم جلسنا إليه، فقال رسول اللّه ﷺ للعباس: «هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟»

قال: نعم. هذا البراء بن معرور سيد قومه، وهذا كعب بن مالك.

قال: فواللّه ما أنسى قول رسول اللّه ﷺ: «الشاعر»؟!

قال: نعم...

قال: وخرجنا إلى الحج، فواعدنا رسول اللّه ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق....»[1].

أوردنا هذا النص بطوله، وقد حذفنا منه تتمة أطول مما سقناه لتضمنه قرائن تفيد أننا أمام نص مكي:

منها: أنه صريح في أن القوم لقوا رسول اللّه ﷺ بمكة.

ومنها: أنه يشير صراحة إلى بيعة العقبة، وتتمة الحديث تفصل ذلك وتتقصاه.

فالقلب إذن مطمئن إلى أننا أمام نص مكي، وأنه في الوقت نفسه ورد في لحظة فاصلة بين المرحلة المكية والمدنية هي بيعة العقبة؛ وهو ما يعني أننا أمام العقبة الثانية لا الأولى، فضلا عن أن كعب بن مالك لم يشهد الأولى

١-مسند أحمد: ح. ر١٥٧٣٨، والنص ٥٣ من (ق. ن).

وإنما شهد الثانية[١].

ومهمة الحديث بطوله ذلك أن يثبت تلك المكية وحسبه ذلك، وأما ما يخص الشعر والشعراء فهذا هو الجزء النفيس في تاريخه ودلالته:

فقال رسول الله ﷺ للعباس: «هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟»

قال: نعم. هذا البراء بن معرور سيد قومه، وهذا كعب بن مالك.

قال(أي: كعب بن مالك): فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ: «الشاعر»؟![٢]

ما الذي يحمله هذا الجزء حتى يكون بكل تلك الأهمية وهو لا يتجاوز كلمة من رسول الله ﷺ هي «الشاعر» يمكن أن يقولها أي إنسان في لحظة تعارف؟!

يفيد تعليق الرسول ﷺ أمورا نفيسة:

أولا- كان لرسول الله ﷺ رصيد ثقافي -بعبارة عصرنا- يتضمن قائمة بأسماء عدد من الشعراء، منهم كعب.

ثانيا- كان كعب من الشهرة بحيث كان يعرفه الشعراء وغير الشعراء، وذلك دليل على القيمة الأدبية لهذا الشاعر.

ثالثا- يفهم من الحديث أن كعبًا كان مسلمًا، ولذلك فعبارة الرسول ﷺ تتضمن أمرًا آخر هو أن هذا المسلم شاعر، وأن الشاعر المسلم مختلف عن الشاعر غير المسلم، كما سنرى.

رابعا- ورد في السياق نفسه -مما حذفناه اختصارا- تصحيح لما فعله البراء بن معرور لما خالف النبي ﷺ في توجهه في صلاته نحو الكعبة، في حين

١- ن. سيرة ابن هشام: ٢/٤١-٤٢، و٢/٤٨-٥٦.

٢-مسند أحمد، ح. ر: ١٥٧٣٨، والنص ٥٣ من (ق. ن).

أن قبلة المرحلة كانت اتجاه الشام، بينما لم يشر ﷺ أي إشارة بخصوص الشعر أو شاعرية كعب أو أشعاره قد تتضمن تصحيحا أو ملاحظة على شعره...، فهذا دال على أن أمر الشعر مَرْضي.

خامسا-استعمل الرسول ﷺ أداة التعريف، ولم يضف لفظ الشاعر إلى قبيلة أو قوم، بل جعله مطلقا؛ وهو ما يفيد أن شاعرية كعب فوق أن تنحصر في قبيلة أو فئة...بل هي شاعرية مطلقة.

سادسا-فهم كعب بن مالك الرسالة جيدا، وأثرت فيه تأثيرا قويا كما يفهم من قوله: «فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ:الشاعر؟!»[1]، وذلك ما يوحي إليه بأن شاعريته قيمة مضافة، وأنها لا تتعارض مع إسلامه، وأن لها أثرا في المكانة التي تنتظره في المرحلة القادمة، وهي مكانة لابد أن يكون للشعر والشاعرية نصيب فيها ومنها.

إذا أضفنا إلى ما سبق أن كعبا كان أول شاعر مسلم يُعلن رسميا عن شاعريته، وأن ذلك يتم في اللحظة الانتقالية من المرحلة المكية إلى المرحلة المدنية، وأنه حظي بشرف أن يكون من الذين شهدوا العقبة - وما أدراك ما العقبة؟!- وبايعوا فيها، أمكننا أن نستشرف تصور الإسلام للشعر، وتعامل الرسول ﷺ مع الشعراء.

ولقد كان كعب -لكل تلك المناقب- من التميز بمكان، حتى إن تميزه لم يدركه حسان بن ثابت نفسه، وإن تميز هذا في باب آخر كما سنرى بعد، وإنما كان تميز كعب في أنه حافظ على تلك العلاقة المتميزة بين التحرك من أجل الإسلام، وبين تسخير الموهبة الشعرية لخدمته، فنراه في لحظة مقاتلا شجاعا، وأخرى شاعرا فحلا[2].

١- مسند أحمد: ح. ر١٥٧٣٨، والنص ٥٣ من (ق. ن).

٢- قال ابن عبد البر في (الاستيعاب، ص: ٢٥٠): «كان مجودًا مطبوعًا، قد غلب عليه في الجاهلية أمر الشعر، وعرف به، ثم أسلم، وشهد العقبة، ولم يشهد بدرًا، وشهد أحدًا والمشاهد كلها حاشا تبوك، فإنه تخلف عنها، وقد قيل: إنه شهد بدرًا».

وأما الأحاديث الأخرى فمدنية، وهي تتناول موضوعات:

- مفهوم الشعر وحكمه[1].
- آداب الزفاف[2].
- الجهاد بالشعر[3].
- غناء الجواري[4].
- مجالس الشعر وغيره[5].
- حُكْم الشعر في المسجد[6]...إلخ.

هذه الموضوعات التي تتناولها الأحاديث المدنية مما لا يناسب المرحلة المكية، وهي تجسد تعدد مناحي الحياة وخروج المسلمين بدينهم إلى العلن، وممارسة تدينهم بحرية بعيدا عن الحصار والتعذيب، ومن ثم رأينا أحاديث في مناسبات وأماكن مختلفة، وقد أريد لها أن تنظر إلى الشعر من الزاوية نفسها، لكن في مختلف تجلياته.

أريد للشعراء بتلك الأحاديث المتعددة أن يقولوا على بصيرة، وأن يكون شعرهم بنفس اتساع مناحي الحياة بعد الانتقال من مرحلة الدعوة إلى مرحلة الدولة، ومن ضيق مكة إلى رحابة المدينة، فيعبر عن مختلف همومها

١- ن. مسند أحمد، ح. ر ١٦٦٨٤، وصحيح الأدب المفرد: ح. ر٦٦٤/٨٦٥، والنص ١، ٢ من (ق. ن).

٢- ن. مسند أحمد، ح. ر١٦٦٥٨، و صحيح سنن ابن ماجة، ح.ر١٥٥٤/١٩٢، ك. النكاح، ب. الغناء والدف، والنص ٥، ٦ من (ق. ن).

٣- ن. مصنف عبدالرزاق، ح.ر٢٠٥٠٠، وصحيح البخاري، ح.ر٤٥٣، ك. الصلاة، ب. الشعر في المسجد، والنص ١٢، ١٣من (ق. ن).

٤- ن. صحيح البخاري، ح.ر٩٤٩، ك. العيدين، ب. الحراب والدرق يوم العيد، والنص ٣٦ من (ق. ن).

٥- ن. صحيح سنن الترمذي، ح.ر٢٨٥٠، ك. الأدب، ب. ما جاء في إنشاد الشعر، والنص ٣٨ من (ق. ن).

٦- ن. سنن أبي داود، ح.ر١٠٧٩، ك. الصلاة، ب. التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة، وح.ر٥٠١٥، ك. الأدب، ب. ما جاء في الشعر، والنص ٦٠، ٦٢ من (ق. ن).

وقضاياها، ومن ثم كان ذلك التعدد مناسبا لهذا المستجد في مساحة الحرية المتاحة للشعراء.

لم يكن -مثلا- ممكنا في مكة الحديث عن أحكام الشعر في المسجد؛ لأن المسلمين أصلا كانوا محرومين من ممارسة تدينهم علنا، بينما كثرت المساجد في المدينة وصارت مؤسسة لها حرمتها وأهميتها ليس فقط في علاقة العباد بربهم؛ بل في علاقاتهم فيما بينهم أيضا، وفي إدارة شؤونهم، ولا ننسى أن محمدا ﷺ باعتباره رسولا وقائدا كان يخطط وينظم ويستشير ويستقبل الوفود...في المسجد، فمن الأولويات إذًا أن يكون لمؤسسة المسجد - بعبارة عصرنا -قانون داخلي ينظم أموره، ويحميه مما يحول دون تأديته لرسالته.

ما قيل عن مؤسسة المسجد يقال عن إدارة المناسبات المختلفة من أفراح وعمل وعلاقات اجتماعية...كل ذلك كان له نصيب من أحاديث الشعر والشعراء -كما سنرى- سواء أكان ذلك النصيب مباشرا، أم كان غير مباشر يدخل ضمن الأدب العام.

لكل ما سبق، فالتمييز بين المكي والمدني في أحاديث الشعر والشعراء يسعفنا في فهم ذلك التفاوت بين المرحلتين، ولمَ اكتفى ﷺ عن الشعر بما ورد في القرآن الكريم في المرحلة المكية، بينما اقتضت الضرورة في المرحلة المدينة وفرة في التوجيهات تتناسب مع التغير الذي طرأ في حياة المسلمين؛وهو ما ناسب أن تكون أحاديث الشعر والشعراء حاضرة في تلك الحياة، وموجهة لها في وجه من وجوهها.

وثمة فائدة نجنيها من تأملنا لتعامل رسولنا محمد ﷺ مع كعب بن مالك في النص المكي الذي أوردناه آنفا، هي أننا نخطئ كثيرا عندما لا نلفت انتباه الموهوبين إلى أننا على علم بموهبتهم، وعندما لا نشعرهم أن تلك الموهبة محل عنايتنا وتقديرنا، وأنه ما عليهم إلا أن يطمئنوا، لأن مكانتهم

محفوظة، وموهبتهم مقدمة، ولكننا نخطئ أكثرعندما لا نلتفت أصلا إلى تلك الطاقات، فواجب أمتنا علينا أن نجمع بين البحث عن المتميزين ورعايتهم.

والرسول ﷺ يعلمنا درسًا في هذين الأمرين: فلقد كان على علم بشاعرية كعب بن مالك، ولقد وظف ذلك العلم توظيفا نفسيًّا، فأعلم كعبًا بذلك، وهو ما جعله يتأثر به، ويحرص على عنصر تميزه، ويوجهه إلى نحو خدمة هذا الدين الذي يراعي موهبته ويحفظها ويقدرها حق قدرها.

المبحث الثاني:

شهادة الشعراء على عصرهم

هناك سؤال يتبادرإلى الذهن ونحن نفتتح هذا المبحث هو: من هم شعراء الإسلام في المرحلة المكية؟

عند مراجعتنا لسيرة ابن هشام - مثلا - في المرحلة الممتدة من البعثة إلى الهجرة[1] لم نقف سوى على أربع قصائد: ثلاث منها لعبدالله بن الحارث بن قيس، والرابعة لعثمان بن مظعون، وجميع هذه القصائد - إن صحت - قالاها بعد هجرتهما إلى الحبشة[2].

ذلك هو نصيب المسلمين من الشعر في المرحلة المكية، وهو نصيب لم يظهر إلا بعد الهجرة إلى الحبشة؛ وهو ما يفيد أن الشعراء بمكة كانوا محاصرين، وأن كلمتهم كانت -بعبارة عصرنا- مقموعة.

صحيح أننا نقف على أشعار في نصرة محمد ﷺ والدفاع عنه، ولكنها في غالبها لأبي طالب،وما أدراك من أبو طالب وقتها[3]، وهو ما لا يزيدنا إلا يقينا أن أمر الشعر الإسلامي لم يكن بالميسور ولا المقبول، ولذلك بمجرد ما ظهر متنفس انطلقت بعض الصدور تنفث ما يجيش بداخلها من شعر في أرض الغربة بعيدًا عن محمد ﷺ وأصاحبه.

ها نحن أولاء وقفنا على شاعرين من شعراء المسلمين، ومن غير شك أنه كان هناك شعراء آخرون، وممن يسعفنا البحث عنهم الطفيل الدوسي الذي أسلم في مرحلة عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل في القصة المشهورة، وإن كانت لا تصح، إلا أنه يهمنا منها أنها تفيدنا في مرحلة

١- سيرة ابن هشام: ١/١٩٩-٣٢٥، و٢/٥-٨٧.

٢- سيرة ابن هشام: ١/٢٧٣-٢٧٤.

٣- السابق نفسه.

إسلامه، وأنه من الشعراء[1]، وحسبنا بهذا دليلا.

ودَعْنا مما نسب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه من شعر بمناسبة إسلامه، فهو واه[2]، صحيح أن الإسلام تحوُّلٌ يهز الكيان هزا، ويفجر طاقات القول الشعري لدى الشعراء، ولكن أنى لنا أن نثبت شاعريته في هذه المرحلة المبكرة؟! وما نكتفي بقوله الآن هو أن ما نسب إليه من شعر بمناسبة إسلامه لا تطمئن إليه النفس؛ لأنه مما حمله ابن إسحاق(ت ١٥٠هـ) حملا، وأسقطه ابن هشام(ت٢١٣هـ) إسقاطا، وقسّ على ذلك كثيرا من الأشعار التي ملأ بها ابن إسحاق سيرته، ثم خلصها منه ابن هشام.

ينبغي ألا يغيب عنا طرفة عين قول ابن سلام الجمحي(ت٢٣٢هـ) الناقد الفذ في حق الشعر الذي رواه ابن إسحاق: «وكان ممن أفسد الشعر وهجنه وحمل كل غثاء منه، محمد بن إسحاق بن يسار مولى آل مخرمة بن المطلب بن عبد مناف،... وكان أكثر علمه بالمغازي والسير وغير ذلك، فقبِل الناس عنه الأشعار، وكان يعتذر منها ويقول: لا علم لي بالشعر، أُتينا به فأحمله. ولم يكن ذلك له عذرًا، فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط، وأشعار النساء فضلاً عن الرجال، ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود، فكتب لهم أشعاراً كثيرة، وليس بشعر، إنما هو كلام مؤلف معقود بقواف. أفلا يرجع إلى نفسه فيقول: من حمل هذا الشعر؟ومن أداه منذ آلاف السنين...»[3].

وقريب من ذلك ما قاله ابن سلام نفسه لما عرض لشعر أبي سفيان: «ولأبي سفيان بن الحارث شعر كان يقوله في الجاهلية، فسقط ولم يصل إلينا منه إلا القليل. ولسنا نُعد ما يروي ابن إسحاق ولا لغيره شعرًا،

١- سيرة ابن هشام: ١/٣١٢-٣١٤، والتعليق على سند القصة في ١/٣١٤ منه.

٢- سيرة ابن إسحاق: ص: ١٦٣، ولم يسنده. وينظر التعليق على النصوص الخاصة بإسلام عمر في (السيرة النبوية الصحيحة: ١/١٧٧-١٨١).

٣- طبقات فحول الشعراء: ١/٧-٨.

ولأن لا يكون لهم شعر، أحسن من أن يكون ذاك لهم»[1].

لكل ما سبق نطمئن أكثر لما رواه ابن هشام، بعد أن محص سيرة ابن إسحاق، وخلصها من كثير مما علق بها بسبب تساهله في رواية الأشعار.

والذي يعنينا مما سبق أنه كان بين المسلمين شعراء في مكة، فما الذي عطل قوتهم على قول الشعر عن مواكبة الدعوة، والتعبير عنها في مرحلتها الحرجة تلك؟

أمامنا أربعة مداخل لتفسير تلك الظاهرة في مرحلة صدر الإسلام:

أول تلك المداخل: عامل الحصار، فقد كان المسلمون محاصرين حصارًا رهيبًا، وكان مشركو قريش يراقبونهم، ثم يزيدون أنهم يسومونهم سوء العذاب، ومع ذلك فالحصار مبرر غير كاف لفهم الظاهرة؛ لأنه إن كان يمنعهم من التعبير عن عقيدتهم، فإنه لم يكن يمنعهم من التعبير عن أمور أخرى كثيرة من تفاصيل حياتهم دون مصادمة عقيدتهم أو عقيدة خصومهم.

والمدخل الثاني: حياة الدعة واللين في مكة، فعند ابن سلام الجمحي - لما تحدث عن شعر قريش- أن الحرب سبب قوي لكثرة الشعراء وغزارة الشعر: « وبالطائف شعر وليس بالكثير، وإنما كان يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء، نحو حرب الأوس والخزرج، أو قوم يغيرون ويغار عليهم. والذي قلل شعر قريش أنه لم يكن بينهم نائرة، ولم يحاربوا، وذلك الذي قلل شعر عمان. وأهل الطائف في طرَفٍ»[2].

يبدو تفسير ابن سلام أكثر أهمية من التفسير بالحصار، وهو يقربنا أكثر من فهم الظاهرة، ومع ذلك يظل هو نفسه غير كاف.

١- طبقات فحول الشعراء: ١/٢٤٧.

٢- طبقات فحول الشعراء: ١/٢٦١.

والمدخل الثالث الذي تطمئن إليه النفس أكثر هو ما في الإسلام نفسه من جواب نفهمه فهما ولا نجده تصريحا، وهذا تفسير ذلك:

رأينا من قبل أن نصيب الشعر والشعراء من القرآن المكي خمس آيات في خمس سور كلها مكية، وهي جميعا كما يلاحظ من السياق الذي وردت فيه تبين زيف التهمة التي روجها مشركو قريش في إطار حربهم الإعلامية على الإسلام والمسلمين لصرف الناس عن حقيقة القرآن الكريم ومحمد ﷺ.

مهمة تلك الآيات كانت هي تصحيح الصورة، وبيان أن هؤلاء المُتَّهِمَة غير صادقين في تهمهم، وإنما يقولون ما يقولونه تشويشا واستكبارا... هذه واحدة.

والثانية أن محمدا ﷺ وقتها لم تكن له عناية بالشعر والشعراء؛ لأن المرحلة لم تكن مرحلة ذلك، بل كانت مرحلة بناء الإنسان الذي سيكون بعد مقاتلا وتاجرا فذا وقائدا وقاضيا...فكما أنه ﷺ لم يهيئ في هذه المرحلة هذه الأطر لقيادة الأمة للمرحلة القادمة، فكذلك لم يهيئ شعراءها، وإنما كانت الأولوية لصناعة «الجيل الرباني الفريد» الذي مهمته أن يخرج من جاهليته وينزع عن نفسه سلطة الآلهة، ويصفي تصوره العقدي؛ إذ الأولوية وقتها كانت لصناعة الإنسان المسلم، وإخراجه إخراجا آخر، ليكون جاهزا في المرحلة التالية لتحمل مسؤوليته حسب طبيعة ميولاته وحاجات الأمة، وهذا أمر نفهمه من غياب أي حديث نبوي عن الشعر والشعراء ماعدا ذلك الحديث الذي تحدثنا عنه في مبحث المكي والمدني.

والآن نحسب أنه باستطاعتنا أن نجيب عن السؤال السالف الذكر بهذا الجواب وقلبنا مطمئن أنه هو الجواب: إن غياب الشعر الإسلامي في المرحلة المكية سببه هو نفسه سبب غياب القضاء والاقتصادوالقتال...في تلك المرحلة. وإنعدم وجود هؤلاء سببه أن الرسول ﷺ لم تكن وقتها تلك

مهمته؛ بل كانت مهمته إعداد المادة الخام ذات القابلية لكل ذلك.

وآية ما قلناه آنفا أن الرسول ﷺ بمجرد ما وطئت قدمه المدينة رأيناه يبني مؤسسة المسجد وهو يرتجز مع المسلمين[1]، ثم انطلقت أحاديث الشعر تترى.

أما المدخل الرابع والأخير فهو أن المرحلة المكية لم تعرف شعراء مسلمين من عيار الشعراء الذين عرفتهم المرحلة المدنية، فكأن المرحلة الأولى كانت في حاجة إلى شعراء من عيار خاص يجيدون القول بحسب المتاح وقتها، في حين أن المرحلة المدنية عرفت شعراء فحولا وفي مقدمتهم حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبدالله بن رواحة، ولعل هذه الحاجة فيها شيء من إلماح في تلك الكيفية التي استقبل بها الرسول ﷺ كعبًا في بيعة العقبة الثانية.

يجب أن نستحضر دلالة كون بيعة العقبة التي بايع فيها الأنصار الرسول ﷺ على الحرب شهدها شاعران فحلان هما كعب بن مالك وعبدالله بن رواحة، وكان عبدالله أحد النقباء الاثني عشر[2]، وفي هذه البيعة قال الأنصار بحماس اللحظة لرسول الله ﷺ: «إن شئت لنميلن على أهل منى غدًا بأسيافنا»، فكان جوابه ﷺ: «لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم»[3].

فالمرحلة ليست مرحلة قتال؛ بل مرحلة كف الأيدي، وتعلم دروس في ضبط النفس والصبر على الأذى حتى يحكم الله، وهو خير الحاكمين.وكما أن المرحلة لم تكن مرحلة قتال، فكذلك لم تكن مرحلة شِعْر كما رأينا في المدخل الثالث، وكما سنرى بعدُ عندما نتحدث عن الشعر المجاهد.

١- صحيح البخاري، ح.ر٣٩٠٦، ك. مناقب الأنصار، ب. هجرة النبي ﷺ وأصحابه...، والنص من (ق.ن).

٢- ن. صحيح السيرة النبوية، ص: ١٥٠-١٥٧.

٣- م.س، ص: ١٥٥.

حسبنا مما قررناه آنفا أن مرحلة المدينة بدأت طلائعها منذ اللحظة الفاصلة في تاريخ الإسلام، وأن تلك اللحظة لم يغب عنها الشعراء؛ بل عرفت حديثا من أحاديث الشعر، ثم لنا أن نرافق المسلمين في المدينة بعد الهجرة وقد وسمها الشعراء بميسم جمالية القول الشعري، فانطلق الشعر يعيش مع المسلمين في البيوت والمساجد، والسفر والحضر، والمآتم والأفراح، والسلم والحرب...كما يلاحظ من تتبع مختلف أحاديث الشعر والشعراء.

وتلك لعمري صورة عن المشاركة الفعالة للشعر الإسلامي في الحياة اليومية للمسلمين، وقد اختار الشعراء أن يعيشوا عصرهم بشعرهم، وأن يوظفوا موهبتهم ويمنحوها ما أمكنهم من لمسات الشعر وجماله.

ولرواج بضاعة الشعر في المدينة كذلك مداخل تفهم من خلالها:

أولها- كامن في التحول الذي طرأ على المسلمين وقد انتقلوا من مرحلة الاستضعاف إلى مرحلة التمكين، فصاروا يحسون أنهم يعيشون في كيانهم، آمنين في دينهم ودمائهم وأعراضهم وأموالهم...فقد أبدلهم الله بعد خوفهم أمنًا.

والمدخل الثاني- بدء الحرب منذ السنة الثانية للهجرة، ويكفي أن نلقي نظرة على الأشعار التي ساقها ابن هشام بعد معركة بدر[1]،ونقارنها كمًّا وكيفا مع كل شعر قريش قبل الهجرة لنرى حجم الفرق، فقد كانت الهزيمة صدمة قوية خلخلت كيان كفار قريش وهزتهم هزًّا، فكان الشعر وسيلتهم للتعبير عن تلك الصدمة، سواء في رثائهم لقتلاهم، أم في هجائهم للمسلمين وتوعدهم بالانتقام.

لقد انطلق شعر إسلامي غزير بنفس غزارة الشعر المضاد، فراح يدافع عن الإسلام والمسلمين، ويهاجم خصومهم، ويتوعدهم بانتصارات قادمة تشرد بهم من خلفهم.

١- سيرة ابن هشام: ٢/٣١١-٣٤٥.

وظهرت أسماء لم تكن تذكر في الشعر أصلا، أو كانت مقِلّة فيه، ويسعفنا ابن هشام في التعرف على عدد من هؤلاء الذين شاركوا في تلك المعركة الشعرية التي أعقبت المعركة العسكرية:

فمن المسلمين:حسان بن ثابت بأحد عشر نصًّا[1]، وكعب بن مالك بنصين[2]، وعبدالله بن رواحة[3]، وطالب بن أبي طالب[4]، ومالك بن الدُّخْشُم[5]، وعدي بن أبي الزغباء[6] بنص واحد لكل منهم.

ومن المشركين: هند بنت عتبة[7]، وضرار بن الخطاب[8]، وعبدالله بن الزبعرى[9]، وأمية بن أبي الصلت[10]، وأبو أسامة معاوية بن زهير[11]، وصفية بنت مسافر[12]، بنصين لكل منهم، والأسود بن المطلب[13]،ومكرز بن حفص[14]،و أبو سفيان[15]،وأبو عزة[16]، وأبو بكر بن الأسود الليثي[17]،وقُتَيلَة بنت الحارث[18]، بنص واحد لكل منهم.

١- م. س: ٢/٢٤٤-٢٤٥، و٢٦٨-٢٦٩، و٣٢٠-٣٢٧.

٢- م. س: ٢/٢١٨-٢١٩، و٣٢٧-٣٢٨.

٣- م. س: ٢/٢٦٠-٢٦١.

٤-م. س: ٢/٣٢٩-٣٣٠.

٥-م.س: ٢/٢٥٤.

٦- م.س: ٢/٢٤٨.

٧-م.س: ٢/٢٦١، و٣٤١-٣٤٢.

٨-م.س: ٢/٢١٧، و٣٣٠-٣٣١.

٩-م.س: ٢/٢١٩.

١٠-م.س: ٢/٣٣٢-٣٣٦.

١١-م.س: ٢/٣٣٧-٣٤١.

١٢--م.س: ٢/٣٤٣-٣٤٤.

١٣--م.س: ٢/٢٥٣-٢٥٤.

١٤-م.س: ٢/٢٥٥-٢٥٦.

١٥- م.س: ٢/٢٥٦.

١٦- م.س: ٢/٢٦٥.

١٧- م.س: ٢/٣٣١-٣٣٢.

١٨- م.س: ٢/٢٤٤-٢٤٥.

تلك طائفة من الشعراء الذين قالوا شعرًا بمناسبة بدر، لم نورد ضمنهم مَن شك ابن هشام في القصائد المنسوبة إليهم.

مجموع شعراء المسلمين مما أوردناه آنفا ستة،وقفنا لهم على (١٩) نصًّا شعريًّا، بينما مجموع المشركين (١٢) شاعرا، وقفنا لهم على (٢٠) نصّا.

معركة بدر وحدها - وفق ما سبق- أطلعتنا على شعر ثمانية عشر شاعرًا، وأوقفنا ابن هشام على تسع وثلاثين قصيدة لهم، مع العلم أن الشعراء الذين برزوا في الشعر قبل الهجرة لا يتجاوز خمسة تقريبا، هم: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبدالله بن رواحة، وأمية بن أبي الصلت، وأبو عزة.

فإذًا، أسهمت معركة بدر في الحراك الشعري، مثلما أسهمت مناسبات أخرى كأُحُد وغيرها من الغزوات، وأظهرت لنا شعراء إن لم يكونوا جددا فعلى الأقل جرتهم جرًّا -ومنهم مقلّون- للشهادة على عصرهم، والمشاركة -من موقع انتمائهم- في الحدث التاريخي الذي عرفته الجزيرة العربية، والذي آذن بتحول عميق يطرق أبوابها رويدًا رويدًا.

ولا يهمنا الآن كثيرا أن أكثرية الشعراء من المشركين وهذا له دلالته، بقدر ما يهمنا أن الشعراء شاركوا في اللحظة التاريخية، فالشاعر وقتها -بغض النظر عن انتمائه- يؤمن بأنه يحمل هموم قومه، ولابد أن يكون في طليعة المعبرين عن تلك الهموم.

ويهمنا أكثر من هذا وذاك هذا التحول الذي شهدناه في الصف الإسلامي، فلقد انطلق الشعر بقوة في اللحظة الحاسمة، وكان الشعراء -بتعبير عصرنا- في مستوى الحدث، فعبروا عن فرحهم بالانتصار، وردوا على الهجوم الشعري للمشركين، وكان حسان في طليعة من دافع عن المسلمين وتصدى لشعراء المشركين، فلكأنما كانت المرحلة اختبارًا لمن سيشغل منصبا سيحدثه النبي ﷺ في أمته هو منصب شاعر الرسول ﷺ، وشاعر

الإسلام[١]، وسيخصه بمزية عن غيره عندما سيضع له منبرًا في المسجد ليقول عليه شعرًا ينافح به عنه وعن الإسلام والمسلمين[٢].

وقد رأينا أن كعب بن مالك وعبدالله بن رواحة كانا حاضرين أيضا، وإن كان حضورهما أقل من حضور حسان، وثمة علة لهذا الفرق حاسمة في مستقبل الشعراء الثلاثة لابد من ملاحظتها:

- أما عبدالله بن رواحة فقد شهد«العقبةوبدرا وأحدا والخندق، والحديبية وعمرة القضاء، والمشاهد كلها، إلا الفتح وما بعده؛ لأنه قتل يوم مؤتة شهيدا»[٣].

- وأما كعب بن مالك ف«شهد العقبة، ولم يشهد بدرا، وشهد أحدا والمشاهد كلها حاشا تبوك، فإنه تخلف عنها»[٤]، ولم يشارك في بدر؛لأنه «إنما خرج رسول الله ﷺ والمسلمون يريدون عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم»[٥].

- وأما حسان بن ثابت فلم نقف على ذكر لمشاركة له في غزوة من الغزوات[٦].

يسعفنا ما سبق في القول: إن عبدالله وكعبًا شاعران غير متفرغين للشعر؛ لأن الشعر عندهما قول في مناسبات ما تزاحمه اهتمامات ما.أما حسان بن ثابت فشاعر متفرغ للشعر، وهبه وقته، ولم يشغله عنه شيء.

١- في الاستيعاب، ص: ١٦٣ «كان يقال له: شاعر رسول الله ﷺ».

٢- سنن أبي داود، ح. ر٥٠١٥، ك. الأدب، ب. ما جاء في الشعر، والنص ٦٢ من (ق. ن).

٣- الاستيعاب، ص: ٢٩٦.

٤- —م.س، ص: ٢٥٠.

٥- من كلام كعب بن مالك في حديث تخلفه عن غزوة تبوك. ن. صحيح البخاري، ح. ر ٤٤١٨، ك. المغازي، ب: حديث كعب بن مالك.

٦- ن. ترجمته في الاستيعاب، ص: ١٦٣-١٦٧، والإصابة، ص: ٢/٥٥-٥٧. وأما أمر نعته بالجبن، فنربأ بأنفسنا عنه، ونرى أنه لا دليل عليه تطمئن إليه النفس، وهو في جميع الأحوال صحابي جليل، له على الدعوة أياد بيضاء، ولابن عبد البر وقفة مع الموضوع تنظر في (الاستيعاب، ص: ١٦٦).

ولذلك أمكننا أن نفهم سر قوة حضور حسان في أحاديث رسول الله ﷺ في الشعر والشعراء إذا ما قورن بحضور عبدالله وكعب.

هناك أمران لابد من الانتباه إليهما ونحن نختم هذا المبحث:

أولهما- أن الرسول ﷺ كان له دور في هذا التوجه نحو كثافة القول الشعري أولا، ثم نحو تميز حسان عن باقي الشعراء وانفراده بالمنبر ثانيا، وهذا مما لا تخطئه عين القارئ لأحاديث الشعر والشعراء، ففيها عشرة أحاديث تحض على قول الشعر دفاعًا عن الإسلام والمسلمين[١]، وحسان حاضر في ستة منها[٢].

وأما الأمر الآخر فهو أن محمدا ﷺ، لحظتها لم يكن الوقت يسمح له أن يكوّن شعراء يدافعون عن الإسلام والمسلمين، صحيح أن الرعاية التي حظي بها الشعر والشعراء جعلت عدد الصحابة الشعراء كبيرا حتى تجاوز (٢٨٦) شاعرا[٣]، وأسهمت في بروز طبقة من الشعراء الذين ولدوا في الإسلام[٤]، إلا أن الخطوة الأكثر عملية كانت تقتضي استثمار الرصيد الموجود، وتوجيهه، وحسن توظيفه، وهذه أمور تفهم من أحاديث الشعر كلها؛ لأنها تخدم هذا الاتجاه وتسير فيه، ومن أجل ذلك هيأ الرسول ﷺ للشعراء الصحابة إطارًا يتحركون ضمنه، ومنحهم من التوجيه والتسديد ما جعلهم يعبرون عن صورة الإسلام بلغة الشعر، فربحت الدولة المسلمة طاقات تحمي قيمها وتدافع عنها في عصر كان فيه الشعر الوسيلة الإعلامية الأكثر انتشارا وتأثيرا وفعالية، كما ربحت تلك الطاقات الشعرية سلطتها المعنوية، فحافظت على موهبتها، وأوقفتها على خدمة قيم أمتها.

١- ن. النصوص ١٣-١٨، و٢٧، و٢٩، و٣٤، و٦٣.

٢- ن. النصوص ١٤، و١٥، و١٦، و٢٩، و٣٤، و٦٣.

٣- إنما قلنا ذلك؛ لأن محمد الراوندي أحصاهم في (الصحابة الشعراء، ص: ١٦٨)، ولكن فاتته أسماء عدد منهم كأنيس أخي أبي ذر، والأسود بن سريع، و ابن أبي حمامة السلمي.

٤- حسبنا أن نشير منهم إلى عبدالرحمن بن حسان بن ثابت.

خلاصة الفصل الأول

أسعفتنا القراءة التاريخية في الوقوف على حقيقتين لهما اتصال وثيق بأحاديث الشعر والشعراء:

أولاهما- أن المرحلة المدنية كانت مرحلة انبعاث الشعر الإسلامي.

والأخرى- هي أن ذلك الانبعاث مدين للرعاية النبوية.

وقد رأينا كيف أن دولة الإسلام كانت في حاجة إلى جهاز إعلامي فاعل يجمع بين ممارسة الدعوة، والدفاع عن كيان الأمة، ولذلك كانت الخطوة الأولى في طريق تأسيس ذلك الجهاز هي استيعاب الطاقات والمواهب الموجودة، وإجادة توجيهها، وكان من نتائج ذلك أن تلك الطاقات نفسها شعرت بأنها محل عناية، وأن موهبتها مرعية.

ولكن صوت الإسلام لم يكن متجهًا فقط نحو الواقع والطاقات الموجودة؛ بل اتجه نحو المستقبل؛ لأنه يؤمن بأن هذا الدين لابد أن يجد له رجالا في كل زمان ومكان يحملون همومه ويدافعون عنه، فلابد إذًا أن لا تنقطع سلسلة الشعراء، لتضمن دولة الإسلام استمرار جهازها الإعلامي في العمل، ومن ثم كانت تلك الأحاديث لا تقتصر فقط على توجيه الشعراء الصحابة؛ بل تهيئ إطارا للقادمين الجدد كذلك، ولقد كان لهذا أثر أي أثر في تحول عميق في الشعر العربي يعرفه كل من قرأ الشعر الجاهلي وقارنه بشعر المسلمين في مرحلة البعثة النبوية وبعدها.



الفصل الثاني

قــراءة أدبية

المبحث الأول: مفهوم الشعر

نقف في أحاديث الشعر والشعراء بخصوص تعريف الشعر أو ما يقاربه على عنصرين:

١- **الشعر يشبه الكلام**، وهو يستفاد من قوله ﷺ: «الشعر بمنزلة الكلام: حسنه كحسن الكلام، وقبيحه كقبيح الكلام»[١].

٢- **الشعر نفث الشيطان**، وهو يستفاد من قول الرسول ﷺ «اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفثه ونفخه... ثم فسره فقال: «...ونفثه الشعر»[٢].

يشكل العنصران زوايتي نظر إلى الشعر: تربطه إحداهما بالكلام، وتربطه الأخرى بالشيطان:

أولا-الشعر يشبه الكلام:

أما ربط الشعر بالكلام فوارد في سياق حكم نبوي عن الشعر، فكأن الرسول ﷺ سئل عن حكم الشعر فأجاب ذلك الجواب.

والذي يهمنا من ذلك أن الشعر كالكلام في حكمه، ولذلك قد يحسن وقد يقبح، مثلما قد يحسن الكلام وقد يقبح.

وكون الشعر بمنزلة الكلام، وأن منه حسنًا وقبيحًا، يفيد أن الغرض ليس هو بيان مفهوم الشعر؛ بل حكمه، وإن كان مفهومه يستفاد من ذلك الحكم المبين. وذلك الحكم على كل حال مطلق؛ لأن الحسن قد يكون من جهة المعنى، وقد يكون من جهة المبنى، وقد يكون من جهتهما معًا، فكما أن الكلام قد يكون حسنًا معنى ومبنى، فكذلك الشعر.

١- صحيح الأدب المفرد: ح. ر٨٦٥/٦٦٤، باب الشعر حسن كحسن الكلام...، والنص ٢ من (ق. ن).

٢- مسند أحمد: ح. ر١٦٦٨٤، والنص ١ من (ق. ن).

بوسعنا الآن أن نفهم الحديث النبوي فهما آخر هو أن الحسن والقبح لا دخل لهما في شعرية الشعر؛ بل في الموقف منه، وذلك ما يستفاد من الصيغة التي سيق بها الحديث، وكأن ماهية الشعر مسألة سابقة على الموقف منه؛ لأنها تتحقق بشروط أخرى، ولذلك فالشعر على كل حال شعر، سواء أكان معناه قبيحًا أم حسنًا، ولا علاقة لذلك بشاعرية الشاعر،كما أن الكلام يبقى كلامًا، سواء أكان حسنًا أم قبيحًا، وإنما الحديث عن الحسن والقبح بغرض بيان الموقف منه، لا أقل ولا أكثر.

والحديث عن الحسن والقبح في الكلام والشعر ذو علاقة وطيدة بمبدأ الإحسان في الإسلام، فغير بعيد عن هذا السياق، وإن كان أعم منه، قوله ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء»[1]؛ وهو ما جعل النووي في شرحه للحديث يشير إلى أنه «من الأحاديث الجامعة لقواعد الإسلام»[2].

وبناء على ذلك، فكون الشعر منه حسن وقبيح يجعل الشاعر مسؤولا عن شعره، فهو مطالب أن يراعي شروط الحسن والإحسان فيه.ومادام الله تعالى هو الذي كتب الإحسان في كل شيء فإنه هو الذي يحدد لنا مواصفات الإحسان، وما الذي يجعل عملا ما حسنا، وما الذي يجعله قبيحا.فما الإحسان؟ ومتى يتحقق في الشعر؟

للإحسان في القرآن الكريم معنيان:

- **إحسان في العمل**: كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾[3] و﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[4]،و ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا

١- صحيح مسلم، ح.ر١٩٥٥، ك. الصيد والذبائح، ب. الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة.

٢- شرح صحيح مسلم: ٩٠/١٣.

٣- سورة الكهف، الآية: ٣٠.

٤- سورة غافر، الآية: ٦٤.

ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾[1].

– **إحسان في المعاملة**: وذلك بالإحسان بالآخرين وإليهم، كما يظهر من قوله تعالى: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖ﴾[2]، وقوله: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾[3].

والرسول ﷺ يقربنا من ذلك المفهوم تقريبا عجيبا، ففي حديث جبريل عليه السلام أنه لما سأل الرسولَ ﷺ عن الإحسان، أجابه ﷺ بقوله: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[4].

وفي الحديث أن الرسول ﷺ قال لما أدبر: «هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم»[5].

وتعليق الإمام البخاري عليه لا يخلو هو الآخر من فائدة، فقد قال بعد أن ساقه: «قال أبو عبد الله: جعل ذلك كله من الإيمان»[6].

ولذلك وجدنا ابن رجب الحنبلي يعلق على الحديث بعد أن أطال الوقوف عليه شرحا وتأملا: «...ففي هذا الحديث وحده كفاية»[7].

الإحسان إذًا من الدين، وهو وفق الحديث السالف «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، والعبادة هنا ليست بالمعنى الخاص؛ بل بالمعنى العام، والدليل على ذلك أن رواية عند مسلم فيها: «أن تخشى الله كأنك تراه، فإنك إن لا تكن تراه فإنه يراك. قال: صدقت»[8].

١- سورة يونس، الآية: ٢٦.

٢- سورة البقرة، الآية: ١٧٨.

٣- سورة النساء، الآية ٣٦، والأنعام، الآية: ١٥١.

٤- صحيح البخاري:ح. ر٥٠، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة.

٥- م. س.

٦- م. س.

٧- جامع العلوم والحكم، ص: ٣٨.

٨- صحيح مسلم، ح.ر١٠، كتاب الإيمان، باب أمارات الساعة.

فالإحسان سلوك تتحكم فيه الخشية من اللّه عز وجل، ويستحضر فيه العبد جلال اللّه وعظمته وعلمه وصفاته الجليلة؛ وهو ما يشكل زاجرًا عن المنكرات، وحافزًا إلى الخيرات، فهو يجعل العبد «يعبد اللّه كأنه يراه إجلالا ومهابة وحياء ومحبة وخشية»[1].

ويفيد ما سبق أن الإحسان توخى عناصر الحسن في الأعمال والعلاقات، وأن التقصير في شيء من ذلك لا يعد إحسانا.

والجواب النبوي يتضمن أمرين: «أرفعهما أن يغلب عليه مشاهدة الحق بقلبه حتى أنه يراه بعينه وهو قوله: كأنك تراه، أي: وهو يراك. والثانية أن يستحضر أن الحق مطلع عليه يرى كل ما يعمل، وهو قوله: فإنه يراك. وهاتان الحالتان يثمرهما معرفة اللّه وخشيته»[2].

الإحسان - بناء على ما سبق - عبادة للّه تقتضي دوام المراقبة والحذر، وفي الوقت نفسه التزام الطريق المرسوم لتلك العبادة، ويستلزم ذلك أن يُخلص العبد في عبادته، وأن يوافق ما أمر اللّه به ويجتنب ما نهى عنه، وهذا ما عبر عنه الفضيل بن عياض بعبارة لطيفة عند تفسيره لقول اللّه عز وجل: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[3] قال: «أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا. والخالص أن يكون للّه، والصواب أن يكون على السنة»[4].

الإخلاص في العبادة ومراعاة أن تكون صوابًا شرطان أساسيان للإحسان، يضمن أولهما أن يتصرف المرء في عمله وسلوكه مبتغيًا وجه اللّه عز وجل وحده، ومراعيا أنه يراقبه في سره وعلانيته، وأنه مطلع عليه في ذلك كله،

١- مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٢٨/١٥.

٢- فتح الباري، ١/١٢٠.

٣- سورة هود، الآية: ٧، والملك، الآية: ٢.

٤- مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١/٣٣٣.

ويضمن ثانيهما أن تكون العبادة على السنة سواء أكانت من العبادات الخاصة أم من العبادات العامة، وإن كانت السنة في الأولى أظهر، وفي كثير من أنماط الثانية آدابا عامة.

الإحسان مرحلة يصل فيها المرء إلى الإحساس الكامل والدائم بوجود الله عز وجل، وذلك يستلزم أن يعمل وأن يتعامل بناء على ذلك الإحساس، فالإحسان مقام ومنهج في الآن ذاته.

ولا حاجة بنا بعد ذلك ولا قبله إلى أن نبرهن على أن الشعر عمل من الأعمال، وأنه يصدق عليه ما يصدق على غيره، وإن كانت الحاجة ماسة إلى أن نثير الانتباه إلى أن الإحسان فيه مطلوب شرعًا، وأنه لا يتحقق فيه ذلك إلا إذا جمع فيه الشاعر ما أمكنه من شروط الحسن، والإخلال بتلك الشروط ليس إخلالا فقط بشرط من شروط جمال الشعر وحسنه؛ بل هو أكثر من ذلك مخالفة لما أمر الله تعالى به.

وتسعفنا أحاديث عدة في تلمس مظاهر الحسن أو القبح في الشعر:

من ذلك أن النابغة الجعدي لما أنشد الرسول ﷺ رائيته، وبلغ قوله:

ولا خيرَ في حِلْم إذا لم يَكنْ له بَوادرُ تحمي صَفْوه أن يُكَدرا
ولا خيرَ في جَهْل إذا لم يَكنْ له حَليمٌ إذا ما أَوْرَد الأمر أَصْدَرا

قال ﷺ: «أحسنت، لا يفضض الله فاك»[1].

ومنه قوله ﷺ عن شعر عبدالله بن رواحة: «إن أخا لكم لا يقول الرفث»، ثم أنشد قوله:

وفينا رسولُ الله يَتْلو كتابَــــه
إذا انشقَّ مَعروفٌ من الفَجْر ساطعُ

١-مجمع الزوائد، ٨/١٢٩، والنص ٦٧ من (ق. ن).

أَرانا الهُدى بَعد العَمى فَقُلوبنا
به مُوقنات أنَّ ما قَال واقع
يَبِيت يُجَافِي جَنْبه عن فِراشِه
إذا استثقلت بالكافرين المضاجع[1]

ومنه قوله ﷺ: «أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد:
ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطلُ[2].

ومنه أنه ﷺ بعد أن سمع كُبيشة بنت رافع تبكي ابنهاسعد بن معاذحين احتُمل نعشه:

وَيْل أم سَعْد سعْدا | صَرَامة وحَدًّا
وسُودَدا ومجْدا | وفارسا مُعَدا
سُدَّ به مَسدًّا | يَقُدُّ هاما قَدًّا

قال: «كل نائحة تكذب، إلا نائحة سعد بن معاذ»[3].

فهذه أربعة أبواب لاستحسان رسول الله ﷺ للشعر، عبر عن استحسانه لها بخمسة أشكال:

الباب الأول-مكارم الأخلاق، وقد عبر ﷺ عن استحسان الشعر الدال عليها بلفظ «أحسنت».وزاده تأكيدا بالدعاء للشاعر أن لا يفض الله فاه.

والباب الثاني-تجنب الرفث، ومن ذلك التجنب أن يقول الشاعر في مدح الرسول ﷺ، وقد عبر ﷺ عن استحسانه له بذكر الشاعر بخير أمام الملأ، واستحق شعره أن يُحفَظ، وأن يُنشَد، وفيه تنبيه لطيف إلى أن يحفظه

١- صحيح البخاري، ح. ر٦١٥١، ك. الأدب، ب. هجاء المشركين، والنص ٦٦ من (ق. ن).
٢- م. س، ح.ر٦١٤٧، ك. الأدب، ب. ما يجوز من الشعر.
٣- سيرة ابن هشام، ٢٢٠/٣، والنص ٦٤ من (ق. ن).

السامعون لما فيه من الكلام العالي الطبقة.

والباب الثالث-شعر العقيدة السليمة، وإن صدر عن غير مسلم، ففيه ما يدل على اقتراب صاحبه من دائرة الإيمان، وعلى كل حال فما يهم هو هذا الشعر المتضمن لروائع الكلم المعبرة عن العقيدة الصحيحة أفضل تعبير، وقد عبر الرسول ﷺ عن استحسانه بتفضيله على غيره من الشعر تفضيلا مطلقًا، وفيه توجيه لطيف أيضا، ذلك أن البيت كاملا هو:

ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطلُ وكل نعيم لا محالة زائل[1]

ولئن كان الشاعر قد أصاب في الشطر الأول فقد أخطأ في الثاني، ولذلك استحق ما أصاب فيه الذِّكرَ، وما أخطأ فيه الإهمالَ.

والباب الرابع-رثاء المجاهدين الأبطال أمثال سعد، وقد عبر عن استحسانه بتصديق أم سعد؛لأنه ومثله من المجاهدين صدقوا الله ما عاهدوه عليه، فصدق من رثاهم، وكفى أم سعد فخرًا أن يشهد رسول الله ﷺلرثائها ابنَها بأنها صادقة في ذلك الرثاء؛ لأنها لم تقل إلا ما جمعه ابنها من صفات البطولة والشهامة.

تلك نماذج من مظاهر الحسن في الشعر، والتعبير عن استحسانها، ولا تخلو أحاديث أخرى للنبي ﷺ من حديث عن مظاهر القبح في الشعر، والتعبير عن استقباحها، من ذلك قول إحدى الجواري:

وَفِينا نبي يَعْلَم ما في غد

وهو خطأ في العقيدة من لدن مسلمة، ولذلك تدخل رسول الله ﷺ فقال لها:«لا تقولي هكذا، وقولي ما كنت تقولين»[2]، وفي رواية ابن ماجة: «أما هذا، فلا تقولوه، ما يعلم ما في غد إلا الله»[3]، ففيه بيان وجه الخطأ، ودعوة

١- ديوان لبيد، ص: ١٤٤-١٤٩.

٢- صحيح البخاري، ح. ر٤٠٠١، ك. المغازي، باب، والنص ٦٨ من (ق. ن).

٣- صحيح سنن ابن ماجة، ح. ر١٥٥١/١٩٢٤، ك. النكاح، ب. الغناء والدف.

إلى تجنبه، والاكتفاء بما لا غبار عليه.

ومن ذلك أن الرسول ﷺ لما سمع قول كعب بن مالك:

أَلا هَلْ أَتَى غَسَّانَ عنَّا وَدُونهمْ		مِنَ الأَرْضِ خَرْقٌ حَوْلَهُ يَتَقَعْقع

تجَالِدُنا عن حرمنا كل فحمة		كردف لها فيها القوانس تلمع

قال ﷺ: «لا يا كعب بن مالك».

فلما قال كعب:

تجالِدُنا عن ديننا كل فحمة

قال النبي ﷺ: «نعم يا كعب»[1].

فالشاعر المسلم لابد أن يترفع في شعره عن كل عصبية قبلية، وأن يكون دفاعه عن الدين، ولذلك فهم كعب التوجيه النبوي بسرعة، وتدارك خطأه، ثم أتى بالبديل.

وفيه فائدة عظيمة هي أنه قد يكون الفاصل بين الحق والباطل كلمة واحدة كما وقع في البيت، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يلقي لها بالا يرفع الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم»[2]، وفي رواية أخرى عنده أيضا وعند مسلم: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزلّ بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»[3].

يلفت الحديث عن الكلمة انتباهنا إلى كلام رسول الله ﷺ الذي افتتحنا به هذا المبحث: «الشعر بمنزلة الكلام»، ثم يمضي بنا بعيدًا بخصوص الكلمة في اتجاهاتها المختلفة سلبًا وإيجابًا، ويلخصها لنا القرآن الكريم في

١- المعجم الكبير، ح. ر ١٩٢ من الجزء ١٩، والنص ٦٩ من (ق. ن).

٢- صحيح البخاري، ح.ر٦٤٧٨، ك. الرقاق، ب. حفظ اللسان، والنص ٧٨ من (ق. ن).

٣- م.س، ح.ر٦٤٧٧، ك. الرقاق، ب. حفظ اللسان. وصحيح مسلم، ح. ر٢٩٨٨، ك. الزهد، ب. باب التكلم بالكلمة.

تشبيه بليغ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (٢٦) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[١].

هما كلمتان لا غير: كلمة حسنة طيبة، وكلمة قبيحة خبيثة، والفرق الذي تسجله الآيات بين هذه وتلك كامن في حجم التأصل والتعمق والقابلية والثمار، فمن كانت معه «كلمة طيبة أصلها ثابت كان له فرع في السماء يوصله إلى الله، فإنه سبحانه ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[٢]، ومن لم يكن معه أصل ثابت فإنه يحرم الوصول؛ لأنه ضيع الأصول»[٣]، وليس يحرم الوصول فقط؛ بل يحرم الثبات أيضا؛ لأن «الشجرة الخبيثة قد تهيج وتتشابك ويخيل إلى بعض الناس أنها أضخم من التربة الطيبة وأقوى، ولكنها تظل نافشة هشة. وتظل جذورها في التربة قريبة حتى لكأنها على وجه الأرض، وما هي إلا فترة ثم تجتث من فوق الأرض، فلا قرار ولا بقاء»[٤].

بقيت مسألتان نشير إليهما على عجل قبل أن ننتقل إلى المحور الثاني:

الأولى أن حديثنا عن الإحسان اقتصرنا فيه هنا على إحسان العمل لشدة ارتباطه بمفهوم الشعر. والأخرى أن حديثنا عن الكلمة الطيبة اقتصرنا فيه على صفة هذه الكلمة للسبب نفسه، وتركنا الحديث عن ثماره.

١- سورة إبراهيم، الآيات ٢٤-٢٧.

٢-سورة فاطر، الآية ١٠.

٣-مجموع فتاوى ابن تيمية: ١٣/ ١٦٠.

٤-في ظلال القرآن، ص: ٢٠٩٨-٢٠٩٩.

وما تركناه في المسألتين معا له علاقة بوظيفة الشعر، فلذلك اكتفينا ببعض، وأرجأنا الحديث عن البعض الآخر إلى المبحث الثاني من هذا الفصل.

ثانيا- الشعر نفث الشيطان:

في الحديث النبوي: «اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفثه ونفخه... ونفثه الشعر»[١]، ومن ثم فالشعر نفث الشيطان.

والنفث في اللغة «شبيه النفخ، وهو أقل من التَّفْل؛ لأن التّفْل لا يكون إلا ومعه شيء من الرِّيق»[٢].

ويبدو أن تفسير نفث الشيطان بالإيحاء أقرب من تفسيره بالنفخ والتفل؛ لأن القرآن الكريم يشير إلى مثل ذلك في الآية الكريمة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[٣]، ولذلك نرى أن نفثَ الشيطانِ الشعرَ إيحاؤُه به؛ لأن من أفعاله أنه يوحي زخرف القول.

تسعفنا آيات أخرى في فهم الأمر من زاوية أخرى:

في القرآن الكريم: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾[٤]، وتفيد هذه الآيات أمرين:

أولهما-أن الشياطين تنزَّل على الأفاكين.

والآخر -أنّ الأفاكين يُلقون السمع لما توحي به إليهم الشياطين.

وفي الحديث النبوي: «إن الملائكة تنزل في العنان - وهو السحاب - فتذكر

١- مسند أحمد: ح.ر١٦٦٨٤، والنص ١ من (ق. ن).

٢- النهاية في غريب الحديث: ٨٨/٥، مادة «نفث».

٣- سورة الأنعام، الآية ١٢.

٤- سورة الشعراء، ٢٢١-٢٢٣.

الأمر قضي في السماء، فتسترق الشياطين السمع، فتسمعه فتوجه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من أنفسهم»[1]، وفيه أمور يهمنا منها في موضوعنا:

- أن الشياطين تسترق السمع.
- وأنها توجه ما تسمعه -أو بعضه- إلى الكهان.
- وأن الكهان في تواصل مع الشياطين، يلقون السمع لما تفيدهم به من أخبار.

يساعدنا ذلك في فهم الحديث النبوي الخاص بنفث الشياطين الشعر، ويزيدنا إضاءة له أن الحديث عن الشعراء الغاوين في القرآن الكريم ورد مباشرة بعد الحديث عن الأفاكين، قال تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[2].

ففي آيات سورة الشعراء السالفة الذكر أن علاقة الأفاكين والشعراء الغاوين بالشياطين ثابتة بخلاف الشعراء غير الغاوين[3]، وتلك العلاقة تفهم طبيعتها من النصين السابقين المتحدثين عن وظيفة الشياطين ومهامها، وهي على كل حال غير بعيدة عن النفث والإيحاء والإلقاء.

هناك نصوص أخرى مختلفة تسعفنا كذلك في فهم الحديث النبوي

١- صحيح البخاري، ح.ر٣٢١٠، ك. بدء الخلق، ب. ذكر الملائكة صلوات الله عليهم.

٢- سورة الشعراء، الآيات ٢٢١-٢٢٧.

٣- مع الإشارة على أن استئناف الحديث في قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ﴾ بدل القول: «وتتنزل الشياطين على الشعراء» يمكن أن يقدم دلالة أخرى مغايرة، وهي أن الشعراء لا تتنزل عليهم الشياطين. والله أعلم

الشريف الخاص بنفث الشياطين الشعر، ومنها الأشعار الكثيرة التي تحدث فيها الشعراء عن علاقتهم بالشياطين، وحسبنا منها هذه النماذج:

قال الشاعر الجاهلي أمية بن كعب المحاربي:

إنِّي وإن كنتُ حديثا سِنِّي	وكان في العَيْنِ نُبُوٌّ عَنِّي

فإنَّ شيطاني أميرُ الجِنِّ[1]

فهذا الشاعر الذي يُنظر إليه بغير عين الرضا لصغر سنه له شيطان يمده بشعر يفحم خصومه.

وقال حسان بن ثابت[2]:

لا أَسْرِقُ الشُّعراءَ ما نَطَقُوا	إذْ لا يُخَالط شِعْرُهُم شِعري
إني أَبَى لي ذَلِكُمْ حَسَبَي	ومقالةٌ كَمقَاطع الصَّخر
وأَخِي مِنَ الجِنِّ البَصير إذا	حاكَ الكلامَ بأحسنِ الحَبْرِ

وواضح أن أبياته هذه من الشعر الجاهلي؛ لأنه يعتد فيها بحسبه، وأنه هو الذي منعه من سرقة شعر الشعراء.

والبيت الأخير صريح في أن شيطان حسان «يحيك الكلام بأحسن الحبر»، فهو يحيكه محبرًا إياه أحسن تحبير.

فالمقطعان الشعريان يفيدان أن العرب كانت تؤمن بأن الشياطين تمد الشعراء بالشعر، وثمة شواهد شعرية كثيرة غير ما سبق تثبت ذلك[3]، إلا أن بينها وبين ما ذكره رسول الله ﷺ فوارق:

- منها رضا الشعراء بتلك العلاقة مع الشياطين.

١- الحيوان: ١/ ٣٠٠.

٢- ديوان حسان بن ثابت، ص: ١٨٩.

٣- ن. مثلا الحيوان: ١/ ٣٠٠-٣٠١، ومصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين، ص: ١١١-١١٣، وتاريخ النقد الأدبي، ص: ١٢-٢٦.

- ومنها أن تلك الأشعار تتحدث عن الشياطين باعتبارها عنصر حسم للمعركة مع الخصوم.

وقريب مما سبق ما رواه عبدالرزاق في مصنفه عن معمر عن قتادة أنه قال: «لما أهبط إبليس قال: أي رب، قد لعنته، فما عمله؟ قال: السحر. قال: فما قراءَته. قال: الشعر...»[1]، ويوشك أن يكون لفظ «قراءته» تصحيفًا، فقد رأيت الرواية نفسها عند ابن القيم بلفظ «قرآني»[2].

وقد علق ابن القيم على أثر قتادة هذا وعلى رواية لأبي أمامة مرفوعة بقوله: «وشواهد هذا الأثر كثيرة. فكل جملة منه لها شواهد من السنة، أو من القرآن»، ثم أورد شواهد جمله كلها، وشاهد جملة«فما قراءتي؟ قال: الشعر» عنده هو حديث «...أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: من نفخه ونفثه، وهمزه، قال: نفثه الشعر، ونفخه الكبر، وهمزه: الموتة»[3].

والمدخل لفهم أثر قتادة السياق الذي أورده فيه ابن القيم في كتابه «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان»، فقد أورده في سياق الحديث عن الموقف من الغناء، «فالغناء يفسد القلب، وإذا فسد القلب هاج فيه النفاق.وبالجملة، فإذا تأمل البصير حال أهل الغناء، وحال أهل الذكر والقرآن، تبين له حذق الصحابة ومعرفتهم بأدواء القلوب، وأدويتها وبالله التوفيق.فصل: وأما تسميته قرآن الشيطان فمأثور عن التابعين...»[4].

والسؤال هو: ما الذي جعل ابن القيم يفهم من الشعر في الحديث أن المقصود به هو الغناء؟ وما علاقة هذا بذاك؟

١- مصنف عبدالرزاق: ٢٦٨/١١.

٢- إغاثة اللهفان: ٢٦٩/١.

٣- م.س: ٢٤٨/١-٢٤٩. قلت: وقد منعني من إيراد ذلك النص في قسم النصوص تضعيف الهيثمي له في (مجمع الزوائد: ١١٩/١ و ١٢٢/٨)، وابن حجر في (فتح الباري: ٥٤٠/١٠)، والألباني في (الضعيفة: ح. ر١٥٦٤).

٤- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان:٢٦٩/١.

والجواب: أن الغناء شعرٌ بصوت، والتجويدُ أداء صوتي للقرآن الكريم، فلذلك كان الغناء أداء للشعر، كما أن التجويد أداء للقرآن الكريم، فمن ثم سمى قتادة الشعر قرآن إبليس أو قراءته باعتبار ذلك الأداء.

على أن فهم قيمة الشعر عند القوم تسمح لنا بتفسير آخر غير الذي فهم من سياق وروده لدى ابن القيم، ذلك أن الشعر كان هو النص الوحيد لدى العرب زمن البعثة، فمن ثم كان -لارتباطه بالشياطين- قرآنهم، وقرآن إبليس في الوقت نفسه.

على أن في الحديث بقية أجلناها لبعض التدبير؛ إذ إلى الآن لم نفرغ من أمر تلك النظرة النبوية إلى الشعر بربطه بإبليس، وتعوذه منه.

ولنا في ذلك مدخلان:

أولهما- أن أمر التعوذ من الشعر له وجهان: خاص بالنبي ﷺ، وعام يشمله ويشمل غيره من المسلمين.

فأما الخاص فهو أنه ﷺ منع الشعر بنص الآية القرآنية المكية: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ﴾[1]، فإذا كان القسم الأول منها يفيد نفي تعليم الله تعالى له الشعر، ومنعه من قوة قوله وموهبة ذلك، فإن قسمه الثاني يفيد إضافة إلى ذلك أن عليه ألا يسعى إلى تعلمه؛ لأنه حتى وإن تعلمه فلن يقوله، وبديهي أن ذلك كله مرتبط بقول الشعر إنشاء لا إنشادا؛ لأن أمر الإنشاد مختلف حكمًا، فقد رأينا الرسول ﷺ ينشده[2].

وأما العام فهو أنه أثار انتباهنا في حديث إلى أن حجم حضور الشعر في حياتنا اليومية يجب أن يبقى محدودا؛ لأن الأولوية للقرآن الكريم، وذلك

١- سورة يس، الآية ٦٩.

٢- ن. الفصل الثالث «سماع الشعر وإنشاده» من قسم النصوص.

قوله ﷺ: «لأن يمتلئ جوف أحدكم قَيحا، خير له من أن يمتلئ شعرا»[1]، ولذلك بوب له الإمام البخاري في صحيحه بقوله: «ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصده عن ذِكر الله والعلم والقرآن»[2].

والمدخل الآخر هو أننا أُمرنا جميعا - شعراء وغير شعراء - أن نتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وجعل الله عز وجل ذلك من آداب قراءة كتابه، وتمييزًا له عن باقي الكتب: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾[3]، ولم يقصر الاستعاذة منه على مناسبة قراءة القرآن الكريم؛ بل عممها على حياتنا كلها في صراعنا اليومي مع الشيطان: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[4].

فالاستعاذة من الشيطان جزء أساس من برنامجنا اليومي، نستمد بها العون من الله تعالى؛ لأن خصمنا له من المؤهلات ما يجعله يلبس علينا أمورنا كما يفهم من قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[5]، ومن قوله سبحانه: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[6]، ومن

١- صحيح البخاري، ح.ر٦١٥٤، ك. الأدب، ب. ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر...، والنص ٥٧ من (ق. ن).

٢- صحيح البخاري: ٤/١١٤.

٣- سورة النحل: الآيات ٩٨-١٠٠.

٤- سورة الأعراف: الآية ٢٠٠.

٥- سورة الأعراف، الآية١٧.

٦- سورة الأعراف، الآية٢٧.

قوله: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾[١].

على أن ثمة ما يفيدنا في النظر إلى الشعر من زاوية أخرى، فكأن الشعر المتعوذ منه هو الشعر المردود الذي يمجه الإسلام، فقد رأينا النبي ﷺ يحض حسان بن ثابت على قول الشعر دفاعا عن الإسلام والمسلمين، ومن ذلك قوله: «إن روح القدس لا يزال يؤيدك، ما نافحت عن الله ورسوله»[٢]، وقوله له يوم قريظة: «اهجهم - أو هاجهم - وجبريل معك»[٣]، فهذا جبريل عليه السلام سيؤيد حسانًا في قوله الشعر.

وحسان بن ثابت نفسه يسعفنا في الوقوف على المقصود من التعوذ النبوي السالف الذكر، فإذا كان قد مر معنا أن حَسّانا كان يفخر بتلقيه الشعر من الشياطين، وأن شيطانه يحبر له الشعر تحبيرا، فها هو الآن وقد اضطلع بمهمة شاعر الرسول ﷺ يشعر بهذا التحول في مصدر التلقي، فقد سمع مرارًا رسول الله ﷺ يدعو له، ويبشره بتسديد جبريل عليه السلام له في قوله، فيعبر عن ذلك شعرًا كأنه ينسخ مرحلة الاستمداد من الشياطين، وذلك في قوله:

وقافية عَجَّتْ بِلَيْل ثَقِيلةً ... تلقيتُ من جَوِّ السماءِ نُزُولها[٤]

فالشاعر «كان يستعين بالليل على النظم، فتأتيه القافية بكل يسر وسهولة؛ لأنه يتلقاها من جوّ السماء، ومن يتلقى لا يكابد في الاستجلاب؛ بل في التلقي

١- سورة الإسراء، الآية٦٤-٦٥.

٢-صحيح مسلم، ح.ر ٢٤٩٠، ك. فضائل الصحابة، ب. فضائل حسان...، والنص ١٥ من (ق. ن).

٣- صحيح البخاري، ح.ر٤١٢٣، ك. المغازي، ب. مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، والنص ٢٨ من (ق. ن).

٤- ديوان حسان، ص: ٣٢٩.

في حد ذاته، ومن ثم كانت القافية ثقيلة لا من حيث استجلابها؛ بل من حيث قيمتها في التدافع بين الحق والباطل، وكأننا بالشاعر هنا يستلهم طريقة نزول الوحي ويسقطها على طريقة النظم، مع أن الفارق واضح بينهما؛ إذ الشاعر وهو يعبر عن تلقيه القافية من جو السماء لا يعدو أن يكون قد عبر عن مدى السهولة في النظم، وإن كان ذلك لا يمنع أن يدل على معنى زائد وهو أن الشاعر يحس بأنه مُؤيَّد، وليس ذلك فقط؛ بل إنه ما دام كذلك فهو متميز كذلك: متميز من حيث المصدر الذي يستمد منه، ويُسر النظم، وقوته أيضا، وهي قوة مستمدة من قوة المصدر الذي يمده بالقوافي»[1].

١- نصوص الشعر والشعراء، ص: ٣٨٩.

المبحث الثاني: وظيفة الشعر

لما كان الشعر ديوان حياة العرب، وعصب ثقافتهم، صار السؤال عن جدوى الشعر عملية تحصيل حاصل، وفي هذه الحال يصير العجب أن لا تكون له وظيفة؛ لأن احتفاءهم بالشعر، وحضوره القوي في مختلف مظاهر حياتهم يجعله ركنًا من أركان تلك الحياة، وما دام كذلك فإن جزءًا منها متوقف عليه، وقد عبر الشعراء عن ذلك مرارًا، فذكروا أنه وسيلة إحداث تأثير في السامع، ودفاع، وإشهار، وقضاء للحاجات[١]، هذا عن حال الشعر في الحياة اليومية للإنسان العربي زمن البعثة، فماذا عن حاله في الإسلام؟

تفيد النظرة الأولى المصنِّفة لما جمعناه من أحاديث الشعر والشعراء حضورها القوي والنوعي في الحياة اليومية للمسلمين، وفي مختلف مظاهرها: فهو يبدأ معهم منذ انتهائهم من صلاة الصبح[٢]، ويرافقهم في أعمالهم[٣]، وفي مناسباتهم الاجتماعية[٤]، وفي سفرهم[٥]، ثم في جهادهم[٦]، وذلك يعني أنه جزء من حياة المسلمين كذلك، وحسبنا هنا هذه النتيجة، وهي على كل حال نتيجة نجعلها مقدمة نرسم انطلاقًا منها، صورة لفاعلية الشعر في الحياة الإسلامية.

١- مصطلحات النقد العربي، ص: ١٠٦-١٠٨.

٢-صحيح سنن الترمذي، ح. ر٢٨٥٠، ك. الأدب، ب. ما جاء في إنشاد الشعر، والنص ٣٨ من (ق. ن).

٣- صحيح البخاري، ح.ر٣٠٣٤، ك. الجهاد والسير، ب. الرجز في الحرب...، صحيح البخاري، ح.ر٣٩٠٦، ك. مناقب الأنصار، ب. هجرة النبي ﷺ وأصحابه...، والنص ٣، ٤ من (ق. ن).

٤- مسند أحمد، ح.ر١٦٦٥٨، صحيح سنن ابن ماجة، ح.ر١٥٥٤/١٩٢٧، ك. النكاح، ب. الغناء والدف، والنص ٥ من (ق. ن).

٥- صحيح البخاري، ح. ر٤١٩٦، ك. المغازي، ب. غزوة خيبر، و ح.ر٦١٦١، ك. الأدب، ب. ما جاء في قول الرجل ويلك، والسنن الكبرى للنسائي، ح.ر٨٢٥٠، ك. المناقب، ب. عبدالله بن رواحة، والنص ٨، ٩، ١٠ من (ق. ن).

٦- مصنف عبدالرزاق، ح.ر٢٠٥٠٠، وصحيح البخاري، ح. ر٤٥٣، ك. الصلاة، ب. الشعر في المسجد، وح.ر٤١٤٥، ك. المغازي، ب. حديث الإفك...، والنص ١٢، ١٣، ١٤ من (ق. ن).

يمكن تأثيث مشهد فاعلية الشعر بعناصر نلمّ شعثها في محورين كبيرين: الوظيفة الجهادية، والوظيفة النفسية الاجتماعية:

أولا-الوظيفة الجهادية:

كذا سماها رسول الله ﷺ كما يلاحظ من قوله: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»[١]، وهو مشعر أنه جهاد لا يقل عن الجهاد بالنفس والمال.

وللوظيفة الجهادية في أحاديث الشعر والشعراء واجهتان: واجهة دفاعية، وواجهة هجومية، ومن ثم فالشعر يؤدي، جهاديًّا، وظيفتين: المنافحة، والهجوم.

١- وظيفة المنافحة:

المنافحة عن الله ورسوله والإجابة عنهما هي الوظيفة الجهادية الأولى للشاعر، وفي هذه الحال تكون مهمته أن يجيب من يعتدي على الأمة ومقوماتها ويرد عليه، ومن أبرز أمثلة ذلك أنه لما انهزم المشركون يوم بدر أطلقوا العنان لشعرهم يهجون رسول الله ﷺ والمسلمين، محاولين الانتصار بالشعر بعد هزيمتهم في معركة السيف، ثم استمرت معركة الشعر هذه إلى حدود فتح مكة.

ذلك السياق هو الذي جعل النبي ﷺ يحض شعراء المسلمين على الرد على المشركين، وإجابتهم، دفاعا عن الإسلام والمسلمين، ومن ذلك قوله لحسان: «يا حسان، أجب عن رسول الله ﷺ، اللهم أيده بروح القدس!»[٢]، وفي الحديث أمور في غاية الأهمية:

- أولها: اصطفاء حسان، وما أدراك من حسان: شاعرية وقدرة على إفحام الخصم!.

١-سنن أبي داود، ح.ر٢٥٠٤، ك. الجهاد، ب. باب كراهية ترك الغزو، والنص ١٦ من (ق. ن).

٢- صحيح البخاري، ح.ر٤٥٣، ك. الصلاة، ب. الشعر في المسجد، والنص ١٣ من (ق. ن).

- وثانيها: أمر.
- وثالثها: دعوته للإجابة، وهي هنا بمعنى الرد.
- ورابعها: حصرٌ للمهمة في الإجابة عن رسول الله ﷺ، ففيه أن المشركين هجوه، فاقتضى الأمر الرد عليهم.
- وخامسها: نبل المهمة التي كلف بها حسّان وأهميتها، كما يُفهم من الدعاء؛ إذ إنما يكون الدعاء بالتوفيق لمن كان في مهمة نبيلة.
- وسادسها: الدعاء لحسّان بالتوفيق، وهو مشعر له أنه سيكون مدعومًا، وأن المهمة التي كُلف بها جليلة، وعليه أن يستحضر ذلك في رده على المشركين.
- وسابعها: رجاء من الله تعالى أن يكون التوفيق ملموسًا من خلال دعم جبريل عليه السلام لحسّان.

تلك بعض فوائد حديث واحد، ولننظر إليه الآن من زاوية أخرى:

في حديث آخر أن رسول الله ﷺ أرسل إلى عبدالله بن رواحة وكعب بن مالك طالبًا منهما الرد على المشركين فلم يقنعه ردهما ولم يرضه، ثم أرسل إلى حسان، فرد بقصته التي فيها:

هَجَوتَ محمدا فأجبتُ عنه — وعند الله في ذاك الجَزَاءُ
هجوت مُحمَّدا بَرّا تَقيا — رسولَ الله شِيمَته الوَفاء
فإنَّ أبي وَوَالده وعرضي — لعِرض محمد منكم وِقَاء
ثَكِلَت بُنَيّتي إن لم تَروها — تُثِير النَّقْع من كَنَفَي كَدَاء

إلى أن يقول:

لنا في كل يومٍ من مَعَدّ — سِبَاب أو قتال أو هِجَاء
فمن يهجو رسولَ الله منكم — ويَمدحهُ وينصره سَوَاء
وجبريلٌ رسولُ الله فينا — وروحُ القدْس ليس له كِفَاء

عَدِمْت ثَنِيتي إنْ لم تَروها تُثِير النَّقع من كَتِفَي كَدَاء

ففي القصيدة إشعار للمشركين أن هجاءهم للرسول ﷺ خطأ جسيم لأسباب:

- لأن الأمر يتعلق برسول الله ﷺ.
- ولما له من خصال حميدة.
- ولأن المسلمين يفْدون رسولهم بأبنائهم وأعراضهم.
- ولأن الرد على المشركين عبادة.
- ولأن جبريل عليه السلام يدعم المسلمين في الرد على المشركين ومجاهدتهم.

ذلك كله يجعل معنويات المسلمين عالية، ويجعل شاعرهم المعبر عنهم بما يملك من سلطة الإعلام يتوعدهم بما ينتظرهم من سوء العاقبة، وينذرهم بالهزيمة المنكرة التي تنتظرهم.

تلك المعاني وغيرها مما تضمنته باقي أبيات القصيدة هي التي جعلت الرسول ﷺ يقول عن رد حسان: «هجاهم حسان فشفى واشتفى»[1]. أما أنه شفى، فمفهوم، فقد أغاظ المشركون المسلمين لما هجوا رسول الله، ولذلك كان الرد شافيًا للمسلمين، وفي القرآن الكريم نقرأ قول الله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2].

وأما أنه اشتفى، فلأسباب:

١–م.س.

٢– سورة التوبة، الآية ١٤–١٥.

- لأن حسانا من المسلمين.

- ولأنه شاعر، والهجوم هذه المرة شعري، والمعركة دائرة في الميدان الذي يجيد حسان القول فيه، أي في دائرة تخصصه.

- ولأن العيون والآذان متطلعة نحوه، ولاسيما بعدما لم يُرض المسلمين رَدُّ عبدالله بن رواحة وكعب بن مالك.

- ثم لأن حسانا كان يتحرق لمثل هذه المهمة، وكله لهفة أن تأتي اللحظة التي يتدفق شلال شعره، ولذلك رأيناه بعد أن أرسل إليه الرسول ﷺ يقول وقد دخل عليه: «قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذَنَبه، ثم أدلع لسانه فجعل يحركه، فقال: والذي بعثك بالحق لأَفْرِينهم بلساني فري الأديم»[1]، فهذا كلام شاعر كان ينتظر هذه اللحظة قابضا على الجمر، وقد آن له أن يطلق فيها العنان للسانه ليفري به المشركين فري الأديم.

استعمل حسان مرتين لفظ الفري:

- مرة مفردا بصيغة المضارع المؤكد باللام والنون «لأفْرِينهم»، إشارة إلى شدة ثقته بنفسه، وقدرته على إنجاز المهمة على أحسن وجه.

- وأخرى مصدرا مضافا إلى الأديم«فري الأديم»، فهو ليس أي فري؛ بل فري الأديم.

قال ابن الأثير: «وأصل الفري: القطع، يقال: فريت الشيء أفريه فريا إذا شققته وقطعته للإصلاح...ومنه قول حسان: لأفرينهم فري الأديم؛ أي أقطعهم بالهجاء كما يقطع الأديم. وقد يكنى به عن المبالغة في القتل»[2].

ما علاقة الهجاء بقطع الجلد قطعا؟ الجواب من زاويتين:

١- صحيح مسلم، ح.ر٢٤٩٠، ك. فضائل الصحابة، ب. فضائل حسان، والنص ١٥ من (ق. ن).

٢- النهاية في غريب الحديث: ٤٤٢/٣ مادة «فرا».

- من زاوية الهدف، فمقصود الشاعر أن يؤلمهم غاية الإيلام، بأن يفعل فيهم الشعر فعل السكين، كما قال امرؤ القيس:

وجُرْح اللّسان كجُرح اَلْيَد[1]

- ومن زاوية القائل، فالشاعر يحس أن مثله الأعلى وقدوته قد أوذي بالهجاء، فلذلك لا يشفيه سوى أن يرى شعره يمزق المشركين تمزيقا، ويؤذيهم غاية الإيذاء.

ولذلك لم يشف الجرح الذي جُرحه حسان إلا ما قاله من شعر أحس أنه أجاد فيه، وحقق مبتغاه، ولاحظ رضا الرسول ﷺ عنه، وآية ذلك أنه سمعه يقول: «إن روح القدس لا يزال يؤيدك، ما نافحت عن الله ورسوله»[2]، فلقد كانت مهمته إذن موفقة، وكان ما قاله من شعر منافحة عن الله ورسوله، ومن ثم كان مؤيدًا، وسيظل كذلك ما وظف شعره لتلك المهمة.

٢- وظيفة الهجوم:

وهي الوظيفة الجهادية الثانية للشاعر، فقد قال النبي ﷺ لحسان يوم قريظة: «اهجهم أو هاجهم وجبريل معك»[3]، فالسياق المحدد لنوع الوظيفة يفيد أن المهمة جهادية، وأن المرحلة الآن مرحلة الهجوم؛ لا مجرد الدفاع كما رأينا من قبل بُعَيد غزوة بدر إلى حدود الفتح في اتجاه مشركي قريش.

ولئن كان المسلمون الآن في مرحلة الهجوم، فإن الإطار العام للوظيفة لم يتغير، ذلك أن الشاعر مؤيد بجبريل عليه السلام في جميع الأحوال: سواء أكان مدافعًا، أم كان مهاجمًا، وهذا التأييد يشعره بأن جهاده لا يقل أهمية عن الجهاد بالسلاح، وبالمال، فلكل معركة سلاحها، ورُب لحظة يكون

١- ديوان امرئ القيس: ص: ١٨٥.

٢- صحيح مسلم، ح.ر٢٤٩٠، ك. فضائل الصحابة، ب. فضائل حسان...، والنص ١٥ من (ق. ن).

٣- صحيح البخاري، ح.ر٤١٢٣، ك. المغازي، ب. مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، والنص ٢٨ من (ق. ن).

فيها الشعر أشد فتكًا بالأعداء من السلاح.

على أن الرسول ﷺ لم يكتفِ فقط بربط الشعر بالجهاد، وإثارة الانتباه إلى أنه لا يقل أهمية عن الجهاد بالمال والأنفس، بل أضاف إلى ذلك أنْ بيّن حجم الأثر الذي يتركه، وهو على كل حال يفوق بكثير الأثر الذي يتركه الجهاد بالسلاح والمال؛ لأنه يغور في الأنفس ويستنزفها من الداخل، وأثره لا يقتصر على من شهد المعركة؛ بل يشمل كل عدو، و يلحق عشيرته وذريته وقبيلته.

روى الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «اهجوا قريشا، فإنه أشد عليها من رشق بالنَّبْل»[1]، وقد قال ذلك لما بلغه ما هجاه به المشركون بعد غزوة بدر، فالسياق هنا سياق حرب من نوع آخر غير النوع الذي فرغ منه المسلمون في بدر، والسلاح هنا عابر للمسافات، يقطع الفيافي التي بين مكة والمدينة بسرعة، ويصل طريا، غضا، محافظا على قوته وفعاليته.

وفي مناسبة أخرى لما دخل النبي ﷺ مكة في عمرة القضاء جعل عبدالله بن رواحة ينشد - وعيا منه بحجم الأثر الذي يتركه الشعر-بين يدي رسول الله ﷺ:

اليومَ نَضْرِبْكُمْ على تنزيلهِ خلوا بني الكفار عنسبيلهِ

ويذهل الخليل عن خليلهِ ضربا يُزيل الهامَ عن مَقيلهِ

ولما اعترض عمر على تصرف عبدالله؛ لأنه بين يدي رسول الله ﷺ، وفي حرم الله تعالى، قال له النبي ﷺ: «خل عنه يا عمر، فلهي أسرع فيهم من نضح النَّبْل»[2].

١-صحيح مسلم، ح.ر٢٤٩٠، ك. فضائل الصحابة، ب. فضائل حسان...، والنص ١٥ من (ق. ن).

٢- صحيح سنن الترمذي، ح.ر٢٨٤٧، ك. الأدب، ب. ما جاء في إنشاد الشعر، والنص ١٧ من (ق. ن).

لابد أن نتذكر هنا أن المناسبة لا مجال فيها للسلاح، لأن عمرة القضاء(٧هـ) تنفيذ للشطر الثاني من الاتفاقية المبرمة في صلح الحديبية(٦هـ)، وكان بموجبها عقد الهدنة لعشرة أعوام، وأن لا يدخل المسلمون مكة إلا بعد عام الصلح: «وكان في شرطهم حين كتبوا الكتاب أنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه...وإنك ترجع عنا عامنا هذا فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فتدخلها بأصحابك، وأقمت فيهم ثلاثا معك سلاح الراكب، لا تدخلها بغير السيوف في القرب»[١]، فالمرحلة مرحلة سلم، والشعر سيد الموقف كما يقال.

ولنا أن نتساءل: ما علاقة الشعر برشق النَّبْل ونضحه؟

لا يخلو التشبيه من فوائد يتسم بها كلام النبي ﷺ، باعتباره أوتي «جوامع الكلم»[٢]، فالرسول ﷺ«لم يشبِّه بالقرع بالسيوف مادام الشاعر لا يلتقي بعدوه؛ بل يرميه من بعيد، ثم لا يقذفه كيفما اتفق؛ بل يسدد ويقارب ويحرص أن لا يضيع النَّبْل سدى، والنضح بالنَّبْل الرمي، «نضحناهم بالنَّبْل نضحا: رميناهم ورشقناهم، ونضحناهم نضحًا، وذلك إذا فرقوها فيهم... ونضَحَ الرجل عن نفسه إذا دافع عنها بحجة»[٣]، وبذلك يظهر أن تشبيه الشعر بنضح النَّبْل ليس فقط لغرض الربط بين الرد على المشركين والجهاد؛ بل لبيان مزية زائدة هي نفس مزية الرمي بالنَّبْل على استعمال وسيلة حربية أخرى.

ولأن هذا الشعر يشبه النضح بالنَّبْل فإنه مصيبٌ هدفَه لا محالة، مادام الأصلُ في النضح الرَّش[٤]، على أنه – باعتبار أصله – يفيد فائدة أخرى؛ إذ

١– مسند أحمد، ١٤/٣٠٧–٣٠٨، ح. ر ١٨٨١٢.

٢– صحيح البخاري، ح.ر٢٩٧٧، ك. الجهاد والسير. باب قول النبي ﷺنصرت بالرعب.

٣– لسان العرب: ٢/٦٢٠ مادة«نضح».

٤– مقاييس اللغة: ٥/٤٣٨ مادة«نضح».

يقتضي النضحُ تفريقًا للمنضوح، ذلك أن النضح بالنَّبْل يفيد التفريق«كما يفرق الماء بالرش»[١].

والشاعر مثل الناضح بالنَّبْل- وهو يهجو المشركين - إنما يهاجمهم، وفي الوقت ذاته يدافع عن نفسه وأصحابه، لأن نضح عن نفسه في اللغة«ذب ودفع»[٢]، وإنما يدافع عنها بما يملك من حجج وبراهين، ومن ثم يتحول الشعر إلى مناسبة للسجال والتدافع الفكري، وهو معنى يحتمله اللفظ لغة كذلك، ففي مقاييس اللغة«ونضح عن نفسه كأنه رمى عنها بالحجة»[٣]، وفي لسان العرب:«ونضح عن نفسه إذا دافع عنها بحجة»[٤].

فما سبق يظهر أن تشبيه الهجاء بالشعر بنضح النَّبْل ليس فقط لأن الشعر رمي كرمي النَّبْل؛ بل أيضا لأنه يستحضر حمولة دلالية زائدة [٥].

وإذا كان ما سبق خاصا بمناسبة الهجوم الشعري للمشركين على المسلمين، وبدخول المسلمين مكة في عمرة القضاء، فإننا في مناسبة أخرى نجد أن الرسول ﷺ يقول: «إن المؤمن يجاهد بنفسه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأنما يرمون فيهم به نضح النَّبْل»[٦].

ففي الحديث الأول يقول: «فإنه أشد عليها من رشق بالنَّبْل»[٧]، وفي الثاني يقول: «فلهي أسرع فيهم من نضح النَّبْل»[٨]، بينما يقول في الثالث: «لكأنما

١- أساس البلاغة: ص: ٦٣٧ مادة«نضح».

٢- لسان العرب: ٦٢٠/٢ مادة«نضح».

٣- مقاييس اللغة: ٤٣٨/٥ مادة«نضح».

٤- لسان العرب: ٦٢٠/٢ مادة«نضح».

٥- نصوص الشعر والشعراء، ص: ٥١٠.

٦- مصنف عبد الرزاق: ح. ر٢٠٥٠٠، والنص ١٢ من (ق. ن).

٧-صحيح مسلم، ح.ر٢٤٩٠، ك. فضائل الصحابة، ب. فضائل حسان...، والنص ١٥ من (ق. ن).

٨- صحيح سنن الترمذي، ح.ر٢٨٤٧، ك. الأدب، ب. ما جاء في إنشاد الشعر، والنص ١٧ من (ق. ن).

يرمون فيهم به نضح النَّبْل»[1] ، فكيف نجمع بين الأمرين: كونه أشد أو أسرع من النضح بالنَّبْل، وبين كونه مثله؟

يفيدنا السياق كثيرًا في الإجابة عن ذلك:

ففي النصين الأولين: يعيش المسلمون حربا بغير سيوف ورماح...وغير ذلك من عتاد المحاربين، فهذه الأنواع من الأسلحة كانت لحظتها معطلة الوظيفة؛ لأن المعركة الآن سلاحها الشعر،ولذلك كان هذا السلاح في هذه المناسبة بالذات أولى وأقوى، فاللحظة لحظته، هذه واحدة، والحَكَم فيها السياق.

والثانية أن الشعر ينشد في الرد على مشركي قريش وفي عمرة القضاء، وفي الحالين معا سيصل حتمًا إلى الخصوم، وما دامت المرحلة مرحلة حرب باردة، فالعدو يعمل جاهدا من أجل أن يجمع أكبر قدر من المعلومات عن عدوه، وهو ما يجعل الشعر يصل سريعا،وفي الوقت نفسه يفعل فيهم ما لا تفعله النَّبْل، وهذه الثانية، والحَكم فيها السياق أيضًا.

والثالثة هي أن أثر الشعر يتحقق بمجرد إجادة القول من لدن القائل، والتقاط سمع السامع له، فيسري سريان النار في الهشيم، وهو يصيب الأفراد الكثيرين في الطلقة الواحدة، بخلاف النَّبْل، فمن ثم يجمع بين شدة الأثر وسرعة وصوله وانتشاره، فهو ذو فعالية عالية.

وأما قوله الآخر: «لكأنما يرمون فيهم به نضح النَّبْل»، فمناسبته مختلفة تماما، فقد ورد في سياق الجواب عن سؤال كعب بن مالك عن حكم الشعر، ومن ثم فالقصد هنا أن يبين الرسول ﷺ قيمة الشعر وحكمه؛ لا أن يوازن بينه وبين غيره من حيث الفعالية، ولذلك اكتفى بالإشارة إلى أنه جهاد كالجهاد بالنفس والمال، وجعل الجهاد باللسان كالجهاد بالنفس.

١-صحيح مسلم، ح.ر.٢٤٩٠، ك. فضائل الصحابة، ب. فضائل حسان...، والنص ١٥ من (ق. ن).

فلما اختلفت المناسبة والسياق، اختلفت زاوية النظر إلى وظيفة الشعر، وإن ظلت في إطارها العام هي هي، فالشعر من حيث هو جهاد شبيه بالجهاد بالنفس والمال، ولكن من حيث أثره فهو في عدد من الحالات أكثر فعالية، كما أن الجهاد بالسيف في حالات الالتحام أكثر فعالية.

ثالثا- الوظيفة النفسية الاجتماعية:

شدة علقة نفوس العرب بالشعر جعلتهم يتخذونه مؤنسًا لهم ومحفزا في مختلف مظاهر حياتهم، ومن ثم تداخلت فيه الوظيفة النفسية مع الاجتماعية، ولقد حافظت الأحاديث النبوية الخاصة بالشعر والشعراء على هذه الوظيفة، وإن كانت قد وسمتها بميسم مختلف بما له من مسحة عقدية وتعبدية ترفع المعنويات أكثر، ومن ثم نرى الشعر في النصوص المجموعة حاضرا في الحضر والسفر، والعمل والراحة.

وبدأ توظيف الشعر مباشرة بعد وصول الرسول ﷺ إلى المدينة بعد الهجرة وشروعه في بناء المسجد، فقد «طفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللَّبِن في بنيانه، ويقول وهو ينقل اللَّبِن:

هـذا الحِـمـالُ لا حِـمـالَ خَيْبَرْ   هــذا أبــرُّ ربَّـنـا وأطـهــرْ

ويقول:

اللهم إنَّ الأجرَ أجرُ الآخره   فارحم الأنصارَ والمهاجره[1]

فهذا توظيف للشعر في العمل، وشبيه به ما وقع يوم الخندق، فلقد كان ﷺ ينقل التراب، «حتى وارى التراب شعر صدره، وكان رجلا كثير الشعر، وهو يرتجز برجز عبدالله بن رواحة:

١- صحيح البخاري، ح.ر٣٩٠٦، ك. مناقب الأنصار، ب. هجرة النبي ﷺ وأصحابه.....، والنص ٤ من (ق. ن).

اللهم لولا أنتَ ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلنْ سَكينة علينا وثَبِّت الأقدام إن لاقينا
إن الأعداء قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبَيْنا

يرفع بها صوته»[١].

واضح من هذين النصين أن الشعر هنا عامل من عوامل إنجاح العمل وإتمامه، وأن تحقيق هذا الهدف الاجتماعي يمر عبر تحريك النفوس وتحميسها لجعلها تعمل في جو من الحماس والمرح، متسلية بذلك عما تكابده من مشقة العمل وتعبه.

والحقيقة أن مشاركة الرسول ﷺ للمسلمين في العمل وحدها كافية لتجعلهم يبذلون قصارى جهودهم، وكان يمكن الاكتفاء بقدوته في ذلك، ولكن لحضور الشعر قيمة مضافة، فالهدف ليس فقط مضاعفة الجهد، وإنجاز العمل في أقصر مدة؛ بل أن ينجز في جو من السعادة والنشاط كذلك، وهذه مهمة يضطلع بها الشعر.

ومن باب الاستئناس ما نراه لدى ابن هشام في سيرته من وصف لأجواء هذا النشاط وكيفيته: «قال ابن إسحاق: وعمل فيه[٢] المسلمون حتى أحكموه، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين، يقال له جُعَيل، سماه رسول الله ﷺ عمرا فقالوا:

سماه من بعد جُعَيل عمْرا وكان للبائس يوما ظَهْرا

فإذا مروا «بعمرو» قال رسول الله ﷺ: «عمرا»، وإذا مروا «بظهر» قال

١- صحيح البخاري، ح. ر٣٠٣٤، ك. الجهاد والسير، ب. الرجز في الحرب...، والنص ٣ من (ق. ن).
٢- أي: الخندق.

رسول الله ﷺ: «ظَهْرا»[1].

فإدارة العمل كانت تتم من خلال الإنشاد الجماعي والمتناوب؛ وهو ما يضفي عليه مسحة خاصة من النشاط المرح، وهذا بدوره ينعكس على مستوى المردودية، فتكون النتيجة أفضل ما تكون، وتكون النفوس في أكثر حالات نشاطها وحماسها؛ لأنها تجد في العمل والجو الذي يتم فيه لذة بسبب ذلك الجو.

الوظيفة الاجتماعية والنفسية حاضرة كذلك في السفر: وتظهر النصوص أن ذلك كان عادة في أسفار النبي ﷺ، فقد «كان البراء بن مالك رجلا حسن الصوت، فكان يرجز لرسول الله ﷺ في بعض أسفاره...»[2]، و«كان رسول الله ﷺ في سفر، وكان معه غلام له أسود يقال له: أنجشة، يحدو...»، وفي رواية عند الإمام أحمد في مسنده:«أن البراء بن مالك كان يحدو بالرجال،وأنجشة يحدو بالنساء»[3]، فالأمر فيه استمرارية وتخصص.

ومن الفوائد أن رواية عند الإمام أحمد فيها أن الحداء كان في حجة الوداع[4].

وبدهي أن هذا الحداء كان يتم بالشعر، ودليل ذلك ما رواه البخاري في

١-سيرة ابن هشام: (١٨٧/٣-١٨٨). وسند ابن إسحاق: «حدثني يزيد بن رومان مولى آل الزبير، عن عروة بن الزبير، ومن لا أتّهم، عن عبدالله بن كعب بن مالك، ومحمد بن كعب القرظي، والزُّهري، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبدالله بن أبي بكر، وغيرهم من علمائنا، كلهم قد اجتمع حديثه في الحديث عن الخندق، وبعضهم يحدث ما لا يحدث به بعض، قالوا:... »، فعروة بن الزبير «ثقة فقيه مشهور من الثالثة» (التقريب: ١٥/٢، وعبدالله =بن كعب بن مالك «ثقة» (م.س، ٣٣١/١)، ويزيد بن رومان «ثقة من الخامسة» (م.س: ٢٧٩/٢)، ومحمد بن كعب القرظي «ثقة عالم من الثالثة» (م.س: ١٥٨/٢)، وعاصم بن عمر بن قتادة «ثقة عالم بالمغازي من الرابعة» (م.س: ٢٨٨/١)، والزهري «الفقيه الحافظ متفق على جلالته وإتقانه وهو من رؤوس الطبقة الرابعة» (م.س، ١٦٢/٢).

٢- المستدرك، ح. ر: ٨٧١/٥٢٧٣، والنص ١١ من (ق. ن).

٣- مسند أحمد، ح.ر ١٣٦٩٥، بإسناد صحيح.

٤- مسند أحمد، ح.ر ٢٦٧٤٤.

صحيحه عن سلمة بن الأكوع أنه قال: «خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلا، فقال رجل من القوم لعامر: يا عامر، ألا تسمعنا من هُنَيَّاتك[1]! وكان عامر رجلا شاعرا، فنزل يحدو بالقوم، يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تَصدَّقنا ولا صَلَّينا

فاغفر فداءً لك ما أبْقَينا ... وألقِيَنْ سَكينة علينا

وثَبِّت الأقدام إن لاقَينا ... إنا إذا صِيح بنا أتينا

وبالصياح عوَّلوا علينا

قال رسول الله ﷺ: «من هذا السائق؟»قالوا: عامر بن الأكوع [2].

ففي الحديث فائدتان:

أولاهما: أن ما فعله عامر حداء.

والآخر: أن هذا الحديث يفيدنا في وجود حاد آخر إضافة إلى البراء بن مالك وأنجشة، هو عامر بن الأكوع.

وفي حديث آخر حاد رابع، هو عبدالله بن رواحة، فقد روى النسائي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «قال رسول الله ﷺ لعبدالله بن رواحة:«لو حركت بنا الركاب»...قال:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تَصَدّقنا ولا صَلَّينا

فأنزلنْ سَكِينةً عَلَينا ... وثبِّت الأقدام إن لاقينا

فقال رسول الله ﷺ:«اللهم ارحمه».فقال عمر: وجبت»[3].

فهؤلاء حداة حدوا برسول الله ﷺ والمسلمين في مناسبات مختلفة كان

١- هنياتك: تصغير هناتك، أي كلماتك. النهاية في غريب الحديث: ٥/٢٧٩ مادة «هنا».

٢- صحيح البخاري، ح.ر ٤١٩٦، ك. المغازي، ب. غزوة خيبر، والنص ٨ من (ق. ن).

٣- السنن الكبرى للنسائي، ح.ر٨٢٥٠، ك. المناقب، ب. عبدالله بن رواحة، والنص ١٠ من (ق. ن).

آخرها حجة الوداع، وكان الحداءمرة تلقائيا، وثانية بطلب من الرسول ﷺ كما في نص عبدالله بن رواحة الآنف الذكر، وثالثة بطلب من المسلمين.

وقيمة الحداء بالشعر يكشف عنها الحديث النبوي الآنف الذكر، ففيه أن الرسول ﷺ قال لابن رواحة: «لو حركت بنا الركاب»[1]، فمهمة الحادي، بناء على ذلك أن يحرك الركاب، ومن ثم يكون في إنشاد الشعر تنشيط وتحميس، فهو ينسي تعب السفر، ويدفع نحو بذل طاقة قصوى في الحركة استمتاعا بالشعر المنشد، ونسيانا لحجم الجهد المبذول في الرحلة.

ويبدو أن الحداء بالشعر لا يُقصد به فقط تحريك الرِّكاب، بل أيضا تحميس الرُّكاب وتنشيطهم، فإذا كان السفر يتعبهم، فإن مهمة الحداء أن يجعلهم ينسون ذلك التعب، وينشغلون عنه بما يسمعونه، وفي الوقت نفسه يجعلهم لا يشعرون بالمسافات الطويلة، فيكون من مهمة الشعر أيضا أنه يقصر المسافات، ويؤثر في الإحساس بها.

وقد يكون المقصود إضافة إلى ما سبق أن يبقى الجيش يقظا في حالة تأهب، وهو أمر متعذر مع السفر وتعبه، فمن ثم يكون الحداء بالشعر بمثابة منبه يساعد على تلك الروح اليقظة المتوثبة.

وثمة ما يفيد أن رسول الله ﷺ كان أحيانا يرغب في سماع الشعر من رديفه، فقد روى مسلم عن الشريد أنه قال: «ردفت رسول الله ﷺ يوما فقال: «هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟قلت: نعم. قال: «هيه». فأنشدته بيتا، فقال:«هيه»....حتى أنشدته مائة بيت»[2].

وفيه فوائد:

أولها: أن الرسول ﷺ تسلّى بالشعر في ركوبه.

١- م. س.

٢- صحيح مسلم، ح.ر٢٢٥٥، ك. الشعر، والنص ٣٧ من (ق. ن).

وثانيها: أن رديفه الشريد كان راوية للشعر.

وثالثها: أن الشريد هو من أنشده شعرًا.

ورابعها: أن الإنشاد كان بطلب من الرسول ﷺ.

وخامسها:أن الرسول ﷺ حدد الشعر الذي يرغب في سماعه، وهو شعر أمية بن أبي الصلت.

وسادسها: أن أمية شاعر مشرك، ومع ذلك سمع الرسول ﷺ شعره لما عُرف به شعره من حكمة وجودة، ففي رواية أخرى في صحيح مسلم أن الرسول ﷺ قال بعد سماعه الشعر: «فلقد كاد يسلم في شعره»[1].

وسابعها: أن الرسول ﷺ كان يحض الشريد على مواصلة الإنشاد.

وثامنها: أنه سمع مائة بيت بتمامها.

فهذه مناسبة واحدة سمع فيها الرسول ﷺ بطلب منه مائة بيت ، فالشعر إذًا كان عاملا مساعدا في تحرك المسلمين وسفرهم، وأنه لذلك حرص الرسول ﷺ على توظيفه في أسفاره، وكلّف به شعراء كما رأينا، لما لاحظه من قوة فاعليته في التخفيف من حدة التعب، وتنشيط الركاب، وتسريع حركتها.

على أن الوظيفة الاجتماعية والنفسية حاضرة كذلك في مناسبات أخرى غير العمل والسفر، ففي أوقات الراحة، وفي الأعراس وغيرها يحضر الشعر أيضا، وحسبنا من ذلك حديثان في مناسبتين مختلفتين:

فقد روى ابن ماجة عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال:«أنكحت عائشة ذات قرابة لها من الأنصار، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أهديتم الفتاة؟». قالوا: نعم. قال: «أرسلتم معها من يغني؟». قالت: لا. فقال رسول الله ﷺ:...فلو بعثتم معها من يقول:

١- م. س.

أتيـنــاكــم أتيـنــاكــم فحيــانــا وحياكم

وروى الترمذي عن جابر بن سمرة قال: «جالست النبي ﷺ أكثر من مائة مرة، فكان أصحابه يتناشدون الشعر، ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت، فربما تبسم معهم»[1].

فهذان حديثان:

أولهما: خاص بمناسبة النكاح، ينصح الرسول ﷺ فيه بأن يُوظف الشعر المغنى في النكاح، إشهارًا وتنشيطًا.

والآخر: خاص بالمجالس العادية للمسلمين، وهي مجالس كان يحضرها رسول الله ﷺ؛ صحيح أنه لا يشاركهم الإنشاد، ولكن سماعه حينا، وتبسمه حينا آخر دالان على رضاه وإقراره بذلك.

وعلى كل حال، فما يهمنا من كل ما سبق أن الشعر ما كان يغيب عن الحياة اليومية للمسلمين، وأن طبيعة المناسبة عندهم تقتضي مقصدًا معينًا لتوظيف الشعر، ولنوعه، إلا أن هذا الشعر في جميع الأحوال من نوع غير النوع المتساهل الذي شاع عند العرب، فما نلاحظه هو أن كل الشعر الذي أوردناه آنفا وغيره مما وقفنا عليه شريف المعنى، نقي الألفاظ، إما فيه مسحة الإيمان والتعلق بالله تعالى، أو حلاوة الألفاظ وبساطتها.

١- صحيح سنن الترمذي، ح.ر ٢٨٥٠، ك. الأدب، ب. ما جاء في إنشاد الشعر، والنص ٣٨ من (ق. ن).

خلاصة الفصل الثاني

هذا هو الشعر، نوع من الكلام:يحسن فيسمو، ويكون صالحا لأن يوظفه المسلمون في العمل والسفر، والمناسبات المختلفة، لما له من قدرة على التحفيز والتنشيط والتسلية..

ويقبح فيهبط، ويكون نفثا من الشيطان، وقرآنا له، يهيم به التافهون في أودية الضلال، فرحين بما عندهم، فيزيدهم بعدًا عن الله، ويجمع حولهم الغاوين.

ولقد كان ديدن الرسول ﷺ أن يفسح المجال للكلام الشعري الحسن ليفعل فعله في النفوس، ويشارك المسلمين حياتهم اليومية حَضَرًا وسفرًا، سِلْما وحربا، فرحا وحزنا...

ولكنه ﷺ لم يسمح بالشعر الهابط أن يكون له موطئ قدم في الحياة الإسلامية، فمن ثم لم نرَ له ذكرًا في أحاديث الشعر والشعراء، مثلما لم نرَ له أثرًا في الحياة اليومية للمسلمين، وما كان لهذا أن يكون لولا رعاية الرسول ﷺ للشعراء، وعنايته بهم توجيها وتسديدًا، فكان شعرهم ساميًا بمثل سموِّ إيمانهم.



الفصل الثالث:

قـــراءة أخـــلاقية

المبحث الأول: سلطة الشعر

يستمد الشعر سلطته من أمرين: قدرته على التأثير، وقيمته باعتباره ديوان العرب وعلمها الأول، وقد فطن العرب للأمرين معا منذ جاهليتهم، واستفادوا منهما في قضاء مآربهم، وتصفية حساباتهم:

وقد رفع الشعر أقواما ووضع آخرين:فممن رفعهم بنو أنف الناقة، فقد كان الرجل منهم «إذا قيل له: ممن الرجل؟ قال: من بني قُرَيعٍ، فما هو إلاّ أن قال الحُطَيئة:

قومٌ هُمُ الأنفُ والأذنابُ غيرُهُم ومَن يُساوِي بأَنفِ النَّاقةِ الذَّنبا

وصار الرّجل منهم إذا قيل له: ممن أنت؟ قال: من بني أنْف الناقة»[1].

وممن وضعهم الشعر بنو نمير، فقدكان الرجلُ منهم «إذا قيل له: ممن الرجل؟ قال: نُميريّ كما ترى، فما هو إلاّ أن قال جَرِيرٌ:

فغُضَّ الطرف إنَّكَ مِن نُمَيرٍ فلا كَعباً بلغْتَ ولا كِلابا

حتّى صار الرجل من بني نمير إذا قيل له: ممن الرجل؟ قال: من بني عامر...فعند ذلك قال الشاعر يهجو قوماً آخرين:

وسوف يزِيدُكُمْ ضَعَةً هِجائِي كما وَضع الهِجاءُ بَنِي نُميرِ

فلما هجاهم أبو الرُّدَينيّ العكليّ فتوعَّدوه بالقتل قال:

تَوَعَّدُنِي لِتقَتُلَني نُميرٌ متى قَتلت نُميرٌ من هَجاها»[2].

ولقد بلغ من قدر الشعر عند العرب «بُكاء سيِّد بني مازن، مخارق بن شهابٍ حين أتاه محرز بن المُكَعبَرِ العنبريُّ الشاعر فقال: إنّ بني يربوع قد أغاروا على إبلي فاسعَ لي فيها؟ فقال: وكيف وأنت جار وَرْدانَ بنِ مَخْرَمة؟

١- البيان والتبيين: ٤/٣٥.

٢-م.س: ٤/٣٨.

فلما ولّى عنه محرزٌ محزوناً بكى مخارقٌ حتى بلَّ لحيته، فقالت له ابنتُه: ما يبكيك؟ قال: كيف لا أبكي وقد استغاثني شاعرٌ من شعراء العرب فلم أُغِثْه؟ واللَّه لئن هجاني ليَفضَحَنّي قولُه، ولئن كفّ عني ليَقتلنِّي شكرهُ، ثم نهض فصاح في بني مازنٍ، فرُدت عليه إبله»[١].

وبلغ «من خوفهم من الهجاء ومن شدة السبّ عليهم، وتخوّفهم أن يبقى ذكر ذلك في الأعقاب، ويسبَّ به الأحياءُ والأموات، أنهم إذا أسَرُوا الشاعر أخذوا عليه المواثيقَ، وربما شدُّوا لسانَه بنِسْعَة، كما صنعوا بعبدِ يغوثَ بن وقّاصِ الحارثيّ حين أسرته بنو تيم يوم الكُلابِ، وهو الذي يقول:

أقُولُ وقد شَدُّوا لساني بنِسْعَةٍ	أمَعشَر تَيمٍ أطلِقوا من لسانِيـا
وتَضْحَكُ مِنّي شَيخةٌ عَبشَمِيّة	كأنْ لم ترَ قبـلي أسيراً يَمَانِيـا
كأنِّيَ لم أركب جَواداً ولم أقُلْ	لخيلي كُرِّي كرَّةً عن رِجالِيـا
فيا راكباً إمّا عَرَضْتَ فبلِّغَـنْ	نَدَامايَ منْ نَجْرانَ أنْ لا تلاقِيا
أبا كَـرِبٍ والأيهمين كِلَيهِمـا	وقيساً بأعْلَى حَضْرَمَوْتَ اليَمانِيا

وكان سألهم أن يُطلقوا لسانَه لينوحَ على نفسه، ففعلوا، فكان ينوح بهذه الأبيات، فلما أنشد قومَه هذا الشِّعر قال قَيس: لبّيك وإن كنت أخَّرتَني...»[٢].

وإذًا فأمر سلطة الشعر وشدة مفعوله وعمق أثره مما عرفته العرب وخبرته، واستفادت منه قبائل وتضررت منه أخرى، ونقلت لنا منه كتب الأدب الكثير، وبلغ من إحساسهم بأهمية تلك السلطة أن قارنوا بين السيف واللسان، فساواهما بعضهم كامرئ القيس في قوله:

١- م. س، ٤/٤١-٤٢.

٢- البيان والتبيين: ٤/٤٥.

وجُرْح اللّسان كجُرح اْلْيَد[١]

وجعل بعضهم أثر اللسان أبقى، فقد قال الأخطل:

والقول يَنْفذ ما لا تَنفذ الإبرُ[٢]

وقال يَعقوب الحَمْدونيّ:

وقد يُرْجَى لجُرح السَّيف بُرءٌ ولا بُرْءٌ لما جرح اللّسانُ[٣]

هذه بعض نماذج من سلطة الشعر إيجابًا وسلبًا، فطن لها العرب فوظفوها في خصوماتهم ومعاركهم، ورأى رسول الله ﷺ ذلك ووقف عليه، وأصابه شيء منه بعد الهجوم العنيف الذي شنه عليه وعلى المسلمين شعراء المشركين بعد معركة بدر، فسمح بالرد كما مر.

وسلطة الشعر لا حدود لها، ففتح الباب على مصراعيه للهجاء قد يصيب رذاذه المسلمين أيضا، لذلك حصر ﷺ اتجاهه في وجهة واحدة هي وجهة العدو، وحرمه نهائيا في الاتجاه الداخلي: اتجاه الأمة وأفراد الأمة كما سنرى.

ولكن سلطة الشعر لا يقف تأثيرها على غرض الهجاء، وإن كان يظهر فيها أعظم ما يظهر؛ بل يتعداه إلى أغراض أخرى، حسبنا هنا أن نضيف إليها غرض المدح، فإذا ما انتهينا إلى ذلك أمكننا أن ننظر إلى الشعر باعتباره سلطة من زاويتين كبيرتين هما: سلطة الشعر في الهجاء، وسلطته في المدح، وسنتناول تينك السلطتين من خلال الموقف النبوي من الغرضين معا.

أولا-الموقف من الهجاء:

مدار الأحاديث النبوية الخاصة بالهجاء على أربعة محاور: ملاحظة أثر، وحض، ونهي، ثم عقوبة.

١- ديوان امرئ القيس، ص: ١٨٥.

٢- ديوان الأخطل، ص: ١٠٦.

٣- البيت في العقد الفريد: ٢/٤٤٥.

١- ملاحظة الأثر:

أما ملاحظة الأثر فما نظن أنها كانت بسبب معركة بدر وحدها؛ لأن ذلك مما كان شائعا معروفا لدى العرب، وقد بنيت حياتهم على الصراعات القبلية، ومعلوم ما للشعراء من دور في إذكائها وخوضها، ولكننا نعتقد أنها لم تكن لتصبح لها قيمة لو لم يلق المسلمون منها ما لقوا يوم انتصروا في بدر، فتدفق سيل هجاء المشركين لهم جارفا حارقا معبرا عن عمق الجرح لدى القوم، وقد ذاقوا مرارة الهزيمة.

وعلى قدر عمق ذلك الجرح كان الهجاء لاذعا وعميق الأثر، إلى درجة أنه شكل نازلة لا عهد للمسلمين بها، ومن ثم شكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، وبديهي أنه لا تكون شكوى إلا إذا كانت الإصابة بليغة، ثم إن العبارة التي وردت في حديث الشكوى تدل على أنها كانت جماعية، فالأمر يتجاوز الفرد بكثير، ولقد كان عمار شاهد إثبات في هذه النازلة، فأخبرنا بتفاصيلها، قال: «لما هجانا المشركون شكونا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال: «قولوا لهم كما يقولون لكم». قال: فلقد رأيتنا نعلمه إماء أهل المدينة»[١].

والذي يهمنا الآن أن المشركين هجوا المسلمين، وأن المسلمين تضرروا من هذا الهجاء، فأبلغوا ذلك رسول الله ﷺ بصيغة الشكوى، وفي ذلك ثلاثة أمور:

أولها- أن المشركين هجوا المسلمين، ولم يخصوا أحدهم أو بعضهم بالهجاء، فالضرر عام.

وثانيها- أن المسلمين تضرروا من ذلك بالغ الضرر، ومن ثم شكوا إلى رسول الله ﷺ، ولا تكون شكوى إلا إذا كان ثمة إحساس بالضرر.

وثالثها- أن شكواهم تحمل رسالة ضمنية هي البحث لدى رسول الله ﷺ عن حل لرفع الضرر. وكيف يرفع ﷺ الضرر عن القوم وقد أصابهم شعر

١- مسند أحمد، ح. ر١٨٢٣٠، والنص ٢٦ من (ق. ن).

العدو بسهامه، وسارت به الركبان؟! لا ريب أنها شكوى تتضمن في طيها حلا هو استئذان رسول الله ﷺ في الرد، ولقد فهم الرسول ﷺ الرسالة جيدًا، وأحسَّ بحجْم النازلة، وحجْم الجرح الذي تركه هجاء المشركين، فكان الجزاء من جنس العمل.

٢- الحض على الهجاء:

وإنما كان الحض على الهجاء في سياق النظر في النازلة، فكان الإذن بالرد على المشركين حلا لها، ولذلك رأينا في حديث عمار أنه ﷺ رخص لهم في هجاء العدو ردًّا، فقال:«قولوا لهم كما يقولون لكم»[١].

والعبارة حكيمة مسددة لا تصدر إلا عن وحي، ففيها أن الهجاء لهؤلاء المعتدين دون سواهم، ومناسبة القول للقول، والهجاء الجماعي ردًّا على الهجاء الجماعي.كان يمكن أن يكلِّف الرسول ﷺ لحظتها شاعرا بالرد، ولكنه تكليف لا يشفي غليلا؛ لأن الهجاء لم يكن من لدن شاعر واحد؛ بل من جماعة من الشعراء، ولو كان الأمرُ أمْرَ شاعرٍ واحد لما اقتضى كل هذا التحرك كما سنرى في نازلة أخرى، ومن ثم فالحركة الجماعية التي قادها مشركو قريش في الهجاء تناسبها حركة جماعية في الرد؛ لأن الضرر جماعي، ورفعه جماعي أيضا.

ولقد فهم المسلمون ذلك فهما جيدا، فنظموا حركة جماعية لرفع الضرر، قال عمار: «فلقد رأيتنا نعلمه إماء أهل المدينة»[٢]، فالأمر لم يقتصر على الرد الجماعي، بل تجاوزه إلى إشراك إماء أهل المدينة في ذلك أيضا، فنحْن إذًا أمام تحرك جماعي سريع لخوض المعركة الشعرية التي فرضت على المسلمين فرضا.ويجب أن لا تفوتنا هنا مسألة رأينا جزءا منها من قبل، هي أن سرعة التحرك للرد، والتحرك الجماعي في ذلك، دالان على أن الأثر كان عميقا في الجماعة.

١- م. س، ح.ر١٨٢٣٠، والنص ٢٦ من (ق. ن).

٢- مسند أحمد، ح.ر١٨٢٣٠، والنص ٢٦ من (ق. ن).

وقد وردت أحاديث نبوية أخرى في سياق المعركة الشعرية مع المشركين، نكتفي منها بحديث واحد جامع، فقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهاأن رسول الله ﷺ قال: «اهجوا قريشا، فإنه أشد عليها من رشق بالنَّبل». فأرسل إلى ابن رواحة، فقال: «اهجهم». فهجاهم، فلم يرضَ. فأرسل إلى كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت»، وفيه أنه قال لحسان:«لا تعجل، فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإن لي فيهم نسبًا، حتى يلَخِّص لك نسبي»[1]، وأن عائشة سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان: «إن روح القدس لا يزال يؤيدك، ما نافحت عن الله ورسوله»[2]، ويقول: «هجاهم حسان فشفى واشتفى»[3]، وأن حسّانا لَيَقولُ في همزيته:

هَجَوتَ محمدا فأجبتُ عنه	وعند الله في ذاك الجَزَاءُ
هجوت مُحمَّدا بَرّا تَقيا	رسولَ الله شِيمَته الوَفاء
فإنَّ أبي وَوَالده وعرضي	لعِرض محمد منكم وِقَاء
ثَكِلْت بُنَيّتي إن لم تَروها	تُثِير النَّقْع من كَنَفَي كَدَاء

لا ريب أن النص يظهر أن السياق واحد، ويُعِين على فهم ذلك والتّحقّق منه ما رواه البخاري مختصرًا، فعنده:«استأذن حسان النبي ﷺ في هجاء المشركين»[4]، وما رواه الحاكم، فعنده «أن رسول الله ﷺ أتي فقيل: يا رسول الله، إن أبا سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب يهجوك»[5].

ومما سبق نخلص إلى أن مواجهة النازلة السالفة الذكر تمت بشكلين:

أولهما- السماح للمسلمين بالرد دون تعيين من يتولى ذلك.

١-صحيح مسلم، ح.ر٢٤٩٠، ك. فضائل الصحابة، ب. فضائل حسان...، والنص ١٥ من (ق. ن).

٢-م. س.

٣-م. س.

٤-صحيح البخاري، ح.ر٣٥٣١، ك. المناقب، ب. من أحب أن لا يُسب نسبه.

٥- المستدرك،، ح. ر٦٠٦٥/١٦٦٣.

والأخرى تكليف من يَرُد، احتياطًا من أن لا يرُد أحد، أو أن لا يكون الرَّدّ في المستوى المطلوب.

نحن بناء على ما سبق أمام ردين: عام تُرك فيه المجال مفتوحًا لكل من أراد الرد، وخاص تم بتكليفٍ بناءً على معايير.

يشير الحديث إلى أن الرسول ﷺ اختار ثلاثة أشخاص للرَّد، وأنه بدأ بعبدالله بن رواحة، وثنى بكعب بن مالك، ثم ختم بحسان بن ثابت، وأن الأولين قالا شعرًا في الهجاء، ولكنه لم يكن راضيًّا ولا شافيًا، فلذلك أرسل إلى حسان، وتعيين هؤلاء الشعراء لم يكن فقط من أجل الرد؛ بل من أجل الردّ الشافي الذي يصل إلى القوم في عقر دارهم، ويشفي المسلمين مما أصابهم.

ويكاد يكون ما رواه ابن عبد البر عن ابن سيرين مفتاحًا لفهم هذا التفاوت بين الشعراء الثلاثة، فقد روى عنه أنه قال: «وانتُدب لهجْو المشركين ثلاثةٌ من الأنصار: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، فكان حسان وكعب بن مالك يعارضانهم بمثل قولهم في الوقائع، والأيام، والمآثر، ويذكران مَثالبَهم، وكان عبد الله بن رواحة يعيّرهم بالكفر وعبادة ما لا يسمع ولا ينفع، فكان قوله يومئذ أهون القول عليهم، وكان قول حسان وكعب أشد القول عليهم، فلما أسلموا وفقهوا، كان أشد القول عليهم قول عبد الله بن رواحة»[1].

فمرد التفاوت بين الشعراء الثلاثة إلى مذهبهم في الهجاء، ولئن كان ابن رواحة مقتنعًا بجدوى التعيير بالكفر، فإن الآخرين كانا يريان أنه لا فائدة من تعيير الكافر بالكفر؛ لأنه لا يؤثر فيه؛ إذ لا يؤمن بالإسلام، وهي مسألة نسبية كما رأينا، فما كان موجعًا في مرحلة صار غير ذي جدوى في أخرى بعد أن دخل الناس في دين الله أفواجا.

١- الاستيعاب، ص: ١٦٥.

وما زلنا نرى حجم الأثر في الجماعة وعمقه، ونرى رسول الله ﷺ كيف يعالج الأمر.وما زلنا نرى أن الهجاء المسموح به كان في اتجاه واحد، ولسبب واحد، هو الرد على المشركين، فهل الهجاء المسموح به هو فقط الهجاء الدفاعي؟

نقف على نص آخر يحض على الهجاء؛ لكن مناسبته مختلفة، فقد روى البراء أن رسول الله ﷺ قال لحسان يوم قريظة: «اهجهم أو هاجهم، وجبريل معك»[١].

وفي النص مسائل:

أولها: أن المناسبة يوم قريظة[٢]، ونحن نعلم أن هذا اليوم كان سنة خمس للهجرة، وأنه أتى مباشرة بعد غزوة الخندق، وأن بني قريظة شاركوا في مؤامرة الأحزاب للقضاء على الإسلام والمسلمين، وحاصروا المدينة، ثم ردهم الله جميعا بغيظهم كما قال تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾[٣].

وثانيها- أن الخطاب موجّه لحسان، فهو المكلف رسميًّا، وفيه دلالة على أنه أثبت شاعريته في الرد على المشركين بعد بدر.

وثالثها- أن مهمة حسان واضحة؛ هي هجاء بني قريظة، أو مهاجاتهم.

بقي أن نشير إلى أن العبارة في الحديث النبوي«اهجهم أو هاجهم» تحتمل معنيين:

أصل الحديث «اهجهم»، فعند ذلك يمكن أن يحمل الهجاء على أنه

١- صحيح البخاري، ح.ر٤١٢٣، ك. المغازي، ب. مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، والنص ٢٨ من (ق. ن).

٢- سيرة ابن هشام: ٣/٢٠٣-٢٢٠.

٣- سورة الأحزاب: الآية ٢٥.

انتصار للمسلمين من يهود بني قريظة بعد غدرهم بهم، ونقضهم العهد، وتآمرهم مع المشركين على المسلمين.

أصل الحديث «هاجهم»، وهي صيغة صرفية تدل على الاشتراك، فعمَل حسّان عندها سيكون ردًّا على هجاءٍ هُجي به المسلمون.

وسواء أكانت الصيغة الأولى هي الأصل أم الثانية، فالثابت أن المسلمين غير بادئين، وهم في وضعية رَدّ بعد المعاناة الشديدة التي كابدوها في غزوة الخندق، وهم الآن بصدد مواجهة هؤلاء الخونة.

والخطوة الأولى في ذلك الانتصار من بعد ظلم لهذه المواجهة هجوم شعري يكشف حجم الجُرم الذي ارتكبه بنو قريظة في التحالف الهادف إلى القضاء على الإسلام والمسلمين، فكأن مهمة هذا الشعر أن يكشف طبيعة الجرم الذي ارتكبه القوم، ويواجههم به، ثم يُعِد المسلمين نفسيًّا لمواجهتهم؛ إذ من المنتظر أن يكون على رأس قائمة الموضوعات التي سيبني عليها حسان هجاءه غدر بني قريظة بالمسلمين ونقضهم للعهد والميثاق.

على أن ابن إسحاق روى أن رسول الله ﷺ قدم علي بن أبي طالب رضي الله عنه برايته إلى بني قريظة، وأنه لما دنا حصونهم «سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ، فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق، فقال: يا رسول الله، لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث. قال: لم؟ أظنك سمعت منهم لي أذى؟» قال: نعم يا رسول الله...»[1]. فمن المحتمل جدا أن تكون للأمر بالهجاء علاقة بتلك المقالة، وحينها فالهجاء هنا سيكون من طينة هجاء المشركين.

وفي جميع الأحوال يفيدنا هذا الحديث الحضَّ على هجاء بني قريظة،وأن

١- سيرة ابن هشام، ٣/٢٠٣-٢٠٤. وقد رواه الحاكم في المستدرك وصححه(المستدرك، ٣/٣٤-٣٥، ح.ر)، وقال ابن كثير في (البداية والنهاية، ٤/١١٨): «ولهذا الحديث طرق جيدة عن عائشة وغيرها».

الهجاء ظل مؤطرًا بإطار عام هو الرد على من هجا المسلمين وآذاهم بشكل من الأشكال، ومن ثم فشِعر الهجاء في جميع أحواله انتصار للإسلام والمسلمين، سواء أكان الأمر دفاعًا، أم هجومًا، وإن كان مما تطمئن إليه النفس أن الأول هو الأقوى لِما شاب حديث البراء من شك في صيغة حض النبي ﷺ حسانًا على الهجاء، ولِما رواه ابن إسحاق.

٣- النهي عن الهجاء

أُريدَ لهذا الهجاء أن تكون له وجهة واحدة هي العدو، ولم يُسمح له بأن ينحرف عن مساره، فلقد حرص رسول الله ﷺ أن تظل تلك الوجهة هي المطلوبة، ومن الإجراءات التي اتخذها في ذلك أنه ربط شعر الهجاء بالمناسبات، إلى درجة أنه يصعب أن نقف على شعر خارج عنها، فقد ربطه ربطًا مباشرًا بسياقه، حتى إذا ما انتهت مناسبته، لم يعد للحظ عليه ذكرٌ أو عناية، صحيح أنه قد يروى ويتمثل به...، ولكن قوله أمر آخر، وكان هذا هو الإجراء الأول.

والإجراء الثاني هو أنه حصر الهجاء في الرد والانتصاف، حتى لو لم يكن من عدو للإسلام والمسلمين، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:«إن أعظم الناس فرية لرجل هاجى رجلا فهجا القبيلة بأسرها، ورجل انتفى من أبيه وزنى أمه»[١].

ضابط الهجاء هنا هو أن يكون انتصافا ممن اعتدى، دون أن يتعدى ذلك إلى أهل الهاجي وقبليته؛ إذ لا تزر وازرة وزر أخرى.

والحديث النبوي لا يبيح الهجاء هنا، ولكنه بصدد بيان حجم الجرم الذي يرتكبه من يريد الانتصاف، فإذا به يتجاوز ذلك إلى الاعتداء، وهكذا تتسع دائرة الهجاء لتتجاوز شاعرين تهاجيا إلى أسرتيهما فقبيلتيهما...

١- صحيح سنن ابن ماجة، ح.ر٣٠٤٤/٣٨٢٨، ك. الأدب، ب. ما كره من الشعر، والنص ٣٠ من (ق. ن).

وفي سياق الحديث نكتة، فقد جمع بين ثلاثة أمور معيبة: هجاء القبيلة والهاجي فرد، والانتفاء من الأب، وتزنية الأم، ولعمري إن الجامع بين ذلك لواضح، فإن من يوسع دائرة الخصومة بعد أن كانت محصورة بينه وبين شاعر آخر حتى يصل به الحال إلى هجاء قبيلة الخصم، ويكون سببا لهجاء الخصم لقبيلته...يجعله يتملص من عيوب قبيلته، ويحصر نفسه في بعض فروعها مما لم ينله هجاء، فارا من أصله، وإنه فوق ذلك ليكون مجلبة للعار بحق أو باطل، وما كان أحرى به لو حصر الهجاء حصرا، أو لو نأى بنفسه عنه، إذ ما ذنب أمِّ هؤلاء الذين هجاهم الشاعر بقوله:

قَومٌ إِذا اِستَنبَحَ الأَضيافُ كَلبَهُمُ   قالوا لِأُمِّهِمِ بُولي عَلى النارِ[1]

وقد أشركها معهم في اللؤم والبخل، حتى قيل: هو أهجى بيت قالته العرب[2]، وإنما هو الهجاء ما إن يفتح له باب حتى تنفتح باقي الأبواب تلقائيًّا.

ومهما يكن من أمر الهجاء في الحديث السالف الذكر، فإنه ينهى عن أن توسع دائرته، وإن كنت أفهم منه أمرًا زائدًا على ذلك بأن المتهاجين في الإثم سواء، فالمبتدئ بالهجاء والراد عليه المتجاوز حدود الانتصاف إلى العدوان على قبيلة المعتدي شريكان، جرم أولهما أنه اعتدى ابتداء، وجرم الآخر أنه اعتدى انتهاء.

ولقد ترك الرسول ﷺ أمر حكم الهجاء للإطار العام الذي يحكم العلاقات بين المسلمين:

١- ديوان الأخطل، ص: ١٦٦.

٢- قال ابن رشيق في العمدة، ٢/٨٥٣: «ويقال:إن أهجى بيت قاله شاعر قول الأخطل في بني يربوع رهط جرير:قوم إذا استنبح... لأنه قد جمع فيه ضروبًا من الهجاء: فنسبهم إلى البخل بوقود النار لئلا يهتدي بهاالضيفان، ثم البخل بإيقادها إلى السائرين والسابلة، ورماهم بالبخل بالحطب، وأخبر عن قلتها وأن بولة تطفئها، وجعلها بولة عجوز، وهي أقل من بولة الشابة، ووصفهم بامتهان أمهم وابتذالها في مثل هذه الحال، يدل بذلك على العقوق والاستخفاف، وعلى أن لا خادم لهم، وأخبر في أضعاف ذلك ببخلهم بالماء».

فالهجاء نوع من السباب، وقد نهى رسول الله ﷺ عن كل سباب، فقال: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»[1].

والهجاء نوع اعتداء على الأعراض، وقد جعل ﷺ حرمة العرض كحرمة البلد الحرام في الشهر الحرام، في اليوم الحرام، فقد روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه قال: «قال النبي ﷺ بمنى: أتدرون أي يوم هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن هذا يوم حرام.أفتدرون أي بلد هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: بلد حرام.أفتدرون أي شهر هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: شهر حرام. قال: فإن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»[2].

فإذا جُرِّد الهجاء من السب والاعتداء على الأعراض والكذب والبهتان... مما ورد عنه النهي صراحة ومرارًا، فماذا سيبقى منه؟

لا جرم أن النبيﷺ لم يسمح إطلاقًا للهجاء أن يخرج عن مهمته الجهادية النبيلة، فقد عاش ﷺ بين العرب، وخبر حياتهم، وعرف كيف يؤثر الهجاء فيهم، ومن ثم حرص أن يحمي جسم الأمة من أذاه، وكان في حرصه هذا أكثر وضوحًا وصرامة.وكيف يتساهل ﷺ معه، وهو نفسه قد تأثر به، ولم يستطع نسيانه؟ فها هو بعد سنوات من هجاء المشركين، وأبو سفيان في مقدمتهم، يقول لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقد مر به أبو سفيان بن الحرث: «يا عائشة، هلمي حتى أريك ابن عمك الذي هجاني»[3].

وإنها لقولة تفيد أن الهجاء لا يُنسى، صحيح أن الإنسان يسامح ويتجاوز، ولكنه لا يستطيع أن يَنسى ما هُجي به،ويصير الهجاء مرتبطًا شرطيًّا برؤية الهاجي، وهي حالة نفسية من حالاتنا البشرية على كل حال، يهمنا منها

١- صحيح البخاري، ح.ر٤٨، ك. الإيمان، ب. ما ينهى من السباب واللعن.

٢- م. س، ح.ر١٧٤٢، ك. الحج، ب. الخطبة أيام منى.

٣-مجمع الزوائد: ٢٢/٦، والنص ٣٤ من (ق. ن).

أن سلطة الهجاء قوية إلى درجة أنه لا يمحى، وأننا مهما اعتذرنا فإننا لن نستطيع أن نمحو تلك الكلمات التي تقفز إلى الواجهة من حين لآخر، فتتراءى للهاجي أن هذا الذي هجوته بكذا وكذا، وللمهجو أن هذا الذي هجاك بكذا وكذا. هذا عن هذين وقد اعتذر الأول، وسامحه الثاني، وأنى لهما مع ذلك أن يمحوا تلك الكلمات وقد نقشت في ذاكرتهما نقشًا؛ بله أنى لهما أن يمحواها من ذاكرة الإنسانية والتاريخ.

٤- عقوبة الهجاء:

ويبدو أن الرسول ﷺ تعامل مع الهجاء بميزانين مختلفين:

أما الميزان الأول: فاستعمله في الحالات التي يكون الهجاء فيها عامًّا وجماعيا، وقد رأينا أن رسول الله ﷺ اكتفى في مواجهة هذا النوع من الهجاء بالسماح للمسلمين بالرد، وتكليف شعرائه بذلك أيضا، ويلحق بذلك حكم هجاء المسلم للمسلم، والمسلم لقبيلة المسلم...

وأما الميزان الآخر فمختلف، وعيار اختلافه اختلاف النازلة أيضا، ولنا في ذلك دليلان: نصي، وعملي..

أما النصي: فقوله ﷺ: «من قال في الإسلام شعرًا مقذعًا فلسانه هدر»[1]. فهذه صرامة لم نعهدها فيما رأيناه من قبل، ولا يحتاج المرء كبير جهد ليفهم أن الأمر يتعلق بالعبارة «من قال في الإسلام»، فهجاء المسلم أمر، وهجاء الإسلام أمر آخر.

وأما العملي: فما عاقب به رسولُ الله ﷺ عددًا من الشعراء الذين آذوا الله ورسوله:منهم كعب بن الأشرف، فقد روى الإمام البخاري عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ:«من لكعب بن الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله؟فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟

١-م. س، ١٢٦/٨، والنص ٣٥ من (ق. ن).

قال: نعم»[1]، وقد نجح ابن مسلمة في مهمته مستعينًا في ذلك بأبي عَبس بن جَبر، والحارث بن أوس، وعَبّاد بن بشر،فاحتالوا له حتى قَتلوه،ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه[2].

ورواية أبي داود في سننه واضحة في أن المقصود بالإيذاء الهجاء، فعنده أن كعبًا كان «يهجو النبيﷺ، ويحرض عليه كفار قريش»[3].

وعند الهيثمي أنه لما قُتل كعب بن الأشرف وفد اليهود على الرسول ﷺ:«فذكرهم النبي ﷺ ما كان يهجوه في أشعاره وما كان يؤذيه»[4].

وثمة واقعة أخرى ذات صلة بالموضوع، فقد روى أبو داود أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة: «أربعة لا أؤمنهم في حل ولا حرم... وقينتين كانتا لِمقَيَس تُغَنّيان بهجاء رسول الله ﷺ: قتلت إحداهما، وأفلتت الأخرى، فأسلمت»[5].

والواقعتان السالفتان تفيدان أن الرسول ﷺ لم يتساهل مع من هجا الله ورسوله، وأنه جعل ذلك أذى لهما، ومن ثم كانت العقوبة القتل بأمر منه ﷺ.

وفي سياق الواقعتين فوائد نتوقف عندها قليلا:

- منها: أن الإيذاء كان من غير المسلمين.
- ومنها: أن المسألة تجاوزت الإيذاء إلى التحريض على المسلمين، كما في حالة كعب بن الأشرف.
- ومنها: أن العقوبة اختلف زمن تنفيذها، فقد أمكن أن تنفذ بمجموعة

١-صحيح البخاري، ح.ر٤٠٣٧، ك. المغازي، ب. قتل كعب بن الأشرف، والنص ٢٧ من (ق. ن).

٢- م. س.

٣- سنن أبي داود، ح.ر٣٠٠٠، ك. الخراج والإمارة والفيء، ب. كيف كان إخراج اليهود.

٤- مجمع الزوائد: ١٩٩/٦.

٥- المعجم الكبير: ح.ر٥٥٢٩، والنص ٢٩ من (ق. ن).

من الرجال في حالة كعب، بينما اكتُفي بالإعلان العام في حالة القينتين، وقد تكون علة ذلك اختلاف السياقين: فكعب كان في المدينة، وكان يحرض يهودها، وشارك المشركين في بكائهم قتلاهم يوم بدر، وحرضهم على الانتقام لهم، ثم عاد إلى المدينة وواصل حملته ضد الإسلام والمسلمين، فالأمر بذلك لا يحتمل التأخير، ولاسيما أنه بالمدينة، بينما كانت القينتان بمكة، وأذاهما بعيد مقارنة بأذى كعب.

وعلى كل حال، فما يهمنا هو أن الرسول ﷺ ميّز بين الهجاء العام، وهذا تحكمه القواعد العامة التي تحكم غيره من المخالفات اللسانية مما يصيب الأعراض وغيرها، وبين هجاء الله ورسوله والإسلام، وهو أمر لم يتسامح فيه ﷺ، وأمَرَ بقتل من ارتكبه.

ومِن كل ما سبق نخلص إلى أن الرسول ﷺ يميز في الهجاء بين:

- ما كان اعتداء على المسلمين، وعلاجه الرد بمثله.
- وما كان من المسلمين تجاه المسلمين، وقد نهى عنه ﷺ في أحاديث عامة تشمله وتشمل غيره.
- وما كان إيذاء لله ورسوله وللإسلام، وقد جعل عقوبة مرتكبه القتل، وكلف من يتولى تلك المهمة.

ثانيا: الموقف من المدح

مدار الأحاديث النبويةالخاصة بالمدح على مسألتين: جواز، ومنع:

١- جواز المدح

أما الجواز فملاحظ من أحاديث في مقدمتها ما رواه الأسود بن سريع، فقد أتى رسول الله ﷺ فقال له: «يا رسول الله، إني قد حمدت ربي تبارك وتعالى بمحامد ومِدَح وإياك، فقال رسول الله ﷺ: أمَا إِن ربك تبارك

وتعالى يحب المدح، هات ما امتدحت به ربك، قال: فجعلت أنشده...»[1].

فالحديث واضح في أن الرسول ﷺ يجيز المدح، وأنه سمعه كذلك، ولكن أي مدح؟ ثم إن كلام الأسود يفيد أنه نظم شعرًا في مدح الله تعالى ومدح رسوله ﷺ، والرسول ﷺ ها هنا طلب منه أن ينشده ما مَدح به الله تعالى فقط، فهل يفيد هذا عدم جواز مدح الرسول ﷺ؟

يثير الحديث السابق مسألتين: إحداهما خاصة بمدح الله تعالى، والثانية خاصة بمدح الرسول ﷺ:

أما المسألة الأولى فأمرها واضح، فالحديث يفيد جواز مدح الله تعالى، ويجعله مقدمًا على مدح الرسول ﷺ.

وثمة حديث آخر؛ لكنه عام يشمل الشعر وغيره، يرتفع بهذا الجواز إلى مرتبة التحبيب والترغيب، وفيه أن الرسول ﷺ قال: «ولا شيء أحب إليه المدح من الله؛ولذلك مدح نفسه»[2].

وفي الحديث الأول لطيفة اصطلاحية هي أن الأسود جعل الحمد والمدح شيئًا واحدًا، فقد قال: «قد حمدت ربي تبارك وتعالى بمحامد ومدح وإياك»، بينما سماه الرسول ﷺ مدحا، فقال: «أمَا إِن ربك تبارك وتعالى يحب المدح، هات ما امتدحت به ربك»[3]، كما سماه في الحديث الثاني مدحًا أيضا لما قال: «ولا شيء أحب إليه المدح من الله؛ ولذلك مدح نفسه»[4].

ويذكر لنا النبي ﷺ في حديث الشفاعة أنه يحمد الله عز وجل

١- مسند أحمد: ح.ر١٥٥٢٧، والنص ١٨ من (ق. ن).

٢-صحيح البخاري: ح.ر٤٦٣٤، ك. تفسير القرآن، ب. قوله: ولا تقربوا الفواحش ....، والنص ٢٢ من (ق. ن).

٣- مسند أحمد: ح.ر١٥٥٢٧، والنص ١٨ من (ق. ن).

٤-صحيح البخاري: ح.ر٤٦٣٤، ك. تفسير القرآن، ب. قوله: ولا تقربوا الفواحش ....، والنص ٢٢ من (ق. ن).

حمدًا لم يحمده أحدٌ من قبله، قالﷺ: «... فأنطلقُ فآتي تحت العرش فأقع ساجدا لربي عز وجل، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي»[١].

وأما المسألة الخاصة بمدح الرسول ﷺ، فلها مدخلان:

أحدهما: من الحديث الأول نفسه، إذ فيه أنه ﷺ سكت عنها سكوتًا لا يفهم منه المنع؛ بل التأدب مع الله تعالى؛ إذ مدح الله تعالى مقدم على كل مدح، وسماعه أولى من سماع غيره، فمن ثم لم يستنشد الرسول ﷺ الأسود بن سريع ما نظمه في مدحه، ولا نهاه عنه.

والمدخل الآخر: الأحاديث المختلفة التي تورد نماذج من الشعر الذي مُدح به الرسول ﷺ، وحسبنا منها ثلاثة:

أول تلك النماذج: ما رواه النبي ﷺ نفسه، فقد قال: «إن أخا لكم لا يقول الرفث، يعني بذاك ابن رواحة، قال[٢]:

وفينا رسولُ الله يَتْلو كتابَه	إذا انشقَّ مَعروفٌ من الفَجْر ساطعُ
أَرانا الهُدى بَعد العَمى فَقُلوبنا	به مُوقنات أنَّ ما قَال واقع
يَبِيت يُجَافِي جَنْبه عن فِراشِه	إذا استثقلت بالكافرين المضاجع»

ففي هذه الأبيات مَدْح صراح للنبي ﷺ في علاقته بربه، وفي علاقته بأصحابه، فهي «تبين وجوه التميز فيه، واختلافه في القرب من الله عز وجل عن غيره، وأمر آخر تتضمنه أيضا هو تلاحمه مع أصحابه، فما عليه إلا أن يقول ليبادر أصحابه بفعل جماعي ما دامت قلوبهم (موقنات أن ما قال واقع)، ويقينها هذا هو الذي يزيد الإسلام قوة، بخلاف المشركين

١-م. س، ح.ر٤٧١٢، ك. تفسير القرآن، سورة الإسراء، ب. ذرية من حملنا مع نوح، والنص ٢٣ من (ق. ن).

٢- الشعر في (ديوان عبد الله بن رواحة، ص: ٩٦).

الفرادى الكثيري النوم، فهم لا يشكلون نماذج حية لعقيدة يدافعون عنها وتستطيع الصمود في وجه عقيدة لها قائد يبيت طالبا القرب من الله عز وجل، وله أصحاب رهن الإشارة في أي وقت، وهذا ما شهد به عروة بن مسعود أمام قريش عندما قال:أي قوم، والله لقد وفدتُ على الملوك ووفدتُ على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت مَلِكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ محمدا، إن تَنَخَّم نَخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّون إليه النظر تعظيما له[1]. فالنبي ﷺ قدوة في العبادة والتقرب من الله تعالى، وأصحابه قدوة في حبه»([2]).

وثاني تلك النماذج سماعه ﷺ لهمزية حسان في هجاء قريش، وفيها مما يهمنا هنا:

هجوت مُحمَّدا بَرّا تَقيا رسولَ الله شِيمَته الوَفاء

ففيه مدح للرسول ﷺ بالرسالة، والبر والتقوى والوفاء، وقد رأينا من قبل أن الرسول ﷺ قال بعد أن أنشد حسان قصيدته: «هجاهم حسان فشفى واشتفى»[3].

وأما النموذج الثالث فهو قصيدة «بانت سعاد» لكعب بن زهير، وقد أنشدها النبي ﷺ، وفيها:

أُنبِئتُ أن رسولَ الله أوْعَدني والعفوُ عند رسول الله مأمول

١– م. س: ح.ر٢٧٣١/٢٧٣٢، ك. الشروط، ب. الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط.

٢– نصوص الشعر والشعراء، ص: ٥١٩.

٣–م. س.

فقد أتيتُ رسولَ اللّه مُعتذرًا والعُذرُ عند رسول اللّه مَقْبول

(...)

لقد أقُوم مقاما لو يقوم له أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل

لظلَّ يُرعِدُ إلا أنْ يكونَ له عند الرسولِ بإذن اللّه تَنويل

حتى وَضعتُ يميني لا أنازعه في كفِّ ذي نَقِماتٍ قولُه القيل

فكان أخوف عندي إذ أُكَلِّمه إذ قيل إنك منسوب ومسؤول

من خادرٍ شيكَ الأنيابَ طاع له ببطنِ عَثَّرَ غِيلٌ دُونه غيل

(...)

إن الرسول لنور يستضاء به وصارم من سيوف اللّه مسلول

ففي القصيدة مدح للرسول ﷺ بالعفو وقبول العذر والهيبة والوفاء والنور والهداية والشجاعة...

والنماذج الثلاثة السالفة الذكر كلها تفيد ما انطلقنا من تقريره: جواز مدح الرسول ﷺ، وهي وإن كانت تجيز ذلك إلا أنها كما يظهر من مضامينها لا تخرج بالمدح إلى حد الغلو، ولا تتجاوز في مدحها الرسول ﷺ أنه بشر، وأنه مرسل من عند اللّه تعالى، وإن كان بشرا مختلفا عن البشر، ورسولا مختلفا عن الرسل، بما له من اجتهاد في العبادة والتقرب من اللّه تعالى.

وثمة فائدة من كل ذلك هي أن الرسول ﷺ لم يحضّ أحدًا على مدحه، ولكنه في الوقت نفسه لم ينْهَ أحدا عن ذلك، ولأن الأمر بهذه المرونة فقد اكتفى ﷺ بتوجيهات في الموضوع، منها قوله ﷺ: «لا تطروني كما أطرت

النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله»[1]. والإطراء كما قال ابن الأثير: «مجاوزة الحد في المدح، والكذب فيه»[2]، فقد تبين أن الأمر لا يتعلق بمجرد مدح النبي ﷺ؛ بل بالمبالغة في ذلك والكذب فيه، وهذه مسألة أخرى زائدة على ما نريد تقريره.

وعلى كل حال، فقد فهم المسلمون ذلك جيدًا فانطلق شعراؤهم ينظمون الأشعار في مدحه ﷺ في كل بلاد الإسلام، حتى أمكن لابن سيد الناس(٧٣٢هـ) أن يجمع منها ومن رثاء النبي ﷺ مما نظمه الصحابة فقط كتابا خاصا سماه «مِنَح المِدح» جمع فيه ما قاله ١٩٤ من «شعراء الصحابة ممن مدح رسول الله ﷺ أو رثاه»[3].

وما سبق يفيد أن أمر مدْح الله تعالى ومدْح رسول الله ﷺ لا إشكال فيه؛ بل إنه مرغوب فيه ومحبب؛ لأن مدحهما مدح للدين ونشر له، فهو نوع دعوة، ونوع عبادة.

٢- منع المدح:

وأما النهي عن المدح، فلم يَرِد في حديث خاص بالشعر، وإنما ورد في أحاديث عامة تشمل الشعر والنثر، ومن ذلك قوله ﷺ: «إن هذا المال حلو خضر، فمن أخذه بحقه بارك الله عز وجل له فيه، ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وإياكم والمدح فإنه الذبح»[4]، ومنها قوله ﷺ: «إذا رأيتم المداحين، فاحثوا في وجوههم التراب»[5].

في الحديث الأول نهي صريح مطلق عن المدح، وفي الثاني إرشاد إلى كيفية

١-صحيح البخاري، ح.ر٣٤٤٥، ك. أحاديث الأنبياء، ب. قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ...﴾، والنص ٢١ من (ق. ن).

٢- النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٢٣/٣ مادة «طرا».

٣- نشرته دار الفكر ببيروت، بتحقيق عفت وصال حمزة فيما يقارب ٤٠٠ صفحة.

٤-مسند أحمد، ح.ر١٦٨٤٥، والنص ١٩ من (ق. ن).

٥-صحيح مسلم، ح. ر٣٠٠٢م١، ك. الزهد، ب. النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط، والنص ٢٤ من (ق. ن).

التعامل مع المداحين، فما علاقة المدح بالذبح، والتراب بالمدح؟

أول مدخل لفهم الحديثين أحاديث أخرى تفيد أن هذا الإطلاق في المدح هنا لا يفيد مطلق النهي؛ إذ فيها إباحة المدح بعد تقييده، وحسّبنا من ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن أبي بكرة:أثنى رجل على رجل عند النبي ﷺ فقال: «ويلك قطعت عنق صاحبك، قطعت عنق صاحبك» مرارا، ثم قال: «من كان منكم مادحا أخاه لا محالة فليقل: أحسب فلانا، والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحدا، أحسبه كذا وكذا، إن كان يعلم ذلك منه»[١]. وهذا الحديث أورده البخاري في «باب إذا زكى رجل رجلا كفاه»[٢]، و«باب ما يكره من التمادح»[٣]، وهو في البابين يشير إلى وجهي الحديث: الجواز والكراهة، وأما مسلم فبوّب له بقوله: «باب النهى عن المدح إذا كان فيه إفراط، وخيف منه فتنة على الممدوح»[٤]، وهو يفيد أن مسلما فهم من الحديث كذلك ما فهمه البخاري، لكن عبارته أكثر وضوحًا، إذ تفيد ضابط النهي والمنع، وهو الإفراط، وخوف الفتنة على الممدوح.

وأما الذبح بالمدح فمقصوده الهلكة، إذ ذلك يفهم في علاقته بما ورد في الحديث الآنف الذكر: «ويلك قطعت عنق صاحبك، قطعت عنق صاحبك»[٥]، و«معناه أهلكتموه، وهذه استعارة من قطع العنق الذي هو القتل؛ لاشتراكهما في الهلاك، لكن هلاك هذا الممدوح في دينه، وقد يكون من جهة الدنيا لما يشتبه عليه من حاله بالإعجاب»[٦].

١-صحيح البخاري، ح.ر٢٦٦٢، ك. الشهادات، ب. باب إذا زكى رجل رجلا كفاه، والنص ٢٠ من (ق. ن).

٢-م. س، ٢/١٦١.

٣-م. س، ٤/٩٥.

٤- صحيح مسلم، ح.ر ٣٠٠٠، كتاب الزهد. باب النهى عن المدح اذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح.

٥-صحيح البخاري، ح.ر٢٦٦٢، ك. الشهادات، ب. باب إذا زكى رجل رجلا كفاه، والنص ٢٠ من (ق. ن).

٦-شرح صحيح مسلم: ١٨/١٠١.

وأما التراب وعلاقته بالمدح، فمدار حديثه على ثلاثة معان: أولها كف المادح، وثانيها حرمانه من العطاء إن كان ذلك قصده من المدح، وثالثها تحصين الممدوح.

فحاصل النهي كما في الفتح: «أن من أفرط في مدّح آخر بما ليس فيه لم يأمن على الممدوح العجّب لظنه أنه بتلك المنزلة، فربما ضَيع العمَل والازدياد من الخير اتكالا على ما وُصف به،...وأما من مدح بما فيه فلا يدخل في النهي، فقد مُدح ﷺ في الشعر والخطب والمخاطبة، ولم يحث في وجه مادحه ترابا»[1]، ومن ثم فالجمع بين أحاديث الإباحة والنهي ممكن، إذ «النهى محمول على المجازفة في المدح، والزيادة في الأوصاف، أو على من يخاف عليه فتنة من إعجاب ونحوه إذا سمع المدح، وأما من لايخاف عليه ذلك؛ لكمال تقواه، ورسوخ عقله، ومعرفته، فلا نهي في مدحه في وجهه إذا لم يكن فيه مجازفة؛ بل إن كان يحصل بذلك مصلحة كنشّطه للخير، والازدياد منه، أو الدوام عليه، أو الاقتداء به، كان مستحبا»[2].

وقد تلحق المدّح آفتان هما علة المنع:

- آفة من جهة المادح؛ لأنه «قد يكذب، وقد يرائي الممدوح بمدحه، ولاسيما إن كان فاسقا أو ظالما...وقد يقول ما لا يتحققه مما لا سبيل له إلى الاطلاع عليه»[3].

-وآفة من جهة الممدوح؛ لأنه «لا يأمن أن يُحدث فيه المدح كِبرا أو إعجابًا، أو يَكِلُه على ماشهره به المادح فيفتّر عن العمل؛ لأن الذي يستمر في العمل غالبًا هو الذي يعدّ نفسه مقصّرا»[4].

١- فتح الباري: ٤٧٧/١٠.

٢-شرح صحيح مسلم: ١٠١/١٨.

٣- فتح الباري: ٤٧٨/١٠.

٤- م. س.

والعلتان معا تضيئان مقصد النهي، ومنهما ترصد مساحة الإباحة، فمدار الأمر كله في المدح على علته في نفس المادح، وأثره في نفس الممدوح، والأمران لهما أثرهما الذي لا يخفى ليس على الفرد فقط؛ بل على الأمة كلها، وحسبنا من ذلك أن نقف على حجم الكارثة التي تصيب الأمة عندما يمدح الجبان بالشجاعة، والبخيل بالكرم، والجائر الظالم بالعدل، والمنافق بالإيمان والتقوى...

وإنه لمن لطف الله تعالى بهذه الأمة أن علماء الجرح والتعديل لم يقيموا هذا العلم الذي انفردت به أمتنا عن كل أمم الأرض استنادًا إلى أقوال الشعراء، فلم ينقلوا تعديلا عن شاعر مادح، ولا نقلوا تجريحا عن شاعر هجّاء قادح.

المبحث الثاني: مهمة الشاعر

لا تخرج مهمة الشاعر المسلم عن المهمة الكبرى التي حددها الله عز وجل لجميع الناس كما يظهر من قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[1]، ولكنه لما اختلف عن باقي الناس بكونه أوتي ملكة قول الشعر، ورزق هذه النعمة، فقد صار له نوع تخصص في العبادة أيضا، كما في شكر النعمة التي رُزقها، فلذلك صار لزامًا عليه أن يَعبد الله كما يَعبده المسلمون، ويزيد عليهم أن يجعل شعره هو الآخر عبادةً ونوعَ شكر للنعمة، ومن ثم فمهمة الشاعر أن يعبد الله في شعره كما يعبده في حياته العادية، وأما كيف ذلك، فذلك ما نتناوله انطلاقًا من أحاديث الشعر والشعراء من زاويتين:

في الزاوية الأولى: يسهم الشاعر في بناء كيان الأمة، ومن ثم فمهمته هي البناء.

وفي الزاوية الأخرى: يدافع الشاعر عن كيان هذه الأمة، ومن ثم فمهمته هي الجهاد.

أولا-بناء الأمة:

عندما نقرأ الأحاديث النبوية الخاصة بالشعر والشعراء قراءة تاريخية سنلاحظ أن ما يتعلق منها ببناء الأمة سبق ما يتعلق بحمايتها الخارجية، إذ تلك الأحاديث بدأت مع وصول النبي ﷺ إلى المدينة، وشروعه في بناء المسجد، ومن الراجح أن تكون الآيات الأخيرة من سورة الشعراء قد نزلت في هذه المرحلة، بينما لم تبدأ أحاديث الشعر والشعراء الخاصة بالجهاد إلا بعد معركة بدر.

١- سورة الذاريات: الآيات ٥٦-٥٨.

ونحن نرى أن الأمر لا يتعلق بأولوية بناء الذات على حمايتها؛ إذ معارك المسلمين لم تكن قد بدأت بعد لنوازن بين الأمرين؛ بل يتعلق بالظرف العام للأمة، ومن ثم فبإمكاننا أن نفهم كل ذلك على أن بناء الذات أصل، وأما حمايتها الخارجية ففرع؛ لأن حال الذات دائمة، وأما الحماية فطارئة؛ لأنها ترتبط بتحركات وصراعات خارجية، فمتى كانت هذه الصراعات كانت الحركة الشعرية المدافعة عن الأمة، ومتى انعدمت لم يعد لهذا النوع من الشعر فاعلية.

والسؤال الآن هو: كيف يسهم الشاعر في بناء الأمة؟يتحقق ذلك بأمرين اثنين: أحدهما خاص بالشاعر نفسه باعتباره جزءا من الأمة، والآخر خاص بالأمة التي ينتمي إليها؛ لأن صلاح الشاعر مقدمة لإسهامه في إصلاح أمته، ومن ثم فذلك الإسهام يستمد فعاليته من نقاء الذات، وخلوها من الشوائب، وعلى قدر نصيبه في ذلك، ورصيده من الصلاح، يكون دوره في الإصلاح، وتوفقه فيه.

الخطوة الأولى التي لا بد أن يخطوها الشاعر في مهمته البنائية أن يبدأ بنفسه، إذ كما قيل: لا يستقيم العود والظل أعوج، والكلام إذا خرج من القلب دخل القلب، وما خرج من الشفتين لم يتجاوز الأذنين، ومن ثم فصلاح الشاعر مقدمة أولى لإصلاح الأمة، فالصلاح بناء على ذلك خطوة نحو الإصلاح.

أول الطريق نحو الصلاح أن تكون صلة الشاعر وثيقة بربه، وعندها؛ فإنه لن يكون إلا إيجابيًّا وفاعلا، وأول ذلك أن يكفّ عنها أذاه، وأول ذلك الأذى مدح الباطل، أو المدح بالباطل، وهجاء الناس، كما رأينا في المبحث الأول من هذا الفصل.

بناء على ما سبق، تندرج جميع أحاديث المدح والهجاء في هذا المبحث؛ لأنها ترسم زاوية من زوايا صلاح الشاعر، وتحمُّله لمسؤوليته، ومراقبته الله

تعالى فيما يصدر عنه من أقوال، وتضاف إلى أحاديث ذينك الموضوعين أحاديث أخرى منها العام الذي يشمله ويشمل غيره، ومنها الخاص بالشعر.

أما الأحاديث العامة التي تشمل صلاح الشاعر وغيره فكثيرة جدا؛ لأن الشاعر مسلم مطالب أن يراعي ضوابط الإسلام في كل شؤون حياته، ومن ثم فجميع الأحاديث بجميع أبوابها هو معني بها مرتين: لأنه مسلم، ثم لأنه شاعر له ملكة تسعفه في جعل كلامه أكثر انتشارًا بين الناس وتأثيرا فيهم، وحسبنا من ذلك بعض الإشارات؛ لأنه بالمثال يتضح المقال:

قوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[1]، فيه أن الشاعر مطالب أن يكون شعره مليئا بمحبة إخوانه، معبرا عن ذلك، داعيا إلى هذه الأخلاق الحميدة، متجنبا كل ما يضر بإخوانه، وداعيا إلى تجنب كل ذلك، ويدخل فيه أنه يتجنب أن يكون سبب فتنة في الأمة، أو يشيع الفاحشة، أو يمدحها، أو يمدح من يفعل ذلك...

وقوله ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدَّث كَذَب، وإذا عاهدَ غدَر، وإذا خاصم فجر» [2]،فيه أن الشاعر للاعتبارات التي ذكرنا آنفا مطالب بالصدق في شعره، والوفاء بالوعد، والأمانة، والعفة عند الخصومة، وهو غير مطالب بتجنب ذلك فقط؛ بل مطالب أيضا بتجنب مدح تلك الخصال المرفوضة، فسواء أكذب، أم مدح الكذِب والكذَبة فهو داخل في زمرة أصحاب تلك الخصال، وهكذا في باقي الصفات.

وقوله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[3] فيه ضرورة مراقبة اللسان واليد، والشاعر آلته الكلمة، فهو أولى الناس بزم كلامه،

١- صحيح البخاري، ح.ر١٣، ك. الإيمان، ب.من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

٢- م. س، ح.ر٣٤، ك. الإيمان، ب. علامة المنافق.

٣- م. س، ح. ر ٦٤٨٤، ك. الرقاق، ب. الانتهاء عن المعاصي.

والاحتياط فيه، وكف أذاه، مادام نوع كلامه أكثر تأثيرًا وبقاء من كلام غيره، حتى وإن لم يكن شعرا؛ لأن الناس ينظرون إليه باعتباره قدوة، وبلغة عصرنا: لأنه من الطليعة الثقافية، والناس منفتحون على كلامه أكثر من كلام غيره.

وهكذا، فكل أَمْر أُمِر به المسلم فالشاعر مأمور به؛ لأنه مسلم، ومطالب أن يوظف موهبته الشعرية لتحبيبه للناس، ودعوتهم إليه، وتصوير النماذج الحية للامتثال له، والنماذج المنحرفة البعيدة عنه، وأثر ذلك البعد فيها وفي انحرافها، ثم هو مطالب أكثر من ذلك أن يتجنب أن يحسّن الباطل أو يقبح الحق؛ لأنه عندها سيكون من الذين يفسدون في الأرض، ويشجعون على ذلك، ويزينونه للناس.

وأما الأحاديث الخاصة بالشعر فمنها قوله ﷺ: «إن أخا لكم لا يقول الرفث»، يعني بذاك ابن رواحة، قال:

وفينا رسولُ اللّه يَتْلو كتابَـه	إذا انشقَّ مَعروفٌ من الفَجْر ساطعُ
أَرانا الهُدى بَعد العَمى فَقُلوبنا	به مُوقنات أنَّ ما قَـال واقع
يَبِيت يُجَافي جَنْبه عن فِراشِه	إذا استثقلت بالكافرين المضاجع

فهذا توجيه إلى أن هذا الشاعر كف أذى لسانه عن الناس؛ لأنه لا يقول الرفث، والرفث كما قال ابن فارس: «هو كل كلام يستحيى من إظهاره» و«الفحش في الكلام»[1]، فنحن وفق الإشارة النبوية أمام شعر نظيف، مختلف عن شعر الرفث.

ثم إن ابن رواحة لم يكْفِه أنه كف لسانه؛ بل ازداد سموًّا بوصف خصائص النبي ﷺ وهديه، وزاد عن ذلك مقارنته بين الهدي النبوي وسلوك الكافرين، فقد وضعنا بذلك أمام صورة مقارنة بين الإسلام المتمثل في

١- معجم مقاييس اللغة: ٢/ ٤٢١.

نموذجه الحي، والكفر وسلوك أصحابه، فلئن كان الرسول ﷺ مستغرقًا في عبادة ربه، وتلاوة كتابه، داعيا إلى الله، مرشدًا عباد الله إلى ما يرضاه لهم ربهم، ويقيم الليل، فإن الكافرين ليس لهم إلا النوم حتى اشتكت منهم مضاجعهم.

والأبيات السالفة الذكر تتجاوز الوصف إلى التوجيه، والتصريح إلى التلميح؛ فهي توجه السامع إلى خيرية النموذج النبوي؛ لأنه حي فاعل نشيط تلتقي فيه جدية الليل بجدية النهار، وهمه القرب من الله، ثم الأخذ بيد عباد الله، وفي الوقت نفسه تثير الانتباه إلى رداءة النموذج الآخر الذي لا همَّ له إلا النوم، حتى استثقلته المضاجع.

وأما التلميح، فهو أن هذا النموذج النبوي بما له من تلك المحامد محمود مرغوب فيه؛ لأنه نموذج حيوي فعال، بخلاف النماذج الأخرى فهي نماذج ميتة، ولا تستحق الاقتداء، ومن ثم فلا يقين فيها؛ لأنها تفتقد المصداقية التي تكسبها إياها حيوية النموذج وفاعليته وإيجابيته في الحياة.

ولكل تلك المعاني كان شعر ابن رواحة شعرًا محبوبًا مطلوبًا، واستحق أن يحفظه النبي ﷺ، وأن ينشده على مرأى ومسمع من الصحابة، واستحق بين هذا وذاك أن ينوه به باعتباره نموذجًا للشعر الذي يجب أن يبدعه الشاعر المسلم؛لأنه الشعر الذي يحس بنبض الأمة، وبعناصر الفاعلية فيها، ويفتخر بها، ويثير الانتباه إليها، ليقتدي بها الناس، فهو بذلك شعر دعوة، لكنها دعوة ذكية، تكتفي بتصوير القدوة، وتكشف ما فيها من خير، بكل ما أوتيت من ملكة في القوة على قول الشعر، ثم تترك للمتلقي أن يستلم الرسالة بسلاسة، وهي موقنة بما أوتيت من اقتدار على التأثير، وصدق في التعبير، أن الرسالة ستصل، والهدف سيتحقق، والدعوة ستجد من يستجيب لها.

بقي أن نشير إلى أن عبدالله بن رواحة الذي مدحه الرسول ﷺ

بأنه لا يقول الرفث لم يستحق ذلك من الرسول ﷺ إلا لأنه جمع في حياته شروط الصلاح، واستثمرها في شعره، فجاء شعره معبرًا عن ذلك الصلاح في مستوى ذلك الإيمان؛ فالرجل أحد النقباء، شهد العقبة وبدرا وأحدا والخندق والحديبية وعمرة القضاء، واستشهد يوم مؤتة في السنة الثامنة من الهجرة، وهو أحد أمرائها، واشتهر عنه قوله يومها - أو بمناسبتها معبرا- عن تلك النفس الصادقة في إيمانها وتعبيرها:

يا نفسُ إن لم تُقتلي تموتي — هذا حِمامُ الموت قد صُليت

وما تمنيتِ فقد أُعطيتِ — إن تفعلي فعلهما هُديتِ

يشير بذلك إلى استشهاد صاحبيه قبله: جعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، ويحضها على اللحاق بهما[1].

ولئن كان الحديث السالف الذكر يرصد عناصر الفعالية في الأمة من زاوية وصف تميز النبي ﷺ وهديه، أي من زاوية القيادة، فإن حديثا آخر من أحاديث الشعر يرصد عناصر تلك الفعالية من زاوية مختلفة تماما، فقد روى الحاكم «أن ضِرار بن الأزور رضي الله عنه لما أسلم أتى النبي ﷺ فأنشأ يقول:

تركتُ القِداحَ وعَزْفَ القِيا — نِ والخَمْرَ تَصْلِيةً وابتهالا

وكَرِّي المُحَبَّرَ في غَمْرَةٍ — وجهدي على المسلمين القتالا

وقالتْ جميلةُ بَدَّدْتنا — وطرَّحْتَ أهلَكَ شتَّى شِمَالا

فيا رب لا أُغْبَنَنْ صَفْقَتِي — فقد بعتُ أهلي ومالي بِدَالا

فقال رسول الله ﷺ: «ما غُبِنت صفقتَكَ يا ضِرار»[2].

١- الاستيعاب، ص: ٣٩٦-٣٩٨، والإصابة: ٤/٧٢-٧٥.

٢- المستدرك: ح.ر٥٠٤٢/٦٤٠، والنص ٥٢ من (ق.ن).

فهذا ضرار بن الأزور ينشد شعرا بين يدي النبي ﷺ بمناسبة إسلامه، ويصف لحظته التاريخية وهو يجمع أمره، ويتخذ قرارًا بترك أخلاق الجاهلية وقيمها الفاحشة، ويسلم وجهه إلى الله، متحدثا عن تحوله هذا على أنه صفقة مع الله عز وجل، راجيًا إياه أن تكون الصفقة غير مغبونة؛ لأنه تخلى عن عدد من الشهوات، وباع الأهل والمال لقاء هذا الدين.

والرجل يتحدث عن تحوله ذاك وكله إيمان أنه قطع مع الماضي، وأن هذه القطيعة لها ثمنها، ولذلك يرجو أن تكون الصفقة مربحة مع الله تعالى.ثم إنه مدرك كذلك أن الأمر يستحق فعلا أن يضحي الإنسان من أجله، وأن يصبر ويحتسب، ودليل ذلك أنه لا يريد أكثر من أن يقبل الله عز وجل منه، بعد أن تجرد من الآثام، وأقبل على الله.

ولقد كان من أول توفيق الله تعالى لضرار أنه وفد على النبي ﷺ، وأن الرسول ﷺ سمع شعره، ثم طمأنه؛ طمأن ضرارا باللغة نفسها التي استعملها الشاعر راجيا، فإذا هي ترتد إليه أمنًا وسلاما، فلئن كان ضرار يتحدث بلغة الصفقة، فإن الرسول ﷺ يتحدث معه باللغة نفسها، ويطمئنه إلى أن الصفقة غير مغبونة، وأن تجارته رابحة؛ لأن الرجل يتاجر مع الله تعالى.

ولابد أن نقرأ الحديث قراءة ثانية غير القراءة الأولى التي مرت، وأول مدخل لترك القراءة أن ننظر إلى أبيات ضرار نظرة أخلاقية؛ فالرجل يصف مرحلتين من حياته:الأولى كان فيها مستغرقا في الملاهي والشهوات: من قمار، ومعازف، وقيان، وخمر، وهو في كل ذلك معاد للإسلام والمسلمين، مشارك في حربهم ومقاتلتهم، شديد في ذلك،موظف فروسيته لتلك الغاية.

والأخرى ترك فيها تلك الملاهي والشهوات، وتخلى عن أهله وماله، وأقبل على الله تائبا، راجيا أن تُقبل توبته.

فنحن، بناء على ما سبق، أمام شعر توبة يقارن بين ما كان الشاعر فيه من شهوات حرام، وما قرّ عليه قراره، وما اقتضاه ذلك منه من تضحيات، وهو شعر دعوة لذلك؛ لأنه يلمح إلى بُعْد غائب في الحياة الأولى، يجيب عنه هذا السؤال: ما الذي كان ينقص رجلا فارسا بحجم ضرار بن الأزور ونوعه حتى يترك كل ذلك ويضحي به، ثم يفد على النبي ﷺنادما تائبا، وله رجاء واحد هو أن يقبل الله تعالى منه؟الجواب: أن كل تلك الحياة تشبع جانب الطين في الإنسان، وتقتل الروح، ولا يشبع الروح إلا الإيمان، فمن ثم وفد تلك الوفادة بذلك الرجاء، راجيا أن تقبل توبته وتربح صفقته.

نخلص، مما سبق،إلى أن الشاعر مطالب أن يكون له دور في بناء أمته، وهذا الدور يمر عبر بناء ذاته أولا، فيصلح قلبه أولا، فإذا ما صلح قلبه فاض الصلاح على الجوارح، فإذا ما صلحت الجوارح صار صلاحها نوع دعوة، يضيف إليها الشاعر موهبته الشعرية، فيجمع بين صلاح الحال، وصلاح الأقوال، ويضمن له ذلك مستوى أعلى من الانسجام مع النفس، والتأثير في الناس.

ثانيا-الجهاد:

أمر أحاديث الشعر الخاصة بالجهاد أظهر من أمر أحاديث البناء، وقد مرت طائفة من ذلك عند حديثنا عن وظيفة الشعر وغيرها، كما مر أن مناسبة هذه الأحاديث وبدايتها كانت مع معركة بدر، ثم تتابعت بعد.

مر أيضا أن المشركين بعد هزيمتهم في معركة بدر أطلقوا العنان لألسنتهم بالقصائد حتى آذوا المسلمين، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، ولقد كاد المشركون يحققون نصرًا شعريًّا يعوض هزيمتهم العسكرية، فكان أن أعدّ رسول الله ﷺ لهذه المعركة عدّتها أيضا، واختار لذلك مسارين اثنين:

١- سمح النبي ﷺبالرد لجميع المسلمين، فتحركوا حركة جماعية بحجم الضرر الجماعي، حتى إنهم أشركوا معهم إماء أهل المدينة بعد أن علموهن إياه، كما مرَّ.

٢- ورشح ﷺ ثلاثة شعراء عُرفوا باقتدارهم الشعري للرد، هم: عبدالله بن رواحة، وكعب بن مالك، وحسان بن ثابت، واستمع إلى ردهم واحدا بعد آخر، وأسفر سماعه هذا عن اختيار حسان بن ثابت شاعر الدعوة الأول والرسمي، كما مر أيضا.

تفيد النصوص التي سلفت الإشارة إليها أن الشاعر المسلم لم يكن معتادا على المعارك الشعرية العقدية في ظل الإسلام، وأن معركة بدر فتحت عينيه على المهمة التاريخية التي تنتظره ويجب أن يقوم بها، وهي مهمة على كل حال لا تقل عن خوض المعركة المسلحة نفسها؛ بل قد تفوقها أهمية، ولاسيما في حال السلم.

على أن هذه المعركة طالت حتى الفتح، مستغرقة بذلك ما يقارب ست سنوات، كلها هجاء وهجاء مضاد.

تخبرنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان «يضع لحسان منبرا في المسجد، فيقوم عليه يهجو من قال في رسول الله ﷺ»[١]، وأن الرسول ﷺ قال عنه: «إن روح القدس مع حسان ما نافَح عن رسول الله ﷺ»[٢].

وفي الحديث خمسة أمور بالغة الأهمية:

أولها: أن الرسول ﷺ جعل لحسان في المسجد منبرًا، والمسجد مكان عبادة، وهو وقتها المؤسسة الرسمية للدولة الإسلامية؛ حيث كانت تجرى المشاورات، وتستقبل الوفود، ويخطط للمعارك، وتدار شؤون الأمة...وذلك كله مشعر بأهمية هذا الشاعر وشعره، والآمال المعلقة عليه، وشرف المهمة التي كلِّف بها.

وثانيها: أن المنبر خاص بحسان؛ وهو ما يعني أنه أثبت كفاءته لذلك،

١- سنن أبي داود، ح. ر٥٠١٥، ك. الأدب، ب. ما جاء في الشعر، والنص ٦٢ من (ق. ن).

٢- م. س.

وأنه شاعر الدعوة والدولة الأول، وهو أول مُطالب بأن يكون مجاهدًا بشعره في سبيل اللّه، ولئن كان قد تمّ اختيار حسان لتلك المهمة، فإن ذلك لا يعفي باقي شعراء المسلمين؛ فالأمر لا يتعلق بحصر للوظيفة في شاعر بعينه؛ بل يتعلق باختيار لشاعر أكثر قدرة على إيصال الرسالة وأداء المهمة بالشكل المرضي، ولكأن أمر الرد كان بالنسبة لحسان فرض عين لما خص به من العناية، وفرض كفاية على باقي الشعراء.

وثالثها: أن حسانًا كان يهجو على المنبر الذي في المسجد «من قال في رسول اللّه ﷺ» من المشركين، ففيه أن هذا النوع من الهجاء في هذا المكان مطلوب؛ بل وصاحبه معزز مكرم، فعمله هذا عبادة، وواجب شرعي.

ورابعها: وصف مهمة حسان تلك بأنها منافحة عن رسول اللّه ﷺ، فهي دفاع عنه، وعن الإسلام والمسلمين، فهو جهاد بالشعر.

وخامسها: أن الرسول ﷺ أخبر حسانًا أن روح القدس معه ما دام ينافح عنه، وذلك مشعر بجلال المهمة التي اختير لها.

لقد كان حسان إذًا مؤيدا بأشكال من التأييد:

- أيده رسول اللّه ﷺ لما اختاره رسميا ليكون شاعره الأول.

- وجعل له منبرا، ونحن نعلم القيمة الرمزية والحضارية للمنبر في أمة عصب حياتها الفكرية والثقافية يقوم على الشعر والخطابة.

-وجعَل المنبر في المسجد، وقيمة ذلك وأهميته لا تخفى.

- ثم بشره بأنه مؤيد بجبريل عليه السلام، وهذه ذروة سنام التأييد.

كل ذلك التأييد مشروط بشيء واحد هو أن يكون شعر حسان في هذا المكان منافحة عن رسول اللّه ﷺ، وبعبارة أخرى: أن يكون شعره جهادًا في سبيل اللّه.

وتتعدد أحاديث النبي ﷺ في حض حسان على الرد على المشركين وغيرهم من خصوم الأمة وهجائهم تعددا يجد مبرره في نظرة الناس وقتها إلى الشعر وسلطته لديهم، وأهمية الشاعر في المجتمع العربي وقتها، من ذلك أنه ﷺ قال: «اهجوا قريشا، فإنه أشد عليها من رشق بالنَّبل»[١]، وقوله لحسان يوم قريظة «اهجهم -أو هاجهم- وجبريل معك» [٢]، وقوله عن شعراء المسلمين ودورهم في مثل هذه المعارك: «إن المؤمن يجاهد بنفسه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأنما يرمون فيهم به نضح النَّبل»[٣]، وقوله: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»[٤]...وهي أحاديث توقفنا على طبيعة المهمة التي أريد للشاعر أن يؤديها في لحظات بعينها، وهي للسبب ذاته تشعرنا بأهمية حسان بن ثابت باعتباره رائدا في ذلك، ولكنها في الوقت نفسه تفيدنا أن المهمة غير مقصورة عليه، فالجهاد الشعري مفتوح.

بقي أمر هو أن الشاعر المجاهد بشعره يستحق من أمته أن تراعي موهبته ومهمته، وأن تشعره بأن مكانته مرعية، وحقوقه محفوظة، ولا يكلّفها ذلك في كثير من الأحيان شيئا، والرسول ﷺ يعلمنا ذلك في تعامله مع حسان وشعره:

قال حسان همزيته قبيل الفتح كما يظهر من قوله:

ثَكِلْتُ بُنَيَّتي إن لم تَروها ... تُثير النَّقْع من كَنَفَي كَدَاء

يُبَارين الأعِنَّة مُصْعِدات ... على أكتافها الأَسَلُ الظِّماء

١-صحيح مسلم، ح.ر٢٤٩٠، ك. فضائل الصحابة، ب. فضائل حسان...، والنص ١٥ من (ق. ن).

٢- صحيح البخاري، ح.ر٤١٢٣، ك. المغازي، ب. مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، والنص ٢٨ من (ق. ن).

٣- مصنف عبدالرزاق، ح.ر٢٠٥٠٠، والنص ١٢ من (ق. ن).

٤-سنن أبي داود، ح.ر٢٥٠٤، ك. الجهاد، ب. باب كراهية ترك الغزو، والنص ١٦ من (ق. ن).

تَظل جِيادنا مُتَمَطِّرات ... تُلَطِّمُهُن بالخُمُر النساء
فإنْ أَعْرَضتمو عنا اعْتَمَرْنا ... وكان الفتحُ وانْكَشفَ الغِطاء

ففيه «اعتمرنا» و«الفتح»، ومناسبة هذا عمرة القضية(٧هـ) وفتح مكة(٨هـ).

لما كان المسلمون على مشارف مكة رأى «رسولُ الله ﷺ عام الفتح النساءَ يلطمن وجوه الخيل بالخمُر، فتبسم إلى أبي بكر رضي الله عنه، وقال: «يا أبا بكر، كيف قال حسان بن ثابت؟». فأنشده أبو بكر رضي الله عنه:

عَدِمْت ثَنِيتي إنْ لم تَرَوها ... تُثِير النَّقع من كَتِفَي كَدَاء
يُنازِعْن الأعِنَّة مُسرعات ... يُلَطِّمُهُن بالخُمُرِ النساء

فقال رسول الله ﷺ: «ادخلوا من حيث قال حسان»[1].

الحدث الآنف الذكر مُشعر بقوة أن شعر حسان بلغ مختلف طبقات المجتمع الإسلامي بما فيه النساء، وأن أثره لم يقتصر على اللحظة والمناسبة اللتين قيل فيهما؛ بل بقي يؤدي مفعوله بصمت بين المسلمين، وأن هذا المفعول ظهر أثره في سلوك النساء وهن يلطمن وجوه الخيل بالخمر استحضارًا لما قاله شاعر الرسول ﷺ حسان بن ثابت، وتنفيذًا لوعده لمشركي مكة.

ثم إن الرسول ﷺ لما رأى النساء يفعلن ذلك تذكر أن حسانًا له شعر في المشهد، وهو إما أنه أنسيه، أو أنه يذكره ولكنه يريد امتحان ذاكرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأنعم ﷺ في بيان أهمية ذلك الشعر أولا، وأثره ثانيا، ثم أحقية قائله بنوع تكريم والتفاتة تشير بوجه من الوجوه إلى أنه حاضر في الوجدان العام للمسلمين، وأن جهده الفكري الذي شفى واشتفى

١- المستدرك: ح.ر٤٤٤٢/٤٠، والنص ٥١ من (ق. ن).

يوما، ما زال محفوظا لديهم، فلذلك اختار رسول الله ﷺ دخول مكة من كداء تنفيذا كذلك لوعيد حسان رضي الله عنه وإكراما له، ولفتا لانتباه المسلمين إلى أهمية ذلك الشعر الذي قيل في وقت كانت الأمة أحوج ما تكون إليه، حتى عبر عنه ﷺ بالشفاء والاشتفاء، كما مر.

ولقد كان اختيار حسان لكداء مثار سؤال لم أوفق في الإجابة عنه إلا عند العودة إلى سياق الفتح نفسه:فقد روى ابن هشام في السيرة مما هاج فتح مكة أن بني بكر وقريشا تظاهروا على خُزَاعة، وأصابوا منهم ما أصابوا، وأنهم نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق بما استحلوا من خُزَاعة، وكانوا في عقده وعهده، وأن عمرو بن سالم الخزاعي أحد بني كعب، خرج حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة، فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظَهراني الناس، فأنشده:

يا رَب إني ناشدٌ محمدا ... حِلْفَ أبِينا وأبيه الأَتْلَدا

وفيها يقول:

ونقضوا ميثاقك المؤَكَّدا ... وجَعَلوا لي في كَداء رُصَّدَا

فلقد ورد ذكر كداء في شعر عمرو بن سالم إذًا، وكان هذا هو المكان الذي جعل فيه المشركون رُصّدا للشاعر، فمن ثم اختاره حسان ليكون المكان نفسه الذي يدخل منه المسلمون؛ لأنه المكان المراقب، والدخول منه أدل على الشجاعة وقوة العزيمة من الأماكن غير المراقبة.

ثم إن هذا الشاعر الذي رُصد وروقب وتُعقب في كداء، ووصل إلى المدينة بتوفيق من الله تعالى للحكمة التي أرادها سبحانه وتعالى لهذه الأمة في تاريخ الحسم مع المشركين، يستحق أيضا أن يُطمأن كذلك نوع طمأنة من الشاعر أيضا بعد أن بشره الرسول ﷺ بالنصرة، قائلا له: «نُصرتَ يا

عمرو بن سالم»[1]، ومتفائلا بمرور السحابة في السماء لحظتها وقائلا كذلك: «إن هذه السحابة لتَسْتهلُّ بنصر بني كعب»[2]، وتلك الطمأنة كامنة في أن مكان الرصد هو نفسه مدخل الفتح، ولقد كان هذا استشرافا من حسان رضي الله عنه، وكان الدخول من المكان نفسه تحقيقا نبويا لهذا الاستشراف المبني على تلك المعاناة التي وصفها عمرو بن سالم.

١- سيرة ابن هشام، ٤/٢٨-٢٩، والنص ٤٦ من (ق. ن).

٢- م. س.

خلاصة الفصل الثالث

أراد النبي ﷺ من خلال أحاديث الشعر والشعراء للشاعر أن يكون إيجابيا وبنّاء في أمته، وأن تكون السلطة التي تمتع بها الشعر في خدمة هذه الأمة، ولذلك كان لابد من تخليصه من عناصر جاهليته بالمعنى الأخلاقي، ليصير في مستوى الأمة وتطلعاتها، ومن ثم كان على رأس الموضوعات التي طرقتها تلك الأحاديث توجيه الهجاء والمدح بما يخدم الأمة وأهدافها.

ولقد وضع الرسول ﷺ الشاعرَ أمام مسؤوليته الأخلاقية موجها إياه إلى الإسهام في بناء الأمة والدفاع عنها، وعُني به عناية لا تجد تفسيرها إلا في شرف تلك المهمة ونبلها وقيمتها في التدافع الحضاري بين المسلمين وأعدائهم، وقد أثمرت تلك العناية شعرًا شريف المعنى لا يخطئ موعده مع التاريخ، وشعراء على بصيرة من دورهم في الشهادة على عصرهم.



الفصل الرابع:

قــراءة ثقافية

المبحث الأول:

من مركزية الشعر إلى مركزية القرآن

تكشف القراءة الثقافية لموضوع الشعر في الإسلام بعدًا ظل غائبا عن الدراسات النقدية والأدبية؛ لأنها لم تضع الشعر في السياق العام والمقصد الكبير للإسلام، ومن ثم ظلت الرؤى السائدة في الموضوع حبيسة أقفاص من قبيل ما سمي بـ«قضية ضعف الشعر» وغيرها...

المسألة أعمق وأجل من أن تكون مجرد معرفة حال الشعر في صدر الإسلام، وما إذا كان قد قوي أم ضعف كَمًّا ونوعًا؛ بل إن وجه الخلل الأكبر هو أن تلك الرؤية الضيقة لم تنظر إلى الشعر إلا من زاوية مجموع فترة النبوة والخلافة الراشدة، في حين أن الإسلام كان يمهد الطريق لتغير جذري في الحياة اليومية الثقافية للمسلم، هذا البعد بهذا العمق هو الذي نريد هنا أن نقف على شقه الأول الخاص بالانتقال من مرحلة يكون فيها الشعر ذروة سنام الثقافة العربية، إلى مرحلة أخرى لا تحاصر الشعر؛ ولكن تمنحه الإطار الذي يستحقه بناء على رؤية تشمل الكون كله، تمهيدا للحديث عن الشق الثاني في المبحث الموالي بحول الله.

أولا- مركزية الشعر:

تجمع مصادر الأدب والنقد على أن الشعر كان العلم الأول للعرب قبل مجيء الإسلام، وأنه ظل حامل لواء الثقافة العربية، فكان كما قال بحق ابن سلام الجمحي في طبقاته: «ديوان علمهم، ومنتهى حكمهم، به يأخذون، وإليه يصيرون»[1]، وقد روى بسند فيه انقطاع عن ابن سيرين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه»[2]، ولو لم ينسب هذا الكلام إلا لابن سيرين (٣٣-١١٠هـ) لكفانا

١- طبقات فحول الشعراء: ١/٢٤.

٢- م. س.

أهمية، لأنه شهادة رجل من علماء القرن الأول الهجري.

ولأبـي عمرو بن العلاء شهادة جليلة تزيد الموضوع وضوحا، فقد قال: «ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافرًا لجاءكم علم وشعر كثير»[١]، وإن قيمة هذه الشهادة في سياق حديثنا لا تتعلق بما ضاع، بل بقيمة الشعر باعتباره وعاء العلم عند العرب، وأنه لما ضاعَ ذلك الشعر ضاع معه كثير من علمهم.

صحيح أن الشعر لم يكن وحده، وقد كانت الخطابة هي الأخرى من قوة الحضور بمكان، إلا أنها لم تكن في يوم من الأيام لتزاحم الشعر أو تنوب عنه في حمل عدد من الأعباء التي أريد له أن يحملها، وفي مقدمة ذلك التأريخ للحياة اليومية للإنسان العربي، وهو أمر يكفي إثباته بسؤال غاية في السذاجة: كم عدد الخطب الجاهلية التي وصلتنا؟الجواب عن هذا السؤال كفيل بأن يفهمنا أن الخطبة لم تكن مؤهلة لذلك الدور، لأنها قد تهيج الناس وتوجههم، وتشاركهم أفراحهم وأتراحهم...، ولكنها لا تملك مقومات الصمود في وجه الزمن، لا تملك القدرة على السير في المسافات الطويلة.

وأما الشعر فيكفي أن نعرف حجم ما وصلنا منه من رصيد الجاهليين[٢]، لنعرف لِم كان العرب أكثر تمسكا به، واحتفاء بأصحابه.وأمر آخر من الأهمية بمكان هو أن الخطبة لا يتجاوز تأثيرها غالبا الفضاء الذي ألقيت فيه، بينما يظل الشعر ينشر ويتداول إلى أن يبلغ أعمق نقطة وأبعد مدى، ولقد كان هذا مما يراه العرب رأي العين، فشعراؤهم يشيرون إلى ذلك كثيرا في أشعارهم، ومن ذلك اعتبارهم له أنه أفضل ما يورث، وتفضيلهم له على البنيان، وعطفهم له على الحسب والعز[٣].

١- م. س، ١/٢٥.

٢- تقدم لنا الموسوعة الشعرية في إصدارها الثالث ٥٣٦ شاعرا جاهليا، و٢٥١٨ قصيدة.

٣- مصطلحات النقد العربي، ص: ١٥٢-١٥٣.

ثم إن الشعر لتلك الأهمية تجاوز أن يكون مجرد أداة فعالة في التعبير والتأثير، وتوسيع دائرة التلقي؛ وأضحى حاسما في المواقف الثقافية التي يتخذها الناس، والعنوان البارز لعدد من معاركهم، وحسبنا هنا لبيان ذلك أن نسلط الضوء على مسألتين شديدتي الصلة بالموضوع:

الأولى أن العرب لما نزل القرآن الكريم وسمعوه فزعوا إلى هذا الشعر يقيسونه عليه لمعرفة ما إذا كان منه، وحسبنا هنا شاهد واحد من الأهمية بمكان:

فقد روى أبو ذر الغفاري في سياق إسلامه أن أخاه أُنَيْسا قال له:«إن لي حاجةً بمكة فاكْفِني. فانطلق أُنَيْسٌ حتى أتى مكة، فَرَاثَ علي، ثم جاء، فقلت: ما صنعتَ؟قال: لقيتُ رجلا بمكة على دينِك يزعم أن اللّه أرسله. قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون: شاعر، كاهن، ساحر. وكان أُنَيْسٌ أحد الشعراء. قال أُنَيْسٌ: لقد سمعتُ قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعتُ قوله على أقْرَاء الشِّعر[1]، فما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شِعر، واللّه إنه لصادق، وإنهم لكاذبون...»[2].

واضح أن الشعر حاضر في تمحيص القرآن الكريم ومعرفة أي نوع هو، فأُنيس قاس القرآن الكريم على أشعار العرب ومذاهبهم فيها، وأن ذلك التمحيص يستند إلى التهمة التي روجها المشركون بين الناس ومفادها أن القرآن الكريم شعر، فها أُنيس وهو أحد الشعراء ومن الطليعة الثقافية للمجتمع العربي يضع القرآن الكريم على طرق الشعر وأنواعه، ويخلص إلى نتيجة مفادها أن القوم كاذبون في زعمهم أن القرآن شعر، ومحمد ﷺ صادق أن القرآن ليس منه؛ لأن ذلك القياس الذي استعمله أُنيس أبان عن نتيجة ثانية هي أن القرآن مختلف كذلك عن كلام الناس، فهو مما لم يَعهده من قبل، ولذلك صدّق محمدا ﷺ، وكذب قريشًا في زعمها.

١-أقراء الشعر:«أي طرقه وأنواعه» كما في(شرح صحيح مسلم، ١٦/٢٥).

٢-صحيح مسلم، ح. ر ٢٤٧٣، ك. فضائل الصحابة، ب. من فضائل أبي ذر رضي اللّه عنه.

ويبدو أن تكذيب قريش كان من اليسر بمكان، إذ يكفي فيه أن تُعلم مخالفة القرآن الكريم للشعر، ومن ثم فنحن نزعم أن مسألة القياس والتمحيص كانت تهدف إلى أكبر من ذلك، كانت تريد أن تعرف هذا القرآن ما هو؟ ومن ثم كانت النتيجة تصديق محمد ﷺ، أي تصديقه في قوله: إن القرآن الكريم كلام الله تعالى.

النتيجة التي خلص إليها أُنيس، كما مر، شديدة الصلة بحضور الشعر بطرقه وأنواعه، ويهمنا من ذلك أن هذا الشعر كان شاهد إثبات على صحة دعوى النبي ﷺ، ونفي لتهم مشركي قريش.

والمسألة الثانية هي أن العرب اتهموا محمدا ﷺ بأنه شاعر، والقرآن الكريم بأنه شعر، ولقد كانت التهمتان أكثر دورانا على ألسنة القوم كما يستفاد من نزول خمس آيات في المرحلة المكية تنفي أن يكون القرآن الكريم شعرا، أو محمد ﷺ شاعرا، وهي بحسب ترتيب النزول[1]:

١- ﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴾[2].

٢- ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ﴾[3].

٣- ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴾[4].

٤- ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ﴾[5].

٥- ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴾[6].

١- البرهان في علوم القرآن: ١/١٩٣.

٢- سورة الأنبياء، الآية ٥.

٣- سورة يس، الآية ٦٩.

٤- سورة الصافات، الآية ٣٦.

٥- سورة الطور، الآية ٣٠.

٦- سورة الحاقة، الآية ٤١.

فأما أن العرب كانوا وقتها لا يميزون بين الشعر والقرآن حتى ظنوه شعرا فأمر غير مستساغ[1].

والمسألة قبل هذا وذاك نابعة من استكبار للقوم كما في سياق آيةسورة الصافات: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [2]، ومن قلة إيمان كما في سياق آية سورة الحاقة: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [3]، وهو فوق هذا وذاك ناتج عن معركة وجود كان القوم يخوضونها دفاعا عن مصالحهم.

على أن للأمر زاوية أخرى مقنعة هي الأخرى، وهي أن القوم فعلا في مرحلة من المراحل أصيبوا بالحيرة من هذا القرآن؛ لأنه مخالف لكل أجناس القول لديهم، فانطلقوا – في حيرتهم تلك، واندفاع عداوتهم في حدودها القصوى– يلقون التهم يمينًا وشمالا لا يعيرونها اهتمامًا، ولا يخضعونها لتمحيص، وحسبنا هنا أن الآيات السالفة الذكر تورد في السياق نفسه إضافة إلى تهمة الشعر أربع تهم أخرى:

١- أَضْغَاثُ أَحْلَام. ٢- افْتَرَاهُ. ٣- مَجْنُون. ٤- كَاهِن.

والذي يهمنا من كل ذلك في سياق الحديث هو أن الشعر لما كان علمهم المركزي كان حاضرًا بقوة في دائرة الصراع، فكان التهمة وشاهد إثبات البراءة في الوقت نفسه، وحسبنا بهذا بيانًا لتلك المركزية، وأهميتها عند القوم.

١- ن. تفصيل ذلك في مصطلحات النقد العربي، ص: ٩٩-١٠١، و٣٠٤، ونصوص الشعر والشعراء، ص: ٣٦٧-٣٨١.

٢- سورة الصافات، الآيات ٣٥-٣٧.

٣- سورة الحاقة، الآيات ٤٣.

ثانيا- مركزية القرآن.

كانت نقطة قوة الشعر هي أن العرب مجمعون على أهميته ومركزيته في حياتهم، ولكن نقطة القوة تلك تحمل الكثير من نقط الضعف والتفرقة، ثم هو بالشكل الذي هو عليه وبكثير من مضامينه خاص بالحياة العربية وقتها، وقد جعله ذلك يجمع بين أمرين:

أولهما أن مركزيته حبيسة تلك الحياة، فبالقرب من العرب كانت حضارات مختلفة لها مركزياتها الخاصة المخالفة لما للعرب، وما أحسن التفاتة الجاحظ في هذا الباب، فقد قال: «فكلُّ أمّةٍ تعتمدُ في استبقاءِ مآثرها، وتحصين مناقبها، على ضربٍ من الضروب،وشكل من الأشكال. وكانت العربُ في جاهليَّتها تحتال في تخليدها، بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون،والكلام المقفَّى، وكان ذلك هو ديوانها، ...وذهبت العجَم عَلَى أن تقيِّد مآثرَها بالبُنيان...»[1].

والأخرى أنه باعتباره إنتاجا بشريا ظل حبيس الظروف العربية في السلم والحرب، ومن ثم ما كان لهذا الشعر العربي أن يكون له دور خارج جزيرة العرب يومًا، ولا كان للعرب أفق تصديره إلى الخارج، فقد ظل إنتاجهم الخاص الذي افتخروا إلى حدود الدولة العباسية بأنه لهم وحدهم، وينفردون به عن أمم الأرض[2].

بذلك المعنى كان أفق الشعر محدودا؛ لأنه من أجل أن يتسع لابد له من محرك قوي يفتح أمامه المجال ليسيح في الأرض، وأنّى له؟! لذلك كله كان القرآن الكريم بديلا عن المركز الثقافي السائد وقت نزوله، وآذن بتحول في

١- الحيوان، ١/٧١-٧٢.

٢- قال أبو عثمان الجاحظ في الحيوان، ١/٧٤:«وفضيلة الشعر مقصورةٌ على العرب، وعلى من تكلَّم بلسان العرب». ومعلوم أن حركة الترجمة كانت نشيطة في العصر العباسي، وأن العرب قد اطلعوا وقتها على ما لدى الأمم حولهم من تراث ثقافي، بما فيه شعر اليونان، وحكمتهم»، مع التذكير بنسبية الأحكام الواردة في نص الجاحظ.

الحياة الثقافية للعرب أولا، ثم للإنسانية جمعاء أخيرا، يجعل مركزياتها هامشا، وينفرد هو بالمركز؛ لأنه وحده المؤهل لذلك، كما سنرى.

على أننا سنستعجل القطاف ونورد مسألة واحدة في غاية الأهمية، ثم نمضي إلى حال سبيلنا، ذلك أن الله عز وجل خلق أبانا آدم عليه السلام من طين ثم نفخ فيه من روحه، فجمع فينا بين الطين والروح، وجعل الطين يعيش بما ينتجه الطين، والروح تتغذى بما يأتيها من رب العالمين، ومن ثم وصف سبحانه وتعالى القرآن الكريم بأنه روح، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]؛ ليشعرنا بأن روحنا في حاجة إلى هذه الروح، وأننا بغير قرآن طين لا أقل ولا أكثر، وأن القرآن الكريم بمثابة النفخة الثانية بعد النفخة الأولى ينعم بها رب العالمين على الناس ليحيى من حيي عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة، من ثم فالروح في الآية السالفة الذكر «هو التعبير عن سر الوحي بأنه يحدث في الإنسان من الخصائص ما يحدثه الروح حين ينفخ في الإنسان...إن الإنسان – الفرد والمجتمع معا – يصير بالقرآن خلقا آخر، لكون هذا القرآن ذا طبيعة تشبه طبيعة الروح تماما، ولذلك كان التعبير فيه كالتعبير في الروح؛ ففي الروح قال الله عز وجل: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[2]، وها هنا قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[3] نفس اللفظ تقريبا»[4].

والسؤال الذي نرى أننا ملزمون بالإجابة عنه هنا هو: ما الذي جعل القرآن الكريم يزيح الشعر عن المركز؟ حسبنا في ذلك مما له علاقة بموضوعنا ثلاثة أمور عامة، وأمران خاصان بأحاديث الشعر.

١- سورة الشورى، الآية ٥٢.

٢-سورة الإسراء، الآية ٨٥.

٣-سورة الشورى، الآية ٥٢.

٤-القرآن الكريم روح الأمة الإسلامية، ص: ١٧-١٨.

فأما الأمور العامة فهي:

١- جعل الله عز وجل القرآن الكريم مهيمنا على الكتب السابقة ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[١]، انسجاما مع الرسالة الموحدة الخاتمة، وضمن لهذه الهيمنة الاستمرار بتولي حفظه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[٢]، فكان القرآن الكريم «كتاب الكتب»، فعند الراغب الأصفهاني: «قال بعض العلماء: تسمية هذا الكتاب قرآنا من بين كتب الله لكونه جامعا لثمرة كتبه»، وأضاف مستدركا: «بل لجمعه ثمرة جميع العلوم، كما أشار تعالى إليه بقوله: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ﴾[٣]، وقوله: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[٤]»[٥]، فمن هذه الناحية صار القرآن الكريم الكتاب الوحيد المقدس.

٢- جعل الله عز وجل القرآن الكريم كتابا مفتوحا، يعبر عن الماضي، وحاجات الحاضر، والمستقبل: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[٦]، وما أحسن ما قال الإمام علي رضي الله عنه: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخْلَق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾[٧]، من قال به صدق، ومن

١- سورة المائدة، الآية ٤٨.

٢-سورة الحجر، الآية ٩.

٣-سورة يوسف، الآية ١١١.

٤-سورة النحل، ٨٩.

٥-مفردات ألفاظ القرآن،ص:٦٦٩.

٦-سورة النحل، الآية ٨٩.

٧-سورة الجن، الآية ١-٢.

عمل به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم»[١].

وقد أشار بديع الزمان سعيد النورسي إلى ذلك الجامع بين الهيمنة على الكتب السابقة، والانفتاح على المستقبل بعبارة لطيفة هي:«وهو الكتاب الوحيد المقدس الجامع لكل الكتب التي تحقق جميع حاجات الإنسان المعنوية،...فهذا الكتاب السماوي أشبه ما يكون بمكتبة مقدسة مشحونة بالكتب»[٢]، ثم قال: «حتى إن كثيرا من أبواب القرآن ظلت مغلقة لتفتح في المستقبل من الزمان»[٣].

٣- جعل الله عز وجل القرآن الكريم مختلفا عن سائر أجناس كلام العرب، مع أنه بلسانهم، وهو لم يخالفها فقط في الموضوعات وسعتها؛ بل خالفها أيضا في البناء، وهذا ما لاحظه أبو عثمان الجاحظ(ت٢٥٥هـ) وعبر عنه بقوله: «سمى الله كتابه اسما مخالفا لما سمى العرب به كلامهم على الجُمل والتفصيل: سمى جملته قرآنا، كما سموا ديوانا، وبعضه سورة كقصيدة، وبعضها آية كالبيت، وآخرها فاصلة كقافية»[٤].

وأما الأمران الخاصان بأحاديث الشعر - وإليها كانت تلك المساقة كلها- فهي:

١- جعل الرسول ﷺ للقرآن الكريم الأولوية منذ المرحلة المكية، ففي هذه المرحلة لم يصلنا أنه ﷺ تمثل بشعر، أو سمع شعرا، أو أمر بذلك، أو نهى عنه، مع أنه من الممكن جدا أن يكون قد سمع شعرا؛ لأنه في بيئة عربية تتنفس شعرا، إلا أن الذي يهمنا أنه لم يذكره - أو لم يصلنا- أنه ذكره، لا بخير ولا بشر، وقد رأينا من قبل أن أول إطلالة لأحاديث الشعر

١-كتاب فضائل القرآن، ص:١٧. قال ابن كثير رحمه الله: «وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه، وقد وهم بعضهم في رفعه، وهو كلام حسن صحيح».

٢-المعجزات القرآنية، ص: ٩.

٣-م. س، ص: ٤٩.

٤-الإتقان: ١٤٣/١، ولم أجده في كتب الجاحظ.

كانت في مرحلة الإعداد للهجرة قبيل بيعة العقبة[1].

ذلك السكوت لا مبرر له إلا طبيعة الانشغال المرحلي للرسول ﷺ بإعادة صياغة هؤلاء الذين يقبلون عليه معلنين إسلامهم ومستعدين للصياغة الجديدة لشخصيتهم، ولقد كانت المهمة جليلة حقا، حتى إن مركز الاهتمام كان فيها تبليغ المسلمين ما نزل من القرآن، وقراءته، ومدارسته منذ مؤسسة دار الأرقم.

أراد الرسول ﷺ لتلك الطليعة من أصحابه أن يفرغوا أنفسهم من الشواغل الثقافية والفكرية، ويملؤوها بكتاب الله تعالى، وقد كانت الخطوة الأولى في ذلك هي التعويل في حفظ القرآن وحمايته على الحفظ والاستظهار، حتى إذا ما أدخل حق الإدخال إلى الصدور، فاض على الجوارح فخرج في صيغة حركات وسلوكات جعلت الصحابة قرآنا يمشي على الأرض.

هذا الجيل الفريد بتلك الخطة في إدخال القرآن وإخراجه، حفظا له وللصحابة، ما كان له الوقت والرغبة في أن يشغل نفسه بالشعر فما دونه؛ لأن الرسول ﷺ وصله بالله تعالى، وجعله يشعر بأن الله يخاطبه، وعليه أن يلقي السمع.

ليس عجبا، بناءً على ذلك، أن يهمل هؤلاء الشعر، وينشغلون عنه بالقرآن الكريم؛ بل العجب كل العجب أن يشتغلوابالشعر مع اشتغالهم بكتاب ربهم، فضلا عن أن يشغلهم الشعر عنه، فلذلك المسألة ليست مسألة ضعف للشعر وقوة له؛ بل مسألة التحول العميق الذي تشهده المنطقة برمتها من مركز الأرض، بالكتاب المركزي.

لكل ذلك نرى أن الأمر اختلف في المدينة عن مكة اختلافا كليًّا، فلقد أخرج الرسول ﷺ مسلمين قامت على أكتافهم الدولة في المدينة، ثم في الجزيرة العربية، ثم في امتدادها من الصين شرقا إلى فرنسا غربا.

١-مسند أحمد، ح. ر١٥٧٣٨، والنص ٥٣ من (ق. ن).

ولما اطمأن الرسول ﷺ إلى حسن الصنعة اكتفى بتوجيههم فيما ينفعهم وما يضرهم بما هو مؤيد به من وحي، وترك لهم أن يعملوا ذلك في سائر الشعر مما قالوه أو سمعوه في جاهليتهم وإسلامهم.

٢- كان من التوجيهات المثيرة للانتباه في المرحلة المدنية أمران بالغا الأهمية: نهيه عن الشعر في المساجد، ونهيه عن الامتلاء بالشعر:

أما النهي الأول فورد في أحاديث حسبنا منها اثنان:

أولهما- ما رواه أبو داود في سننه عن حكيم بن حزام، أنه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يستقاد في المسجد، وأن تنشد فيه الأشعار، وأن تقام فيه الحدود»[1].

والآخر- ما رواه ابن حجر في المطالب العالية من أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم الشيخ ينشد الشعر في المسجد يوم الجمعة، ويذكر أيام الجاهلية، فاقرعوا رأسه بالعصا»[2].

ففي الحديثين دعوة إلى تجنيب المساجد الشعر، وفي الثاني تشديد في ذلك إن كان في المساجد يوم الجمعة، ولاسيما إن كان فيه ذكر لأيام الجاهلية، والمسألة هنا مفهومة وواضحة، فالذي ينشد الشعر يوم الجمعة، وينشد منه ما تعلق بأيام الجاهلية يرتكب خطأين:

أولهما: في حق يوم الجمعة، فهو عيد المؤمنين، ومناسبة يبكر فيها المسلم إلى المسجد للتقرب إلى الله، فمن هذه الناحية يكون الإنشاد تعطيلا لهذا المقصد.

والآخر: أنه يثير الفتنة؛ لأن ذكر الأيام فيه إساءة إلى أناس، وإثارة آلام أناس، وتذكير بالخصومات والعداوات الجاهلية.

١- سنن أبي داود، ح.ر٤٤٩٠، ك. الحدود، ب. في إقامة الحدود في المسجد، والنص ٦١ من (ق. ن).
٢-المطالب العالية، ح. ر٣٦٣، ك. الصلاة، ب. صون المسجد، والنص ٦٣ من (ق. ن).

وأما النهي عن مطلق الإنشاد في المسجد، فأمر يفهم في ضوء حديثين آخرين:

أولهما- ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يضع لحسان منبرا في المسجد، فيقوم عليه يهجو من قال في رسول الله ﷺ...»[1]، ففيه أن حسانا كان ينشد فيه الشعر، وأن الأمر لا يقتصر على ذلك؛ بل تعداه إلى أن جعل له رسول الله ﷺ منبرا لذلك الغرض.

والآخر: «مر عمر في المسجد وحسان ينشد فقال: كنت أنشد فيه، وفيه من هو خير منك»[2]، وفي رواية مسلم: «أن عمر مر بحسان وهو ينشد الشعر في المسجد فلحظ إليه...»[3]، وفيه أن عمر لم يعجبه تصرف حسان، كما تُشعر بذلك عبارة رواية مسلم «فلحظ إليه»، واحتجاج حسان بأنه كان يفعل ذلك في عهد الرسول ﷺ.

نحن بناء على الحديث السالف الذكر أمام رؤيتين:

الأولى: تنسجم تماما مع الأحاديث الخاصة بالنهي عن الشعر في المسجد، وهي رؤية عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ونحن نستبعد جدا أن لا يكون عمر عارفا بما فعله الرسول ﷺ مع حسان؛ لأنه من الشهرة بمكان، وقد تكرر مرارا؛ إذ أم المؤمنين عائشة روت الخبر بعبارة: «كان رسول الله ﷺ يضع لحسان...» الدالة على الاستمرار وتكرار العملية، فلم يبق إلا أن عمر رضي الله عنه فهم من كل ذلك أن الإنشاد كان في مرحلة الصراع والحاجة إليه، وأن الأمر اختلف بعد ذلك لما فتح الله على المسلمين، فقد نظر وفق هذا التحليل إلى مقاصد المسألة، لا إلى ما كان زمن النبي ﷺ.

الرؤية الأخرى تنسجم تماما مع تجربة شاعر في الدعوة في زمن النبي

١- سنن أبي داود، ح. ر٥٠١٥، ك. الأدب، ب. ما جاء في الشعر، والنص ٦٢ من (ق. ن).

٢- صحيح البخاري، ح.ر٣٢١٢، ك. بدء الخلق، ب. ذكر الملائكة صلوات الله علهم.

٣- صحيح مسلم، ح.ر٢٤٨٥، ك. فضائل الصحابة، ب. فضائل حسان..

ﷺ، فحسان لم يحدث أن نُهي عن الشعر في المسجد، ومن ثم فلا حق لعمر ولا لغير عمر أن يمنعه من ذلك، مع العلم أنه ما كان ينشد شعرا مثيرا للفتن، أو مخالفا لشرع الله.

لقد كان عمر رضي الله عنه يدافع عن خصوصية المسجد، وكان حسان رضي الله عنه يدافع عن الوظيفة الحضارية للمسجد.

على كل حال فالرؤيتان معا متفقتان في أنه ليس كل شعر ينشد في المسجد، ولا كل وقت يمكنه فيه ذلك، ولا حق له في أن يطيل المكث فيه حتى يؤثر على الوظيفة الأم لهذه المؤسسة، وذلك هو الخيط الرفيع الناظم للرؤيتين معا، فالهدف العام هو أن تكون المساجد لله، وأن يَعبد فيها الناسُ ربهم، وأن لا يشغلهم عن ذلك فيها شاغل.

وأما النهي عن الامتلاء بالشعر فورد في قوله ﷺ: «لأن يمتلئ جوف أحدكم قَيحا، خير له من أن يمتلئ شعرا»[1]، فهذه الصورة التي يكون فيها القيح خيرا من الشعر منفرة منه، ولكنه تنفير غير مطلق كما فهمه الإمام البخاري مثلا عندما بوب له بقوله: «باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصده عن ذِكر الله والعلم والقرآن»[2]، وهو يقدم لنا مفتاحا لفهم الحديث فهما مختلفا عن التلقي السطحي الأولي؛ إذ مدار الأمر على مقدار حضور الشعر في حياتنا اليومية، وأثر ذلك على ذكرنا لله تعالى، ومن ثم فالمفهوم من الحديث أن شعرا يصدنا عن ربنا أقبح من قيح يمتلئ به جوفنا.

وأرى أن الأمر قبل ذلك وبعده غير بعيد عن مسألة مركزية القرآن الكريم، وأن الشعر مهما تجووِز عن تداوله بين المسلمين، فإنه لا يمكن بأي

١- صحيح البخاري، ح.ر٦١٥٤، ك. الأدب، ب. ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر...، والنص ٥٧ من (ق. ن).

٢- — م. س: ١١٨/٤.

حال من الأحوال أن يتجاوز حدود كونه هامشا من الهوامش؛ وأن لا يمس المركز في شيء.فالثابت في الحياة اليومية للمسلم أن يكون القرآن في مركز اهتماماته، وأن يكون أول وأكثر مقروء.

تلك المركزية للقرآن الكريم نجد تفسيرها عموما في حجم حضوره في حياتنا اليومية، فنحن ملزمون أن نتصل به سبع عشرة مرة في الصلاة المفروضة وحدها، وأن يكون لنا نصيب يومي من قراءته خارجها[١].

ونجد تفسيرها كذلك في التحول الذي عرفته الحياة البشرية في مدة وجيزة جدا، لما انطلق المسلمون من هذا القرآن، وأسسوا علوما لا قبل للبشرية بها...

وأما الشعر فحسبه أمام عظمة القرآن الكريم وجلاله - إن أراد الشرف حقا – أن يكون خادما لهذا المركز، وأحد حماته الأبرار، ولقد وصلنا مرحلة صار فيها حتما على هذا الشعر أن يكون في تلك الخدمة، وأن يستمد من تلك المشكاة مقومات حياته واستمراره إن أراد أن يبقى.

١- روى البخاري عن عبد الله بن عمرو قال: «قال رسول الله ﷺ:اقرأ القرآن في شهر. قلت: إني أجد قوة، حتى قال: فاقرأه في سبع، ولا تزد على ذلك». صحيح البخاري، ح.ر٥٠٥٥، ك. فضائل القرآن، ب. في كم تقرأ القرآن. وروى الترمذي عن عبد الله بن عمرو «أن النبي ﷺ قال: لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني. ن. صحيح سنن الترمذي، ح. ر ٢٩٤٩، ك. القراءات، ب ١٣.

المبحث الثاني:

من سلطة الشاعر إلى سلطة العالم

لئن كان الشعر قد آل أمره إلى الهامش بعد أن كان في المركز، وهو هامش يستمد شرفه من شرف ارتباطه بذلك المركز، فإنه من المتبادر إلى الذهن كذلك أن يؤول أمر الشاعر إلى ما آل إليه شعره، وفي ذلك كثير من الحقيقة، ولكن ليست كلها؛ لأننا من قبل كنا نتحدث عن الشعر والقرآن، أي عن الكلام البشري والكلام الإلهي، وأما الآن فالأمر مختلف، فالشاعر والعالم معا شخصان، جمعهما انتماؤهما إلى بني آدم، وفرقهما انشغالهما الثقافي.

والحق أن الرسول ﷺ لما كان يدفع بالشاعر في اتجاه معين، ويحصر حضوره في الحياة اليومية في زوايا لا تؤثر على المركز، فإنه كان يصوغ البديل عنه؛ لأن القرآن الكريم باعتباره مركزيا لا يمكنه – وفق سنن الله في الكون– أن يتحرك بنفسه ليحدث التغيير المطلوب في البشرية؛ بل لا بد له من أناس يتحرك عبرهم في الواقع، ولذلك كانت مهمة الرسول ﷺ إيجاد هؤلاء الناس.

إن ما سبق يسمح لنا أيضا بمعالجة الموضوع من زاوية مرحلتين: مرحلة كانت فيها للشاعر سلطة لما كان في المركز، ومرحلة صارت فيها السلطة للعالم بعد أن صار ذلك المركز له.

أولا-سلطة الشاعر:

استمد الشاعر سلطته من الوظيفة الثقافية التي أداها، وجعله تقدير العرب لذلك محترما، وله حضوره في محافل القوم ومنتدياتهم، كما له تأثيره في حياتهم أيضا.

تخبرنا كتب الأدب أن القبائل كانت إذا ازداد فيهم الشاعر احتفلت به؛

لأنه رقم جديد في ميزان القوى يضاف إلى رصيدها، وصوت قوي يدافع عنها، وكراس جديد لا يبلى يسجل وقائعها وأيامها وتفاصيل حياتها، فابن رشيق يعقد في «العمدة» بابا بعنوان «احتماء القبائل بشعرائها»، ثم يقدم له بقوله:«كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنّأتها، وصنعت الأطعمة،واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعون في الأعراس، ويتباشر الرجال والولدان؛ لأنه حماية لأعراضهم، وذب عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكرهم. وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج»[١]، ثم يقدم نماذج لدور شاعر القبيلة في حمايتها، نكتفي منها باثنين:

أولهما: قصة زياد الأعجم من بني عبد القيس لما بلغه أن الفرزدق همَّ بهجاء قومه، فقد بعث إليه قائلا: «لا تعجل وأنا مُهْدٍإليك هدية، فانتظر الفرزدق الهدية، فجاءه من عنده:

ما تَركَالهاجــون لي إنْ هَجَوتُهُ   مَصَحّـاً أراه في أديم الفَــرَزْدَقِ

ولا تَركوا عظماً يُرى تحت لحمِهِ   لِكــاسِره أبْقَــوْه للمُتَعَــرِّقِ

سأكْسِر ما أبْقوا له مِن عظـامه   وأنكُـتُ مُخَّ الســاق منه وانْتَقي

فإنا وما تُهْدي لنَا إنْ هَجَــوْتَنا   لَكالبَحْر مَهْما يُلْقَ في البَحْر يَغْرَقِ[٢]

فلما بلغته الأبيات كف عما أراد، وقال:لا سبيل إلى هجاء هؤلاء ما عاش هذا العبد فيهم»[٣].

فهذا زياد قد منع قومه بما أُوتي من قدرة على قول الشعر، ومواجهة الفرزدق وما أدراك ما الفرزدق، فحال بين الرجل وهجاء بني عبدالقيس،

١- العمدة: ١/١٥٣.

٢- الأديم: الجلد. المتعرق: الذي يأخذ ما على العظم من اللحم نهشا. نكت العظم: ضرب بطرفه ليخرج ما فيه من مخ.

٣- العمدة: ١/١٥٣-١٥٤.

ولولاه لفضحهم الهجاء كما فضح غيرهم، وكانت الهدية الشعرية التي بعثها إليه كافية لجعله يقلع عن هجاء القوم خوفا على نفسه من الفضيحة؛ لأنه سمع شعر الرجل وخبر منه مستواه، وعرَف أنه لن يَسلم منه.

والآخر ما فعله قوم عبدالله بن الزِّبعرى السَّهميبه لما هجا بني قُصَيّ، فقد دفعوه إلى عتبة بن ربيعة «خوفا من هجاء الزبير بن عبدالمطلب، وكان شاعرا مُفلقا، شديد العارضة، قَذِعَ الهجاء»[1]، ثم أطلقه حمزة بن عبدالمطلب، وكان الزبير غائبا، فلما بلغه الخبر قال:

فلولا نحْنُ لم يلبَسْ رجالٌ	ثيابَ أعِزّة حتى يمـــوتوا
ثيابُهُمْ سمالٌ أو طمارٌ بها	وَدَكٌ كما دَســمَ الحَميتُ
ولكنَّا خُلِقْنا إذْ خُلِقْنا لنـا	الحَبَرَاتُ والمِسْك الفَتِيتُ[2]

وفي الخبر أمور من الأهمية بمكان:

أولـهـا: أن بعض الشعراء كانـوا أحيـانـا يـثيرون المشاكل لقبيلتهم، ويحرجونها.

والثاني: أن بعض القبائل إذا رأت أن شاعرها سيكون سبب فضيحتها تفضل التضحية به على الفضيحة الدائمة، ولاسيما أنه يستحق ذلك.

وثالثها: أن حجم التضحية قد يصل إلى درجة أن تسلمه إلى القبيلة التي هجاها للتعامل معه بما تراه مناسبًا.

ورابعها: أن إسلام القبيلة شاعرها ليس بالأمر الهين؛ لأنها تتخلى عن لسانها، ولكنه عندما يتعارض مع مصلحتها العامة تفضل التخلي عنه عقابا له على قبيح فعلته.

١- م. س: ١/ ١٥٤.

٢- م. س: ١/ ١٥٥. السمال والطمار: الثياب البالية. والودك: دسم اللحم والشحم. والحميت: وعاء السمن. والحبرات: ضرب من برود اليمن.

وخامسها: أن القبيلة ترى أنه لا حل أمامها إلا أن تسلم شاعرها، وإلا تفعل تكن الفضيحة من شاعر القبيلة الأخرى.

وسادسها: أن القبيلة التي تلجأ إلى تسليم شاعرها لا تفعل ذلك إلا إذا كان شاعر القبيلة الأخرى قادرًا على فضحها.

ولكل ذلك حُق للزبير أن يفتخر لما علم بالخبر؛ لأن شعره هو الذي أكسب قومه العز، والمنعة، وغرس في نفوس الآخرين الخوف منهم والمسارعة بإرضائهم.

تشترك القصتان السابقتان معا في رسم صورة لسلطة الشاعر، وهي إن كانت تقدم لنا نموذجا لبعض الشعراء الظالمي أنفسهم، فإنها في الوقت نفسه تقدم لنا صورة لشعراء كانوا بالمرصاد لمن يعتدي على قبيلتهم، وعلى هؤلاء مدار حديثنا.

على أن تلك الصورة غير بعيدة عما ذكرناه من قبل عند حديثنا عن قدر الشعر وقدرته على رفع أقوام ووضع آخرين، فالحديث عن تلك القدرة ما هو في الحقيقة إلا حديث عن تلك السلطة التي يمارسها الشاعر، وتُحدث تأثيرا عظيما في الناس، وحسبنا هنا قصتان أخريان:

أولاهما: قصة بني عبد المَدان الحارثيِّين مع حسان، فقد كانوا يَفخرون بطُول أجسامهم وقديم شرفهم، فما هو إلا أن قال فيهم حسان بن ثابت:

لا بأسَ بالقَوم مِن طُول ومن غِلَظ   جِسْم البِغال وأحلامُ العصَافير

حتى تغير حالهم، وقد عبّروا عنه في عتاب لحسان: «واللّه يا أبا الوليد، لقد تَركْتَنا ونحن نَسْتحي من ذكر أَجسامنا بعدَ أن كُنَّا نَفخربها»[1]، فوعدهم بإصلاح ما أفسد، فقال فيهم:

وقد كُنا نقول إذا رَأينا   لِذي جِسْم يُعدّ وذِي بَيانِ

١- العقد الفريد: ٣٢٨/٥.

كأنك أيها المُعطَى لِساناً   وجِسْماً من بني عَبد المَدان[١]

والقصة الأخرى للمحلّق مع الأعشى، خلاصتها أن المحلّق كان رجلا معوزا مئناثا، لم يتقدم أحد لخطبة أي من بناته، وأنه استضاف الأعشى وبالغ في إكرامه، ورأى هذا حاله فقام في سوق عكاظ ينشد شعرًا فيه مدح لكرم مضيفه، ورفع من شأنه، فلم ينفض اللقاء حتى غدا الرجل في عيون الناس شريفا كريما، وزوج بناته كلهن[٢].

ومن الطبيعي أن تكون تلك السلطة الرمزية للشاعر شديدة الصلة بمركزية الشعر لدى القوم، ومكانته لديهم، فمادام الشعر علمهم الأول، فإن الشاعر سيكون منهم بمكان.

وقد رأينا عرضا أن تلك المنزلة قد تهتز أحيانا إذا أخطأ، ولاسيما إن كان الخطأ مبادرة فردية غير محسوبة العواقب، ولأسباب شخصية، وكان بين المتضررين شاعر أقدر على الانتصاف والانتقام من شاعرهم، ويمكنه إلحاق الأذى بقبيلة المعتدي كلها، وحينها يكون إرضاؤهم أولى من الاحتفاظ بشاعرهم، إذ دون ذلك الفضيحة الدائمة، حتى إن العرب سمّت بائية جرير التي يقول فيها:

فغض الطرفَ إنكَ من نمير   فلا كَعْبا بلغتَ ولا كلابا

«الفاضحة»، لما ألحقته من أذى ببني نمير جعلهم يتجنبون الانتساب إلى أبيهم نمير، وينتسبون إلى عامر بن صعصعة، بعد أن كان الواحد منهم إذا سئل:«ممن الرجل؟ فخم لفظه، ومد صوته، وقال:من بني نمير»[٣].

تلك السلطة التي تحدثنا عنها آنفا هي نفسها التي جعلت الرسول ﷺ يلجأ إلى شعراء المسلمين حاضًا إياهم على الرد على المشركين كما سبق؛

١- م. س.

٢- م. س: ٣٢٩/٥، والأغاني، ١١٢/٩-١١٧، على اختلاف في تفاصيل القصة.

٣- العمدة: ١١٦/١-١١٧.

وهي سلطة إن لم تكن كافية لِلَجْم الخصم ودفعه إلى الكف عن هجاء المسلمين، فإنها شفت صدورا آلمها ما سمعتْ من هجاء دخل عليها عقرَ دارها بالمدينة وقد قيل بمكة.

ولئن كنا قد رأينا أن الشعر ماعادت له في الإسلام تلك المركزية، فإنه من البديهي أن نخلص كذلك إلى أن الشاعر نفسه سيفقد سلطته تلك؛ لأن سلطته مبنية على تضخم سلطة الشعر وقيمته لدى العرب، وهذا التضخم متوقف على أن الشعر كان العلم الأول للقوم، فلما فتح الله على الناس بالإسلام، وأنزل القرآن، صار علم الشعر متأخر المرتبة مقارنة بالعلم الذي أريد للأمة أن تُعنى به وتتولاه.

ثانيا-سلطة العالم:

قد يكون من الظلم للإسلام القول إنه نقل الشعر من المركز إلى الهامش، وجرد الشاعر من سلطته، فالحقيقة هي أن ما فعله هو أن جاء ببديل حضاري للحياة الثقافية العربية، وهو من الضخامة والشمولية والانفتاح على مختلف العلوم بحيث يجد الشاعر نفسه في دائرة صغيرة في سلسلة دوائر تبدأ من الوحي في المركز، ثم تنتشر إلى ما لا نهاية.

وحتى إذا ما استوعب الشاعر هذا التحول في البنية الثقافية وشارك في ترجمته إلى واقع فعلي، فإنه في الحقيقة يفعل ذلك باعتباره عالما لا باعتباره شاعرا؛ لأن الشعر صار مجرد علم ضمن سلسلة علوم، يمكن أن يشرف بالانتساب إلى المركز نوع انتساب إذا أخلص الانتماء، وأجاد الاتصال.

تلك الحقيقة يمكن الوقوف عليها بكل يُسر إذا علمنا أن الرسول ﷺ كان يحيط به بالمدينة أكثر من ٢٨٦ شاعرًا[1]، وأن هذا العدد الهائل منهم لم يكن له حضور قوي في المعارك الشعرية التي خاضها المسلمون ضد شعراء المشركين إلا قلة، وعلى رأسهم الشعراء الثلاثة، ولم يُعرف من الصحابة

١- الصحابة الشعراء: ص: ١٦٨.

بتفرغه للشعر وتخصصه فيه غير حسان بن ثابت.

والأمر غير بعيد عن هذا التحول الذي طرأ على الحياة الثقافية للناس، صحيح أنه لم يمنعهم من المشاركة مانع، وأننا رأينا أن الرد تحول إلى حركة جماعية كما رأينا مع الحديث الذي رواه عمّار بن ياسر، ولكن كل ذلك لا يصل إلى حقيقة الصورة التي يمكن أن يرسمها ذلك العدد الهائل من الشعراء للمشهد الثقافي لو لم يكن الأمر أكبر من مجرد الشعر، ويكفينا هنا ثلاثة شواهد:

أولها-أن عمر بن الخطاب أمر واليه أن يسأل لبيدًا عما أحدث من الشعر في الإسلام، فكان جواب لبيد: «قد أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران»[1]، فهذا لبيد قد شغله القرآن عن قول الشعر، والحقّ أن شاعريته هي التي أوقفته على عظمة القرآن الكريم، فانصرف إلى كتاب الله تعالى، محولا الشعر إلى أداة لا غاية، ولذلك فالعجب أن شاعريته هي التي جعلته يخلص الاتصال بالقرآن الكريم بدل الشعر.

والثاني-قول النعمان بن بشير:

فهذا وإني تاركُ الشعر بعده   لخيرٍ من الشعر اتباعا وأَرْشَدا[2]

ففيه إشعار «بنزول الشعر عن المرتبة الأولى، وإفساحه المجال لما هو أهدى منه وأرشد، وهو القرآن الكريم»[3].

والثالث- قول ابن خلدون بعد أن ذكر عناية العرب بالشعر بما في ذلك المعلقات: «ثم انصرف العرب عن ذلك أول الإسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوءة والوحي، وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه، فأخرسوا عن ذلك، وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زمانا»[4].

١- طبقات فحول الشعراء: ١/١٣٥.

٢- المقدمة: ص: ٥٨١.

٣- شعر النعمان بن بشير، ص: ٩٦.

٤- مصطلحات النقد العربي، ص: ١٥٤.

ونص ابن خلدون نفيس في بابه وفي الموضوع الذي ندندن حوله منذ افتتحنا هذا الحديث، فالرجل قد ألقى السمع إلى فعل القرآن في الأمة، فالتقطت أذناه صوت الحضارة بِمَ تشكلت وكيف، دون أن يغفل عن مركزية الوحي في كل ذلك التحول.

فالذي حدث ليس هو أن الشعر حوصر ومنع ورفض؛ بل هو أن تحولا عميقا حدَثَ جَعَل الناس يُعنون بالوحي إضافة إلى عنايتهم القديمة بالشعر، ولكن عنايتهم بالوحي أخذت منهم جل وقتهم؛ ولنا في تلك العناية بالشعر دليلان قويان:

أولهما: ما رواه الشريد لما ردف رسول الله ﷺ، فقد قال: ردفت رسول الله ﷺ يوما فقال: «هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟» قلت: نعم. قال: «هيه». فأنشدته بيتا، فقال:«هيه». ثم أنشدته بيتا. فقال: «هيه». حتى أنشدته مائة بيت»[1]، ففي مناسبة واحدة سمع الرسول ﷺ من الشريد مائة بيت.

والآخر: ما رواه جابر بن سمرة واصفا عددا من مجالس الرسول ﷺ، فقد قال: «جالست النبي ﷺ أكثر من مائة مرة، فكان أصحابه يتناشدون الشعر، ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت، فربما تبسم معهم»[2]، فهذه مجالس كثيرة تفوق المائة كلها شهدت إنشادا للشعر، وتناشدا له، والرسول ﷺ يسمع، وربما ابتسم.

والدليلان الآنفا الذكر يفيدان أن الشعر بقي حاضرا، وأن مقولة الضعف متهافتة، وإنما خُدع أصحابُها بما رأوه من إقبال على علوم الوحي، فظنوه إدبارا عن الشعر، ولم يكن الأمر كذلك، ولا أريد له أن يكون، وإنما الذي

١- صحيح مسلم، ح.ر٢٢٥٥، ك. الشعر، والنص ٣٧ من (ق. ن).

٢- صحيح سنن الترمذي، ح.ر٢٨٥٠، ك. الأدب، ب. ما جاء في إنشاد الشعر، والنص ٣٨ من (ق. ن).

حدث هو أن دائرة العلم قد اتسعت اتساعا عظيما جعلها تستقطب أكبر قدر من الناس، ويحسون في ذلك بمتعة جعلتهم يمنحونها معظم وقتهم، فتحول المجتمع العربي من مجتمع فيه قلة مثقفة من الشعراء أو العلماء يَنظر إليها الباقون بإعجاب وتقدير، إلى أمة تتنفس وتحيى بالعلم.

والأمر المؤكد هو أن صورة العالم كانت تتشكل على مرأى ومسمع من رسول الله ﷺ، وأنه ما ظهر من إقبال عجيب على العلم في مختلف المساجد وحلقات العلم بدءًا من الصحابة، ثم تلامذتهم من التابعين، فتلامذة تلامذتهم، حتى صار الأمر إلى ما نعرفه جميعا من إقبال على العلم وحركة علمية لم تشهد لها الأرض مثيلا.

بقي أن نشير إلى أنه إذا كان الشعر من قبل يرفع أقواما ويضع آخرين، فقد صار الذي يرفعهم ويضعهم هو القرآن الكريم، وغني عن البيان أن الرفع لخَدَمته من العلماء، والوضع للمعرضين عنه، المنشغلين بالذي هو أدنى عن الذي هو خير، فقد روى مسلم «عن عامر بن واثلة أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بعُسْفان، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: من استعملت على أهل الوادي؟ فقال:ابن أَبْزَى. قال: ومن ابن أَبْزَى؟ قال: مولى من موالينا. قال: فاستخلفت عليهم مولى؟! قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل، وإنه عالم بالفرائض. قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما، ويضع به آخرين»[1].

١- صحيح مسلم، ح.ر ٨١٧، ك. صلاة المسافرين وقصرها، ب. فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه.

خلاصة الفصل الرابع

حوَّل الإسلام العرب من مجتمع شعر، إلى أمة علم، وهو بذلك التحول الذي أحدثه فيهم كان يريد منهم أن يخرجوا إلى أمم الأرض؛ لأنهم يحملون رسالة إلى العالم كله، وهي رسالة تخاطب الناس كل الناس بلغة العلم، ولذلك ما كان في مقدور الشعر أن يحتفظ بدوره الطلائعي أو مركزيته، ولا كان بمقدور الشاعر أن يحافظ على مركزيته الثقافية، فقد ولى زمن الشعر باعتباره العلم الوحيد، والشعراء باعتبارهم الطليعة الثقافية؛ لأن الناس كانوا على موعد مع الوحي، وكان الوحي آتيا بالعلم هدية من الإسلام للبشرية كلها.

لذلك لا عجب أن يكون العلماء طليعة الأمة الإسلامية بدل الشعراء؛ بل العجب أن لا يكونوا كذلك والمسلمون يتنفسون العلم يوميا، وهم في موعد دائم مع الوحي قرآنا وسنة، ومطالبون بتدارسه وتشبعه وتبليغه، لتتسع دائرة انتشاره، وتتسع معه دائرة الإسلام، وهكذا.

في هذا الجو العلمي أريد للشعر أن يكون له نصيب من العلم، ولكن ليس كل النصيب؛ لأنه علم من علوم، وأريد للشاعر أن يكون له دور، ولكنه دور من سلسلة أدوار تشرف بحسب سهمتها في خدمة الوحي وأمة الوحي.

بعبارة وجيزة: صارت المرحلة بعد نزول الوحي مرحلة علم، يرفع اللّٰه تعالى الناس ويضعهم على قدر نصيبهم منه.



القسم الثاني: النصوص

الفصل الأول:
مفهوم الشعر ووظيفته

أولا: مفهوم الشعر

-١-

حدثنا يحيى بن سعيد عن مسعر قال: حدثني عمرو بن مرة عن رجل عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: سمعت النبي ﷺ يقول في التطوع: «... اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفثه ونفخه». قلت: يا رسول الله، ما همزه ونفثه ونفخه؟قال[١]: «أما همزه فالموتة التي تأخذ ابن آدم، وأما نفخه الكبر، ونفثه الشعر»[٢].

-٢-

عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «الشعر بمنزلة الكلام: حسنه كحسن الكلام، وقبيحه كقبيح الكلام»[٣].

ثانيا- وظيفة الشعر

١- الشعر في العمل:

-٣-

حدثنا مسدد، قال: حدثنا أبو الأحوص، قال: حدثنا أبو إسحاق، عن البراء رضي الله عنه، قال: رأيت النبي ﷺ يوم الخندق وهو ينقل التراب[٤]، حتى وارى التراب شعر صدره، وكان رجلا كثير الشعر، وهو يرتجز برجز

١- صاحب التفسير هو ابن مسعود في (مصنف عبدالرزاق، ح.ر٢٥٨١)، وحصين في (مسند أحمد، ح.ر١٦٧٠٥)، وعمرو بن مرة في (صحيح سنن ابن ماجة، ح. ر٨١٥/٦٦٥، ك. إقامة الصلوات، ب. الاستعاذة في الصلاة) والجمع بين الرفع والوقف ممكن.

٢- مسند أحمد، ح.ر١٦٦٨٤، وإسناده صحيح كما قال محققه.ورواه الحاكم في (المستدرك، ح.ر٨٣/٧٤٩)، وصححه.

٣- صحيح الأدب المفرد، ح.ر٨٦٥/٦٦٤، باب الشعر حسن... وقد علق عليه الألباني بقوله: «صحيح لغيره»، وعلق عليه في (الصحيحة، ح.ر٤٤٧) بقوله: «وهذا إسناد حسن، رجاله ثقات... فالحديث بمجموع الطريقين صحيح».ورواه الهيثمي في (مجمع الزائد، ١٢٢/٨) وقال: «إسناده حسن».

٤- في(صحيح البخاري، ح.ر٢٨٣٦، ك.الجهاد والسير، ب.حفر الخندق)«كان النبي ﷺ ينقل ويقول: لولا أنت ما اهتدينا».

عبدالله بن رواحة[1]:

اللهم لـولا أنـتَ ما اهتدينا	ولا تـصـدقـنـا ولا صلينا
فـأنــــزلـنْ سَـكـيـنـة علينا	وثَـبِّـت الأقــدام إن لاقينا
إن الأعــداء قـد بـغـوا علينا	إذا أرادوا فـتـنـة أبَـيْـنـا

يرفع بها صوته[2].

-٤-

قال ابن شهاب: فأخبرني عروة بن الزبير أن رسول اللهﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام، فكسا الزبير رسول اللهﷺ وأبا بكر ثياب بياض.وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ من مكة،فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يوما بعد ما أطالوا انتظارهم، فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من زفر على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معاشر العرب، هذا جدكم الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة،فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الإثنين من شهر ربيع الأول، فقام

١- في رواية في: (صحيح البخاري، ح.ر٤١٠٦، ك. المغازي، ب.غزوة الخندق)«يرتجز بكلمات ابن رواحة»، والعبارة ليست في روايات أخرى، وبدلها «يقول» فقط، كما في: (صحيح البخاري، ح.ر٦٦٢٠، ك. القدر، ب. ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾) أو«وهو يقول:...» كما في (صحيح مسلم، ح.ر١٨٠٣، ك. الجهاد والسير، ب. غزوة الأحزاب).

٢- صحيح البخاري، ح.ر٣٠٣٤، ك.الجهاد والسير، ب. الرجز في الحرب. والعبارة «يرفع...» ليست في بعض الروايات كرواية (مسند أحمد، ح.ر١٨٤٤٢)، و(صحيح البخاري، ح.ر٢٨٣٧، ك.الجهاد والسير، ب.حفر الخندق). وفي(مسند أحمد، ح.ر١٨٣٩٧) بإسناد صحيح «يمد بها صوته». وفي(صحيح البخاري، ح.ر٤١٠٤، ك. المغازي، ب.غزوة الخندق)«ورفع بها صوته: أبينا أبينا». وفي(م.س، ح.ر٤١٠٦، ك. المغازي، ب.غزوة الخندق) «ثم يمد صوته بآخرها».

أبو بكر للناس، وجلس رسول الله ﷺ صامتا، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم يَرَ رسول الله ﷺ يحيي أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك..

فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، وأسس المسجد الذي أسس على التقوى، وصلى فيه رسول الله ﷺ، ثم ركب راحلته، فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة،... وكان مربدا للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حِجْر أسعد بن زرارة، فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: «هذا إن شاء الله المنزل»...

ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا، فقالا: لا، بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجدا...

وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللَّبِن في بنيانه، ويقول وهو ينقل اللَّبِن:

هذا الحِمالُ لا حِمالَ خَيْبَرْ   هـذا أبـرُّ ربَّنـا وأطهـرْ

ويقول:

اللـهم إنَّ الأجـرَ أجـرُ الآخـره   فارحم الأنصارَ والمهاجره

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي[1].

١- صحيح البخاري، ح.ر٣٩٠٦، ك.مناقب الأنصار، ب.هجرة النبي ﷺ وأصحابه.قال ابن حجر في(فتح الباري، ٧/٢٨٣):«هو موصول بإسناد حديث عائشة».وبعد الحديث في (صحيح البخاري، م.س)«قال ابن شهاب: ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل ببيت شعر تام غير هذا البيت».

٢- الشعر في المناسبات الاجتماعية:

-٥-

حدثنا عبدالله، ثنا أبو الفضل المروزي، قال: حدثني ابن أبي أويس، قال: وحدثني حسين بن عبدالله بن ضمرة، عن عمرو بن يحيى المازني، عن جده أبي حسن: أن النبيﷺ كان يكره نكاح السر حتى يضرب بدف، ويقال:

فحيونا نحييكم أتيناكم أتيناكم

-٦-

عن ابن عباس قال: أنكحت عائشة ذات قرابة لها من الأنصار، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أهديتم الفتاة؟»، قالوا: نعم.قال: «أرسلتم معها من يغني» [١].قالت: لا.فقال رسول الله ﷺ: «إن الأنصار قوم فيهم غزل[٢]، فلو بعثتم معها من يقول:

فحيانا وحياكم أتيناكم أتيناكم

-٧-

حدثنا عمارة بن وثيمة، قال: حدثنا سعيد بن أبي مريم، قال: أنا محمد بن جعفر، عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر، قال:قال رسول الله ﷺ: «إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات سمعها أحد قط، إن مما يغنين به[٣]:

١- في(مسند أحمد، ح.ر١٥١٤٧) بإسناد صحيح «فهلا بعثتم معهم من يغنيهم يقول:...».

٢- العبارة:«إن الأنصار قوم فيهم غزل» متأخرة في(مسند أحمد، ح.ر١٥١٤٧، وهي منكرة كما قال الألباني في (صحيح سنن ابن ماجة، ح.ر١٥٥٤/١٩٢٧، ك. النكاح، ب. الغناء والدف).

٣- في (المعجم الأوسط، ح.ر٦٤٩٧) «إن الحور في الجنة يتغنين يقلن...». وفي (صحيح الجامع الصغير، ١٦٠٢/٧٢٤) فقط: «نحن ... كرام»، ولم يستقم لي وزن «نحن الخيرات...» و«نحن الخالدات...».

أزواجُ قـــــوم كِرامْ نحن الخيِّراتُ الحِسانْ

يَنْظرن بقُرَّة أَعيـــــانْ

وإن مما يغنين به:

نحْن الآمنات فلا يَخَفْنَهْ نحْن الخالدات فلا يَمُتْنَهْ

نحن المقيمات فلا يَظْعنَّـــهْ[1]

٣- الشعر في السفر:

-٨-

حدثنا عبدالله بن مسلمة، حدثنا حاتم بن إسماعيل عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلا، فقال رجل من القوم لعامر: يا عامر، ألا تسمعنا من هُنَيَّاتك[2]!.

وكان عامر رجلا شاعرا، فنزل يحدو[3] بالقوم، يقول[4]:

١- المعجم الأوسط، ح.ر٤٩١٧.أورده الهيثمي في (مجمع الزوائد، ٤٢١/١٠) وقال: «رواه الطبراني في «الصغير» و«الأوسط» ورجاله رجال الصحيح».وأورده الألباني في (الصحيحة، ح.ر٣٠٠٢)، وقال: «...رجاله رجال الستة؛ غير شيخ الطبراني أبي رفاعة عُمارة بن وثيمة المصري، فإني لم أجد له ترجمة...»، وقد صححه في (صحيح الجامع الصغير، ح.ر١٦٠٢/٧٢٤).

٢- هنياتك: تصغير هناتك، أي كلماتك (النهاية في غريب الحديث، ٢٧٩/٥ مادة هنا). في(مسند أحمد، ح.ر١٦٤٥٥) بإسناد صحيح أن عامرًا قال له: «أتأذن لي أن أرجز بك؟».وفي(صحيح مسلم، ح.ر١٨٠٧، ك.الجهاد والسير، ب. غزوة ذي قرد) أن رسول الله ﷺ قال لعامر: «انزل يا ابن الأكوع، فاحد لنا من هنياتك».

=وفي رواية عند الطبراني في(المعجم الكبير، ح.ر١٣٠٤) « خذ لنا هناتك»، ورجاله ثقات كما في(مجمع الزوائد: ١٥٢/٦).

٣- في (صحيح مسلم، ح.ر١٨٠٧، ك. الجهاد والسير، ب. غزوة ذي قرد)«يرتجز».

٤- في (مسند أحمد، ح.ر١٦٤٥٥) بإسناد صحيح أن الراجز ابن عامر بن الأكوع، وذلك عند العودة من خيبر.

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تَصدَّقنا ولا صَلَّينا

فاغفر فداءً لك ما أبْقَينا وألْقِيَنْ سَكينة علينا

وثَبِّت الأقدام إن لاقَينا إنا إذا صِيح بنا أَتينا

وبالصياح عوَّلوا علينا

فقال رسول الله ﷺ: «من هذا السائق؟»قالوا: عامر بن الأكوع[1].قال: «يرحمه الله»!قال رجل من القوم: وجبت يا نبي الله، لولا أمتعتنا به.فأتينا خيبر فحاصرناهم حتى أصابتنا مخمصة شديدة، ثم إن الله تعالى فتحها عليهم،... فلما تصافّ القوم كان سيف عامر قصيرًا فتناول به ساق يهودي ليضربه ويرجع ذُباب سيفه[2]، فأصاب عين ركبة عامر فمات منه[3].

١- في(صحيح مسلم، ح.ر١٨٠٧، ك. الجهاد والسير، ب. غزوة ذي قرد)«من هذا؟ قال: أنا عامر».

٢- ذباب السيف: طرفه الذي يضرب به. (النهاية في غريب الحديث، ١٥٢/٢ مادة «ذبب»).

٣- في(صحيح مسلم، م.س) «فلما قدمنا خيبر قال: خرج ملكهم مَرْحَب يخطر بسيفه ويقول:

قد علمت خيبرُ أني مَرْحَبْ شاكي السلاح بَطلٌ مُجَرِّبْ

إذا الحروب أقبلتْ تلَهَّب

=قال: وبرز له عمي عامر فقال:

قد علمت خيبر أني عامرٌ شاكي السلاح بطل مغامرٌ

قال: فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في تُرس عامر. وذهب عامر يسفُل له. فرجع سيفه على نفسه. فقطع أكحله فكانت فيها نفسه».

قال: فلما قفلوا[١] قال سلمة: رآني رسول الله ﷺ وهو آخذ بيدي، قال: «ما لك؟».

قلت له: فداك أبي وأمي، زعموا أن عامرا حبط عمله. قال النبي ﷺ: «كذب من قاله إن له لأجرين - وجمع بين إصبعيه - إنه لجاهد[٢] قلّ عربي مشى بها مثله».

حدثنا قتيبة حدثنا حاتم قال نشأ بها[٣].

-٩-

حدثنا مسدد، حدثنا حماد، عن ثابت البُناني، عن أنس بن مالك.

وأيوب عن أبي قِلابة عن أنس بن مالك، قال: كان رسول الله ﷺ في

١- في (صحيح مسلم، ح.ر١٨٠٢، ك. الجهاد والسير، ب. خيبر)، «قال سلمة: فقفل رسول الله ﷺ من خيبر. فقلت: يا رسول الله، ائذن لي أن أرجز لك، فأذن له رسول الله ﷺ، فقال عمر بن الخطاب: أعلم ما تقول، قال: فقلت:

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فقال رسول الله ﷺ: «صدقت»

وأنزلن سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا

والمشركون قد بغوا علينا

قال: فلما قضيت رجزي قال رسول الله ﷺ: «من قال هذا؟» قلت: قاله أخي. فقال رسول الله ﷺ: «يرحمه الله»، قال: فقلت: يا رسول الله، إن ناسا ليهابون الصلاة عليه. يقولون: رجل مات بسلاحه. فقال رسول الله ﷺ: «مات جاهدا مجاهدا». قال ابن شهاب: سألت ابنا لسلمة بن الأكوع. فحدثني عن أبيه مثل ذلك، غير أنه قال(حين قلت: إن ناسا يهابون الصلاة عليه) فقال رسول الله ﷺ: «كذبوا، مات جاهدا مجاهدا. فله أجره مرتين» وأشار بإصبعيه».

٢- في (صحيح مسلم، ح.ر١٨٠٢، ك. الجهاد والسير، ب. غزوة خيبر) «لجاهد مجاهد».

٣- صحيح البخاري، ح.ر٤١٩٦، ك.المغازي، ب.غزوة خيبر.

سفر، وكان معه غلام له أسود[١] يقال له أنجشة، يحدو[٢]، فقال له رسول اللّه ﷺ: «ويحك[٣] يا أنجشة! رويدك بالقوارير».[٤]

-١٠-

أخبرنا محمد بن يحيى بن محمد، قال: أنا محمد بن موسى بن أعين، قال: أنا ابن إدريس، عن إسماعيل، عن قيس، قال: قال عمر: قال رسول اللّه ﷺ لعبداللّه بن رواحة: «لو حركت بنا الركاب». فقال: قد تركت قولي. قال له عمر: اسمع وأطع.

قال:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا	ولا تَصَدّقنا ولا صَلَّينـــــا
فأنزل نَسَكينـــــةً عَلَيَنـــا	وثبِّت الأقدام إن لاقينـــا

فقال رسول اللّه ﷺ: «اللهم ارحمه». فقال عمر: وجبت.[٥]

١- في (م.س، ح.ر٦٢١١، ك. الأدب، ب. المعاريض مندوحة عن الكذب) «كان للنبي ﷺ حادٍ يقال له: أنجشة، وكان حسن الصوت، فقال له...». وفي (مسند أحمد، ح.ر١٢٠٦٠) بإسناد صحيح «كان رجل يسوق بأمهات المؤمنين، يقال له أنجشة، فاشتد في السياقة، فقال له:...». وفي (م.س، ح.ر١٨٧٨٤) بإسناد صحيح «وحادٍ يحدو بنسائه، فضحك رسول اللّه ﷺ، فإذا هو قد تنحى بهن. قال: فقال:...». وفي (م.س، ح.ر١٢٩٦٧) بإسناد صحيح «وكان حاد يحدو بنسائه، أو سائق له، قال: فكان نساؤه يتقدمن بين يديه، فقال:...». وفي (م.س، ح.ر١٣٦٩٥) بإسناد صحيح «أن البراء بن مالك كان يحدو بالرجال، وأنجشة يحدو بالنساء، وكان حسن الصوت، فحدا فأعنقت الإبل، فقال رسول اللّه ﷺ:...».

٢- (في صحيح البخاري، ح.ر ٦٢٠٢، ك. الأدب، ب. من دعا صاحبه فنقص من اسمه حرفا) «يسوق بهن». وفي (م.س، ح.ر ٦٢٠٩) «كان النبي ﷺ في مسير له، فحدا الحادي فقال:...».

٣- في رواية في (صحيح البخاري، ح.ر٦١٤٩) «رويدكسوقك...».

٤- صحيح البخاري، ح.ر٦١٦١، ك.الأدب، ب.ما جاء في قول الرجل ويلك. في (مسند أحمد، ح.ر٢٦٧٤٤) زيادة «قاله ﷺ في حجة الوداع».

٥- السنن الكبرى للنسائي، ح.ر٨٢٥٠، ك.المناقب، ب.عبداللّه بن رواحة. صححه الألباني في (الصحيحة، ح.ر٣٢٨٠).

-١١-

أخبرني أبو معين محمد بن عيسى العطار بمرو، ثنا عبدان بن محمد الحافظ، ثنا إسحاق بن منصور، ثنا عبدالرحمن بن معن، أنبأ محمد بن إسحاق، عن عبدالله بن أنس قال: سمعت أنسبن مالك يقول: كان البراء بن مالك رجلا حسن الصوت، فكان يرجز لرسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فبينما هو يرجز إذ قارب النساء، فقال له رسول الله ﷺ: « إياك والقوارير». قال: فأمسك[1].

٤- الشعر في المعركة:

-١٢-

أخبرنا عبدالرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك، عن أبيه: أنه قال للنبي ﷺ: إن الله قد أنزل في الشعر ما أنزل[2]. قال:«إن المؤمن يجاهد بنفسه ولسانه[3]، والذي نفسي بيده لكأنما يرمون فيهم به نضح النَّبْل» [4].

-١٣-

حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع، قال: أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: أخبرني أبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف أنه سمع حسان بن ثابت

١- المستدرك، ح.ر٥٢٧٣/٨٧١، وقد علق عليه الحاكم بقوله: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».ورواه البيهقي في (شعب الإيمان، ح.ر٥١٢٥)، وقال: «قال أبو حفص: هذا حديث جليل».

٢- في (مسند أحمد، ح.ر١٥٥٢٧) «وكيف ترى فيه؟».وفي (صحيح ابن حبان، ح.ر٤٧٠٧) «ما ترى في الشعر؟».

٣- في(مسند أحمد، ح.ر١٥٥٢٧) «بسيفه ولسانه»، وفي(ح.ر١٥٧٣٦) منه «بنفسه وماله».

٤- مصنف عبدالرزاق، ح.ر٢٠٥٠٠.إسناده صحيح كما قال محقق (مسند أحمد، ح.ر١٥٧٢٥). وهو في: (صحيح ابن حبان، ح.ر٤٧٠٧، و«إسناده صحيح» كما قال محققاه. وهو أيضا في (الصحيحة، ح.ر٨٠٢ و١٩٤٩). والعبارة «والذي...النَّبْل» ليست في بعض الروايات كرواية(مسند أحمد، ح.ر١٥٥٢٧).

الأنصاري يستشهد أبا هريرة[1]: أنشدك الله، هل سمعت النبي ﷺ يقول: «يا حسان، أجب عن رسول الله ﷺ، اللهم أيده بروح القدس!».قال أبو هريرة: نعم[2].

-١٤-

حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا عبدة، عن هشام، عن أبيه، قال: ذهبتُ أسب حسان عند عائشة، فقالت: لا تسبه، فإنه كان ينافح[3] عن رسول الله ﷺ[4].

-١٥-

حدثنا عبدالملك بن شعيب بن الليث، حدثني أبي، عن جدي، حدثني خالد بن يزيد، حدثني سعيد بن أبي هلال، عن عمارة بن غزية، عن محمد بن إبراهيم، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن، عن عائشة، أن رسول الله ﷺ قال[5]: اهجوا قريشا، فإنه أشد عليها من رشق بالنَّبْل».فأرسل إلى ابن

١- في روايةٍ في(صحيح البخاري، ح.ر٣٢١٢، ك.بدء الخلق، ب.ذكر الملائكة صلوات الله علهم) بيان لسبب استشهاد حسان أبا هريرة، وهو«مر عمر في المسجد وحسان ينشد فقال: كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبي هريرة فقال: أنشدك...». وفي(صحيح مسلم، ح.ر١٥١/٢٤٨٥، ك. فضائل الصحابة، ب. فضائل حسان...) «أن عمر مر بحسان وهو ينشد الشعر في المسجد، فلحظ إليه، فقال: كنت أنشد...».وفي (سنن أبي داود، ح.ر٥٠١٣، ك. الأدب، ب. ما جاء في الشعر.) مختصرا: «مر عمر بحسان وهو ينشد في المسجد، فلحظ إليه، فقال: قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك»، وقد صححه الألباني في(صحيح سنن أبي داود، ح.ر٥٠١٣).

٢- صحيح البخاري، ح.ر٤٥٣، ك.الصلاة، ب.الشعر في المسجد.

٣- في: (صحيح مسلم، ح.ر٢٤٨٨، ك. فضائل الصحابة، ب. فضائل حسان...) «ينافح أو يهاجي»، وفي رواية أخرى بالرقم نفسه «كان يذب».

٤- صحيح البخاري، ح.ر٤١٤٥، ك.المغازي، ب. حديث الإفك.

٥- في(صحيح البخاري، ح.ر٣٥٣١، ك. المناقب، ب. من أحب أن لا يُسب نسبه)«استأذن حسان النبي ﷺ في هجاء المشركين».وفي: (المستدرك، ح.ر١٦٦٣/٦٠٦٥) «أن رسول الله ﷺ أُتي فقيل: يا رسول الله، إن أبا سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب يهجوك».

رواحـة، فقال: «اهجهم». فهجاهم، فلم يرض.فأرسل إلى كعب بن مالك[1]، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت، فلما دخل عليه، قال حسان: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذَنَبه، ثم أدلع لسانه فجعل يحركه، فقال: والذي بعثك بالحق لأفْرِينهم بلساني فري الأديم. فقال رسول الله ﷺ: «لا تعجل، فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها[2]، وإن لي فيهم نسبا، حتى يلَخِّص لك نسبي[3]».

فأتاه حسان، ثم رجع فقال: يا رسول الله، قد لَخَّص لي نسبك، والذي بعثك بالحق لأسلَّنَّك منهم كما تُسَلّ الشعرة من العجين. قالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان: «إن روح القدس لا يزال يؤيدك، ما نافحت عن الله ورسوله». وقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هجاهم حسان فشفى واشتفى».

قال حسان[4]:

١- في(المستدرك، ح.ر٦٠٦٥/١٦٦٣) «فقام ابن رواحة فقال: يا رسول الله، ائذن لي فيه، فقال: «أنت الذي تقول ثبت الله» قال: نعم. قلت: يا رسول الله:

فثبت الله ما أعطاك من حسن ... تثبيت موسى ونصرا مثل ما نصروا

قال: «وأنت يفعل الله بك خيرا مثل ذلك»، قال: ثم وثب كعب فقال: يا رسول الله، ائذن لي فيه.فقال: «أنت الذي تقول همت » قال: نعم، قلت يا رسول الله:

همت سخينة أن تغالب ربها ... وليغلبن مغالب الغـلاب

قال: «أما إن الله لم ينس ذلك لك».

وقد أعقبه الحاكم بقوله: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة، إنما أخرجه مسلم بطوله...».

٢- في: (المستدرك، ح.ر٦٠٦٥/١٦٦٣) «اذهب إلى أبي بكر ليحدثك حديث القوم وأيامهم وأحسابهم، ثم اهجهم وجبريل معك».

٣- في: (المستدرك، ح.ر٦٠٦٥/١٦٦٣) «قام حسان فقال: يا رسول الله، ائذن لي فيه، وأخرج لسانا له أسود، فقال: يا رسول الله، ائذن لي إن شئت أفريت به المزاد...».

٤- ديوان حسان، ص:٣٠ -٧١.

هَجَوتَ محمدا فأجبتُ عنه ... وعند الله في ذاك الجَزَاءُ

هجوتَ مُحمَّدا بَرّا تَقيا ... رسولَ الله شِيمَته الوَفاء

فإنَّ أبي وَوَالده وعِرضي ... لعِرض محمد منكم وِقَاء

ثَكِلْت بُنَيّتي إن لم تَروها ... تُثير النَّقْع من كَنَفَي كَدَاء

يُبَارين الأعِنَّة مُصْعِدات ... على أكتافها الأَسَلُ الظِّماء

تَظل جِيادنا مُتَمَطِّرات ... تُلَطِّمُهُن بالخُمُر النساء

فإنْ أَعْرَضتمو عنا اعْتَمَرْنا ... وكان الفتحُ وانْكَشفَ الغِطاء

وإلا فاصبروا لِضِرَاب يوم ... يُعِز الله فيه من يشاء

وقال اللهُ قد أرسلت عَبْدا ... همُ الأنصار عُرْضَتُها اللقاء

وقال الله: قد يَسَّرْت جُندا ... همُ الأنصار عُرْضَتُها اللقاء

لنا في كل يوم من مَعَدّ ... سِبَاب أو قِتال أو هِجَاء

فمن يهجو رسولَ الله منكم ... ويمدحهُ وينصره سَوَاء

وجبريلٌ رسولُ الله فينا ... وروحُ القدْس ليس له كِفَاء

عَدِمْت ثَنِيتي إنْ لم تَرَوها ... تُثِير النَّقع من كَتِفَي كَدَاء

-١٦-

حدثنا موسى بن إسماعيل، ثنا حماد، عن حميد، عن أنس، أن النبي ﷺ قال: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»[١].

١- سنن أبي داود، ح.ر٢٥٠٤، ك. الجهاد، ب. باب كراهية ترك الغزو. وقد علق عليه الألباني في (صحيح سنن أبي داود، ح.ر٢٥٠٤) بقوله: «صحيح».

-١٧-

حدثنا إسحاق بن منصور، قال: أخبرنا عبدالرزاق، قال: أخبرنا جعفر بن سليمان، قال: حدثنا ثابت، عن أنس أن النبي ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء وعبدالله بن رواحة بين يديه يمشي وهو يقول:

اليومَ نَضْرِبْكُمْ على تنزيلهِ — خلوا بني الكفار عن سبيلهِ

ضربا يُزيل الهامَ عن مَقيلهِ — ويذهل الخليل عن خليلهِ

فقال له عمر: يا ابن رواحة، بين يدي رسول الله ﷺ وفي حرم الله تقول الشعر؟فقال له النبي ﷺ: «خل عنه يا عمر، فلهي أسرع فيهم من نضح النَّبْل»[1].

١- صحيح سنن الترمذي، ح.ر٢٨٤٧، ك.الأدب، ب.ما جاء في إنشاد الشعر. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه...»، وصححه الألباني.



الفصل الثاني:

أغـــراض الشعر

أولا-المدح:

-١٨-

حدثنا حسن بن موسى، ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عبد الرحمن بن أبي بكرة أن الأسود بن سريع قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إني قد حمدت ربي تبارك وتعالى بمحامد ومدح وإياك.فقال رسول الله ﷺ:«أمَا إِن ربك تبارك وتعالى يحب المدح، هات ما امتدحت به ربك».قال: فجعلت أنشده، فجاء رجل فاستأذن، أدلم أصلع أعسر أيسر، قال: فاستنصتني له رسول الله ﷺ، ووصف لنا أبو سلمة كيف استنصته، قال: كما صنع بالهِر، فدخل الرجل فتكلم ساعة ثم خرج، ثم أخذت أنشده أيضا، ثم رجع بعد فاستنصتني رسول الله ﷺ، ووصفه أيضا، فقلت: يا رسول الله، من ذا الذي استنصتني له؟ فقال:«هذا رجل لا يحب الباطل، هذا عمر بن الخطاب»[1].

ملحق بالمدح[2]

-١٩-

حدثنا يزيد قال: أنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن معبد الجهني قال:

١- مسند أحمد، ح.ر١٥٥٢٧. قال عنه محققه: «إسناده حسن لأجل علي بن زيد بن جدعان».ورواه الحاكم في (المستدرك، ح.ر٦٥٧٦/٢١٧٤)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».وأورده الهيثمي في(مجمع الزوائد: ٩/٦٩) وقال:«رجاله ثقات، وفي بعضهم خلاف». وقد أورده الألباني بهذا الطول في (ضعيف الأدب المفرد، ح.ر٥٥/٣٤٢)، وفي: (الضعيفة، ح.ر٢٩٢٢)، ثم تراجع عن تضعيفه في(الصحيحة، ح.ر٣١٧٩)، وقال: «وهذا إسناد رجاله ثقات غير معمر بن بكار السعدي». ورد الحديث أحيانا مختصرا كما في (مسند أحمد، ح.ر١٦٢٥٢) بإسناد حسن، إذ يقف عند «هات وابدأ بِمَدْحَةِ الله عز وجل».وفي ا(لأدب المفرد، ح.ر٨٨٣) «أما إن ربك يحب الحمد، ولم يزده على ذلك». وفي رواية الحاكم في(المستدرك، ح.ر٦٥٧٦/٢١٧٤) «أما ما أثنيت على الله تعالى فهاته، وما مدحتني به فدعه».

٢-إنما جعلته ملحقا؛ لأن نصوصه غير خاصة بالشعر؛ بل بعضها أصرح بخلافه، ولكنها جميعا تخدم غرضه العام.

سمعت معاوية - وكان قليل الحديث عن النبي ﷺ، وكان قلما خطب إلا ذكر هذا الحديث في خطبته - سمعت رسول الله ﷺ يقول:«إن هذا المال حلو خضر، فمن أخذه بحقه، بارك الله عز وجل له فيه، ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، وإياكم والمدح فإنه الذبح».[1]

-٢٠-

حدثنا ابن سلام أخبرنا عبد الوهاب حدثنا خالد الحذاء عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: أثنى رجلٌ على رجل عند النبي ﷺ فقال: «ويلك قطعت عنق صاحبك، قطعت عنق صاحبك» مرارا، ثم قال: «من كان منكم مادحا[2] أخاه لا محالة فليقل: أحسب فلانا، والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحدا، أحسبه كذا وكذا، إن كان يعلم ذلك منه»[3].

-٢١-

حدثنا الحميدي حدثنا سفيان قال: سمعت الزهري يقول: أخبرني عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله»[4].

-٢٢-

حدثنا حفص بن عمر حدثنا شعبة عن عمرو عن أبي وائل عن عبد الله رضي الله عنه قال: «لا أحد أغير من الله؛ ولذلك حرم الفواحش ما ظهر

١-مسند أحمد، ح.ر١٦٨٤٥. علق عليه حمزة أحمد الزين بقوله: «إسناده صحيح».

٢-في (سنن أبي داود، ح.ر٤٨٠٥، ك. الأدب، ب. كراهية التمادح) «إذا مدح أحدكم صاحبه...»، وقد صححه الألباني في (صحيح سنن أبي داود، ح.ر٤٨٠٥).

٣-صحيح البخاري، ح.ر٢٦٦٢، ك.الشهادات، ب. باب إذا زكى رجل رجلا كفاه.

٤-م.س، ح.ر٣٤٤٥، ك. أحاديث الأنبياء، ب. قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ...﴾.

منها وما بطن، ولا شيء أحب إليه المدح[١] من الله؛ولذلك مدح نفسه. قلت: سمعته منعبد الله؟ قال: نعم. قلت: ورفعه؟ قال: نعم[٢].

-٢٣-

حدثنا محمد بن مقاتل أخبرنا عبد الله أخبرنا أبو حيان التيمي عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُتي رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة ثم قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد ... فأنطلقُ فآتي تحت العرش فأقع ساجدا لربي عز وجل، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء[٣] عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك. سل تعطه، واشفع تشفع. فأرفع رأسي، فأقول: «أمتي يا رب، أمتي يا رب...»[٤].

-٢٤-

وحدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار واللفظ لابن المثنى قالا:حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن منصور عن إبراهيم عن همام بن الحارث أن رجلا جعل يمدح عثمان فعمد المقداد فجثا على ركبتيه- وكان رجلا ضخما - فجعل يحثو في وجهه الحصباء. فقال له عثمان: ما شأنك؟

١-في(صحيح البخاري، ح.ر ٤٦٣٧، ك. تفسير القرآن، ب.قوله عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾) «المدحة» بدل «المدح».

٢-صحيح البخاري، ح.ر٤٦٣٤، ك. تفسير القرآن، ب.قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ ...﴾.ورفع الحديث ظاهر في مكان آخر من (م.س، ح.ر ٤٦٣٧) عن عبد الله بن مسعود باختصار.

٣-في (صحيح البخاري، ح.ر ٤٤٧٦، ك. تفسير القرآن، ب.قول الله تعالى:﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾) «فأحمده بتحميد يعلمنيه...».في (م.س، ح.ر٧٥١٠، ك. التوحيد، ب. كلام الرب عز وجل يوم القيامة...) «ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد».وفي (صحيح مسلم، ح.ر١٩٣، ك.الإيمان) «فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه...».وفي(م.س، ح.ر١٩٣م٤) «فأحمده بمحامد لا أقدر عليه الآن...».

٤- صحيح البخاري، ح.ر٤٧١٢، ك. تفسير القرآن، سورة الإسراء، ب. ذرية من حملنا مع نوح.

فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب»[1].

-٢٥-

حدثنا الحسين بن الحسن المروزي بمكة وإبراهيم بن سعيد الجوهري قالا: حدثنا الأحوص بن جواب عن سعير بن الخمس عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «من صنع إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء».[2]

ثانيا-الهجاء

-٢٦-

حدثنا يحيى بن آدم حدثنا شريك عن محمد بن عبد الله المرادي عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة قال: قال عمار: لما هجانا المشركون شكونا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال: «قولوا لهم كما يقولون[3] لكم». قال[4]: فلقد رأيتنا نعلمه إماء أهل المدينة[5].

-٢٧-

حدثنا علي بن عبد الله: حدثنا سفيان قال عمرو: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله ﷺ:«من لكعب بن الأشرف؛

١- صحيح مسلم، ح.ر٣٠٠٢م١، ك.الزهد، ب. النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط.

٢-صحيح سنن الترمذي، ح.ر٢٠٣٥، ك. البر، ب. ما جاء في المتشبع بما لم يعطه.قال الترمذي: «هذا حديث حسن جيد غريب»، وصححه الألباني.

٣- في (مسند البزار، ح.ر١٤٢٣) «أجيبوهم».

٤- العبارة «فلقد... المدينة » ليست في بعض الروايات كرواية البزار(م.س).

٥- مسند أحمد، ح.ر١٨٢٣٠. قال محققه:«إسناده حسن لأجل شريك».وأورده الهيثمي في(مجمع الزوائد، ١٢٧/٨) وقال:«رواه أحمد والبزار بنحوه والطبراني، ورجالهم ثقات».

فإنه قد آذى الله ورسوله»[1].

فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟

قال: «نعم».

قال: فائذن لي أن أقول شيئا.

قال: «قل».

... قال: ويُدخل محمد بن مَسلمة معه رجلين.

قيل لسفيان: سَماهم عمرو؟

قال: سمى بعضهم.

قال عمرو: جاء معه برجلين.

وقال غير عمرو: أبو عَبس بن جَبر، والحارث بن أوس، وعَبّاد بن بشر.

قال عمرو: جاء معه برجلين فقال: إذا ما جاء فإني قائل بشَعَره فأشُمُّه، فإذا رأيتموني استَمْكَنتُ من رأسه فدونكم فاضربوه.

وقال مَرة: ثم أُشمكم، فنزل إليهم متوشحا، وهو ينفح من رِيح الطيب.

فقال: ما رأيتُ كاليوم ريحا، أي: أطيب.

وقال غير عمرو: قال: عندي أَعْطر نساء العرب، وأَكْمَل العرب.

١- في (سنن أبي داود، ح.ر٣٠٠٠، ك. الخراج والإمارة والفيء، ب. كيف كان إخراج اليهود...) «وكان كعب بن الأشرف يهجو النبي ﷺ ويحرض عليه كفار قريش»، وقد صححه الألباني في (صحيح سنن أبي داود، ح.ر٣٠٠٠) .وفي (المستدرك، ح.ر٥٨٤١/١٤٣٩) بلفظ«كان كعب بن الأشرف يقول الشعر، ويخذل عن النبي ﷺ،ويخرج في غطفان»، لكن سكت عنه الحاكم، كما سكت عنه الذهبي أيضا في (تلخيصه، ٤٣٦/٣). وفي (مجمع الزوائد، ١٩٩/٦) وقد نسب الحديث لأحمد ولم أجده في مسنده أن كعب بن الأشرف «كان يهجو النبي ﷺ»، وفيه أيضا أنه لما قُتِل كعبٌ وَفَدت اليهودُ على رسول الله ﷺ«فذكرهم النبي ﷺ ما كان يهجوه في أشعاره، وما كان يؤذيه»، و قد علق الهيثمي على الحديث بقوله: «رجاله رجال الصحيح».

قال عمرو: فقال له: أتأذن لي أن أشم رأسك.

قال: نعم.

فشمه ثم أشم أصحابه، ثم قال: أتأذن لي؟

قال: نعم.

فلما استمكن منه قال: دونكم.

فقَتلوه، ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه[١].

-٢٨-

حدثنا الحجاج بن منهال، أخبرنا شعبة قال: أخبرني عدي أنه سمع البراء رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي ﷺ لحسان يوم قريظة[٢]: «اهجهم أو هاجهم وجبريل معك»[٣].

-٢٩-

حدثنا معاذ بن المثنى ثنا، علي بن المديني.ح. وحدثنا موسى بن هارون، ثنا علي بن حرب الموصلي، قالا: ثنا زيد بن الحباب، حدثني عمرو بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيد المخزومي، حدثني جدي، عن أبيه سعيد، وكان يسمى الصرم:أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة: «أربعة لا أومنهم في حل ولا حرم... وقينتين[٤]كانتا لمِقْيَسٍ تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ: قتلت

١- صحيح البخاري، ح.ر٤٠٣٧، ك.المغازي، ب.قتل كعب بن الأشرف. في(المستدرك، ح.ر٥٨٤١/١٤٣٩) أن عباد بن بشر أحد الذين تطوعوا لقتل كعب قال في ذلك قصيدة صور فيها العملية برمتها، وهي في أحد عشر بيتا.

٢- في رواية أخرى في(صحيح البخاري، ح.ر٤١٢٤، ك.المغازي، ب.مرجع النبي ﷺ من الأحزاب) «قال رسول الله ﷺ يوم قريظة لحسان بن ثابت: اهج المشركين، فإن جبريل معك».

٣- صحيح البخاري، ح.ر٤١٢٣، ك.المغازي، ب.مرجع النبي ﷺ من الأحزاب.وفي(مسند أحمد، ح.ر١٨٥٤٩) بإسناد صحيح«فإن روح القدس معك».

٤- وفي (الروض الأنف، ٤/١٧٠) أن اسم القينتين سارة وفرتنى، وأن فرتنى هي التي أفلتت ثم أسلمت.

إحداهما، وأفلتت الأخرى فأسلمت[١].

-٣٠-

عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن أعظم الناس فرية[٢] لرجل[٣] هاجى[٤] رجلا[٥] فهجا القبيلة بأسرها، ورجل انتفى من أبيه وزنى أمه»[٦].

-٣١-

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري قال: نا أبو أحمد قال: نا عبد السلام بن حرب قال: نا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[٧] جاءت امرأة أبي لهب، ورسول الله جالس ومعه أبو بكر، فقال له أبو بكر: لو تنحيت لا تؤذيك يا رسول الله.فقال رسول الله ﷺ:«إنه سيحال بيني وبينها». فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر فقالت: يا أبا بكر، هجانا صاحبك[٨].فقال أبو بكر[٩]: لا وَرَبِّ هذه البَنِيَّة[١٠]

١- المعجم الكبير، ح.ر٥٥٢٩. أورده الهيثمي في (مجمع الزوائد، ١٧٦/٦)، وقال: «رواه الطبراني، ورجاله ثقات»، و قال في (م.س، ١٦٨/٦-١٦٩): «رواه أبو داود وغيره باختصار، ورواه أبو يعلى والبزار، ورجالهما ثقات».

٢- في (صحيح الأدب المفرد، ح.ر٦٧٠/٨٧٤) «جرما».

٣- في(م.س) «إنسان شاعر».وفي (صحيح ابن حبان، ح.ر٥٧٨٥) بإسناد صحيح «شاعر».

٤- في (صحيح الأدب المفرد، ح.ر٦٧٠/٨٧٤) «يهجو».

٥- العبارة «هاجى رجلا» ليست في بعض الروايات كرواية (صحيح الأدب المفرد، ح.ر٦٧٠/٨٧٤).

٦- صحيح سنن ابن ماجة، ح.ر٣٠٤٤/٣٨٢٨) ك.الأدب، ب. ما كره من الشعر.قال الألباني معلقا عليه: «صحيح»، كما أورده في (الصحيحة، ح.ر ٧٦٣ و١٤٨٧).

٧- سورة المسد، الآية ١.

٨- في(المستدرك، ح.ر٣٣٧٦/٥١٦) «...وهي تقول:مُذمما أَبَينا وديِنَه قَلَينا وأمرَه عَصينا» وقد علق عليه بقوله: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».وفي(م.س، ح.ر٣٩٤٥/١٠٨٣) «يا محمد، على ما تهجوني؟».

٩- في(م.س، ح.ر٣٩٤٥/١٠٨٣) أن الذي رد عليها هو الرسول ﷺ.

١٠- البنية: الكعبة.(ن. النهاية في غريب الحديث، ١٥٨/١ مادة «بنا»).

ما ينطق بالشعر، ولا يتفوه به[1].فقالت: إنك لمصدق. فلما ولت قال أبو بكر رحمة الله عليه: ما رأتك. قال:«لا، ما زال ملك يسترني حتى ولت»[2].

-٣٢-

حدثنا علي بن المبارك الصنعاني وعبيد الله بن محمد العمري قالا: ثنا إسماعيل بن أبي أويس قال: ثنا أبي قال: ثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بنت أبي بكر الصديق قال أبو أويس: وحدثني أيضا عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري النجاري عن عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية ثم النجارية عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت:كان النبي ﷺ إذا أراد أن يسافر سفرا أقرع بين نسائه... وقعد صفوان بن المعطل لحسان بن ثابت بالسيف فضربه ضربة، فقال صفوان لحسان في الشعر حين ضربه:

تَلَق ذُباب السيف مني فإنني	غلام إذا هُوجِيت ليس بشاعر
ولكنني أَحْمِي حِمَاي وأنتَقِمْ	من البَاهِت الرامي البُراة الطَّواهِر

ثم صاح حسان فاستغاث الناس على صفوان، فلما جاء الناس فر صفوان فجاء حسان إلى النبي ﷺ فاستعداه على صفوان في ضربته إياه، فسأله النبي ﷺ أن يهب له ضربة صفوان إياه، فوهبها للنبي ﷺ، فعاضه منها

١- في(المستدرك، ح.ر١٠٨٣/٣٩٤٥) أن رسول الله ﷺ رد عليها قائلا: «ما هجوتك، ما هجاك إلا الله».

٢- مسند البزار، ح.ر١٥.علق عليه البزار بقوله: «قال أبو بكر: وهذا الحديث حسن الإسناد، ويدخل في مسند أبي بكر رضي الله عنه، إذ حكى عن النبي ﷺ، إذ قال: ورب هذه البنية ما ينطق بالشعر ولا يتفوه به، وكان هذا من حكاية أبي بكر عن رسول الله ﷺ».ورواه الحاكم في(المستدرك، ح.ر٥١٣/٣٣٧٦ و١٠٨٣/٣٩٤٥)، وقال عن الأول: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، وقال عن الثاني: «هذا حديث صحيح كما حدثناه هذا الشيخ، إلا أني وجدت له علة».كما أورده الهيثمي في(مجمع الزوائد، ١٤٧/٧) وقال: «وقال البزار: إنه حسن الإسناد، قلت: ولكن فيه عطاء بن السائب، وقد اختلط».

حائطا من نخل عظيم وجارية رومية، ويقال قبطية تدعى سيرين، فولدت لحسان ابنه عبد الرحمن الشاعر.

قال أبو أويس: أخبرني بذلك حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس، قالت عائشة: باع حسان ذلك الحائط من معاوية بن أبي سفيان في ولايته بمال عظيم...[1].

-٣٣-

أخبرنا علي بن محمد بن عقبة الشيباني بالكوفة ثنا الهيثم بن خالد ثنا أبو نعيم ثنا عيسى بن عبد الرحمن حدثني عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت:«إن روح القدس معك ما هاجيتهم».[2]

-٣٤-

عن عائشة أن رسول الله ﷺ مر به أبو سفيان بن الحرث فقال: يا عائشة، هلمي حتى أريك ابن عمك الذي هجاني[3].

-٣٥-

عن بريدة قال:قال رسول الله ﷺ:«من قال في الإسلام شعرا مقذعا فلسانه هدر»[4].

١- المعجم الكبير، ح.ر١٥١ من الجزء ٢٣. علق عليه الهيثمي في(مجمع الزوائد، ٢٣٩/٩) بقوله: «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، إلا أن بعض هذا يخالف ما في الصحيح».ورواه الحاكم في(المستدرك، ح.ر٦٢٠٦/١٨٠٤) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه». والحديث في (صحيح السيرة، ص:٢٦٣).

٢-المستدرك، ح.ر٦٠٦٢. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد».

٣-مجمع الزوائد(٢٢/٦). قال الهيثمي: «رواه البزار عن شيخه عبد الرحمن بن شيبة. قال أبو حاتم: حديثه صحيح، وبقية رجاله ثقات». ولم أجده في مسند البزار.

٤-مجمع الزوائد(١٢٦/٨). قال الهيثمي: «رواه البزار، ورجاله ثقات، وفي بعضهم خلاف».



الفصل الثالث:

سماع الشعر وإنشاده

-٣٦-

حدثنا أحمد، قال: حدثنا ابن وهب، قال: أخبرنا عمرو ،أن محمد بن عبدالرحمن الأسدي حدثه، عن عروة، عن عائشة، قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث[١]، فاضطجع على الفراش وحوَّل وجهه، ودخل أبو بكر فانتهرني، وقال: مزمار الشيطان عند النبي ﷺ؟ فأقبل عليه رسول الله عليه السلام فقال: «دعهما»[٢]. فلما غفل غمزتهما فخرجتا[٣].

-٣٧-

حدثنا عمرو الناقد وابن أبي عمر، كلاهما عن ابن عيينة، قال ابن أبي عمر: حدثنا سفيان، عن إبراهيم بن ميسرة، عن عمرو بن الشريد، عن أبيه، قال: ردفت[٤]رسول الله ﷺ يوما فقال: «هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء[٥]؟» قلت: نعم. قال: «هيه».فأنشدته بيتا،

١- في رواية في(صحيح البخاري، ح.ر٩٥٢، ك. العيدين، ب. الحراب والدرق يوم العيد) «تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعاث».وفي(م.س، ح.ر٣٩٣١، ك. مناقب الأنصار، ب. مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة)«تغنيان بما تقاذفت الأنصار يوم بعاث».وفي (صحيح مسلم، ح.ر١٧/٨٩٢، ك.صلاة العيدين، ب.الرخصة في اللعب) «...في أيام منى». و«بعاث موضع بالمدينة كانت فيه وقعة عظيمة، قتل فيها خلق من أشراف الأوس والخزرج وكبرائهم، ولم يبق من شيوخهم إلا القليل»(البداية والنهاية: ٣/١٥٤).

٢- في (صحيح البخاري، ح.ر٩٥٢، ك. العيدين، ب. الحراب والدرق يوم العيد) و(صحيح مسلم، ح.ر٩٨٢، ك.صلاة العيدين، ب. الرخصة في اللعب) «يا أبا بكر، إن لكل قوم عيدا، وهذا عيدنا».

٣- صحيح البخاري، ح.ر٩٤٩، ك.العيدين، ب.الحراب والدرق يوم العيد.

٤- في رواية أخرى في(صحيح مسلم، ح.ر١/٢٢٥٥، ك. الشعر)«أردفني».

٥- في الأصل: شيئاً، وهو خطأ بيِّن.وفي(صحيح مسلم، ح.ر٢٢٥٥، ك. الشعر)«استنشدني».وفي (مسند أحمد، ح.ر١٩٣٥٥) بإسناد صحيح «استنشده».وفي(مسند أبي يعلى، ح.ر١٥٧١) «أنشدت».

فقال: «هيه». ثم أنشدته بيتا. فقال: «هيه». حتى أنشدته مائة بيت[1] .

-٣٨-

حدثنا علي بن حُجر، أخبرنا شريك، عن سماك، عن جابر بن سمرة، قال: جالست النبي ﷺ أكثر من مائة مرة، فكان أصحابه يتناشدون[2] الشعر، ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت، فربما تبسم[3] معهم[4].

-٣٩-

عن جابر بن عبدالله قال: طاف النبي ﷺ في حجته بالبيت على ناقته الجدعاء، وعبدالله بن أم مكتوم آخذ بخطامها يرتجز [5].

-٤٠-

حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا أحمد بن عبدالجبار، ثنا يونس

١- صحيح مسلم، ح.ر٢٢٥٥، ك.الشعر. وقد وقعت زيادات في بعض الروايات: ففي (مسند أحمد، ح.ر١٩٣٤٩) مثلا بإسناد صحيح أن النبي ﷺ قال بعد ذلك: «إن كاد ليسلم». وفي (م.س، ح.ر١٩٣٥٦) «كاد أن يسلم». وفي رواية أخرى في (صحيح مسلم، ح.ر٢٢٥٥، ك. الشعر) «فلقد كاد يسلم في شعره».

٢- في (مسند أحمد، ح.ر٢٠٧٤٥) بإسناد حسن «يتذاكرون». وفي (م.س، ح.ر٢٠٦٨٩) بإسناد حسن أيضا «يذكرون».

٣- في (صحيح مسلم، ح.ر٦٧٠، ك.المساجد، ب. فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح، وح.ر٢٣٢٢، ك. الفضائل، ب.تبسمه ﷺ...) «عن سماك بن حرب قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، كثيرا. كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح أو الغداة حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت الشمس قام، وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية، فيضحكون ويتبسم».

٤- صحيح سنن الترمذي، ح.ر٢٨٥٠، ك.الأدب، ب.ما جاء في إنشاد الشعر. وقد علق عليه الترمذي بقوله: «هذا حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني. والحديث في (صحيح مسلم، ح.ر٦٧٠، وح.ر٢٣٢٢) كما مر، لكن دون محل الشاهد عندنا وهو «يتناشدون الشعر»، ولذلك قدمت رواية الترمذي عليه.

٥- مجمع الزوائد، ٢٤٧/٣، وقد علق عليه الهيثمي بقوله: «هو في الصحيح خلا ذكر ابن مكتوم ورجزه، رواه الطبراني في الكبير، ورجاله ثقات»، وقد بحثت عنه في المعجم الكبير فلم أجده.

بن بكير، عن ابن إسحاق قال: حدثني الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: مضى رسول الله ﷺ وأصحابه عام الفتح حتى نزل مر الظهران[١] في عشرة آلافمن المسلمين ...

وكان أبو سفيان بن الحارث وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله ﷺ بثنية العُقاب فيما بين مكة والمدينة، فالتمسا الدخول عليه، فكلمته أم سلمة فقالت: يا رسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك.فقال: «لا حاجة لي فيهما، أما ابن عمي فهتك عرضي، وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال». فلما خرج الخبر إليهما بذلك ومع أبي سفيان بن الحارث ابن له، فقال: والله ليأذَنَن رسول ﷺ أو لآخذن بيد ابني هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشا أو جوعا. فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رق لهما، فدخلا عليه، فأنشده أبو سفيان قوله في إسلامه، واعتذاره مما كان مضى فيه، فقال:

لعمرك إني يوم أحمل راية	لتغلب خيلُ اللاتِ خيلَ محمد
لك المُدْلج الحيرانِ أظلمَ ليلُهُ	فهذا أوان الحق أُهدى وأَهْتَدي
فقُل لثقيفٍ لا أريد قتالكم	وقُل لثقيف تلك عندي فأوعدي
هداني هاد غير نفسي ودلَّني	إلى الله من طرَّدْتُ كلَّ مُطرَّد

قال: فلما أنشد رسول الله ﷺ «إلى الله من طردت كل مطرد» ضرب رسول الله ﷺ في صدره فقال: « أنت طردتني كل مطرد».

قال ابن إسحاق: ماتت أم رسول الله ﷺ بالأبواء وهي تزور أخوالها من بني النجار[٢].

١- مر الظهران: موضع على بعد ستة عشر ميلا من مكة.

٢- المستدرك، ح.ر٤٣٥٩/٦٣. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه». وقال محققو(سيرة ابن هشام: ٣٦/٤) : «إسناده حسن».

-٤١-

أخبرني أبو القاسم عبدالرحمن بن الحسين بن أحمد بن محمد بن عبيد بن عبدالملك الأسدي بهمدان، ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، حدثني الحجاج بن ذي الرقيبة بن عبدالرحمن بن كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني، عن أبيه، عن جده، قال: خرج كعب وبجير ابنا زهير حتى أتيا أبرق العزاف[١]، فقال بجير لكعب: اثبت في عَجَل هذا المكان حتى آتي هذا الرجل - يعني رسول الله ﷺ - فأسمع ما يقول. فثبت كعب، وخرج بجير، فجاء رسول الله ﷺ، فعرض عليه الإسلام فأسلم،فبلغ ذلك كعبا فقال:

ألا أبلغا عني بُجيراً رسالةً ... على أي شيء وَيْحَ غيرك دَلَّكا

على خُلُق لم تُلْفِ أُماً ولا أباً ... عليه ولم تُدْرِك عليه أخاً لكا

سقاك أبو بكر بكأس رَوِيةً ... وأَنهلك المأمورُ منها وعلَّكا

فلما بلغت الأبيات رسول الله ﷺ أهدر دمه، فقال: «من لقي كعبا فليقتله».

فكتب بذلك بجير إلى أخيه يذكر له أن رسول الله ﷺ قد أهدر دمه، ويقول له: النجا وما أراك تفلت.ثم كتب إليه بعد ذلك: اعلم أن رسول الله ﷺ لا يأتيه أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله إلا قبل ذلك، فإذا جاءك كتابي هذا فأسلم وأقبل. فأسلم كعب، وقال القصيدة التي يمدح فيها رسول الله ﷺ. أقبل حتى أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله ﷺ ثم دخل المسجد، ورسول الله ﷺ مع أصحابه مكان المائدة من القوم متحلقون معه: حلقة دون حلقة، يلتفت إلى هؤلاء مرة فيحدثهم، وإلى هؤلاء مرة فيحدثهم.قال كعب: فأنخت راحلتي بباب المسجد، فعرفت رسول

١- أبرق العَزَّاف: العزاف: رمل لبني سعد، وسميت تلك الرملة أبرقَ العزاف«لأن فيها الجن، وهي يسرة عن طريق الكوفة» (معجم ما استعجم، ٣/٩٤٠).

اللّه ﷺ بالصفة، فتخطيت حتى جلست إليه، فأسلمت، فقلت: أشهد أن لا إله إلا اللّه وأنك رسول اللّه، الأمان يارسول اللّه. قال: «ومن أنت؟» قلت: أنا كعب بن زهير. قال: «أنت الذي تقول»، ثم التفت إلى أبي بكر فقال: «كيف قال يا أبا بكر؟» فأنشده أبو بكر رضي اللّه عنه:

سقاك أبو بكر بكأس روية وأنهلك المأمور منها وعلكا

قال: يا رسول اللّه، ما قلت هكذا، قال: «وكيف قلت؟» قال: إنما قلت:

سقاك أبو بكر بكأس روية وأنهلك المأمون منها وعلكا

فقال رسول اللّه ﷺ:«مأمون واللّه ».

ثم أنشده القصيدة كلها حتى أتى على آخرها، وأملاها على الحجاج بن ذي الرقيبة حتى أتى على آخرها، وهي هذه القصيدة[1]:

بانتْ سعاد فقلبِي اليومَ متبـولُ متيَّمٌ إِثْـرهـا لم يُفْـدَ مكبــولُ

أمست سعادُ بأرْض ما يبلِّغهـا إلا العِتاقُ النَّجِيباتُ المراسيـل

ولـن تبـلِّغـهـا إلا عُـذافِـرةٌ فيها على الأيْـنِ إِرْقَـالٌ وَتَبْغِيـل

أُنبِئتُ أن رسولَ الله أوْعَدنــيْ والعفوُ عند رسـول الله مأمـول

فقد أتيتُ رسولَ الله معتـذرا والـعـذرُ عند رسـول الله مقبـول

إن الرسول لنور يستضاء بـه وصارم من سيوف الله مسلـول

في فتية من قريش قال قائلهـم ببطن مكة لما أسلموا زولـوا

١- القصيدة في (شرح ديوان كعب بن زهير، ص: ٦-٢٥)، وقد اكتفينا منها بما يفي بالغرض، مشيرين إلى مواضع الحذف.

زالوا فما زال أَنْكَاس ولا كُشُفٌ عند اللقاء ولا مِيلٌ معازيل

ما يقع الطعنُ إلا في نُحورهِمُ وما لهم عن حِياضِ المَوْتِ تهليل

ثانيا-إنشاد الشعر والتمثل به

-٤٢-

حدثنا هشيم قال: أنا مغيرة، عن الشعبي، عن عائشة، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا استراث الخبر تمثل فيه ببيت طرفة[١]:

ويأتيكَ بالأخبار مَنْ لمْ تُزَوِد[٢]

-٤٣-

حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن الأسود بن قيس قال: سمعت جندبا يقول:

بينما النبي ﷺ يمشي[٣]؛ إذ أصابه حجر، فعثر فدميت إصبعه، فقال[٤]:

١- صدر البيت:«ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا» (ديوان طرفة، ص:٤١)، وهو من معلقة طرفة المشهورة «لخولة أطلال ببُرقة ثَهْمَد...».

٢- مسند أحمد، ح.ر٢٣٩٠٥، وقد علق عليه محققه بقوله: «إسناده صحيح».ورواه الهيثمي في(مجمع الزوائد: ١٣١/٨)، وقال:«رجاله رجال الصحيح».

٣- في(صحيح البخاري، ح.ر٢٨٠٢، ك. الجهاد والسير، ب. من ينكب أو يطعن في سبيل الله) أن ذلك كان «في بعض المشاهد».وفي (صحيح مسلم، ح.ر١٧٩٦، ك. الجهاد والسير، ب. ما لقي النبي ﷺ من أذى...) «كان رسول الله ﷺ في غار، فنكبت إصبعه».

٤- في (سيرة ابن هشام، ٨٣/٢) و(الطبقات الكبرى، ١٣٣/٤) وغيرهما أن الحادثة وقعت للوليد بن الوليد بن المغيرة. وفي (محاسبة النفس، ح.ر١٩) أنها وقعت لعبدالله بن رواحة في غزوة مؤتة.وفي (جزء محمد بن عاصم الثقفي، ح.ر١٩) أن الحادثة وقعت لأبي بكر الصديق، وأنه كان مع الرسول ﷺ فدميت أصبعه فقال البيت، ورجاله ثقات.

هل أنت إلا إصبع دميتِ   وفي سبيل الله ما لقيتِ

-٤٤-

حدثنا علي بن حُجر، قال: أخبرنا شَريك، عن المقدام بن شُريح، عن أبيه، عن عائشة، قال: قيل لها: هل كان النبيﷺ يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت: كان يتمثل بشعر[١] ابن رواحة، ويتمثل ويقول[٢]:

ويأتيكَ بالأخبار من لم تُزود[٣]

-٤٥-

حدثنا أحمد بن عثمان البصري، حدثنا أبو عاصم، عن زكريا بن إسحاق، عن عمرو بن دينار، عن عطاء، عن ابن عباس: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾[٤]، قال: قال النبي ﷺ:

إن تَغفر اللهم تغفرْ جَمّا   ونصفُ عبْد لك لا ألَمّا

١- في (مسند أحمد، ح.ر٢٥١٠٧) بإسناد حسن «من شعر...».

٢- في (م.س، ح.ر٢٤٩٥٢) بإسناد حسن «...كان يروي هذا البيت...».

٣- صحيح سنن الترمذي، ح.ر٢٨٤٨، ك. الأدب، ب.ما جاء في إنشاد الشعر.قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني.

٤- سورة النجم، الآية ٣٢.

-٤٦-

قال ابن إسحاق: فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خُزَاعة، وأصابوا منهم ما أصابوا، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول اللّه ﷺ من العهد والميثاق بما استحلوا من خُزَاعة، وكانوا في عقده وعهده، خرج عمرو بن سالم الخزاعي، ثم أحد بني كعب، حتى قدم على رسول اللّه ﷺ المدينة، وكان ذلك مما هاج فتح مكة، فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظَهراني الناس، فقال:

يا رب إني ناشدٌ محمدا	حِلف أبينا وأبيه الأَتْلَدا
قد كنتم وُلْدا وكنا والدا	ثُمَّتَ أسلمنا فلم ننزِعْ يدا
فانصر هداك اللّه نصرا أَعْتدا	وادع عباداللّه يأتوا مددا
فيهم رسولُ اللّه قد تجردا	إن سِيم خسْفا وجهُه تربَّدا
في فيلق كالبحر يجري مُزبدا	إنَّ قريشا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤَكَّدا	وجعلوا لي في كَداء رُصَّدَا
وزعموا أن لست أدعو أحدا	وهم أذل وأقل عددا
هم بيَّتونا بالوتير هُجَّدا	وقتَلونا ركَّعا وسجَّدا

... فقال رسول اللّه ﷺ: « نُصرتَ يا عمرو بن سالم ». ثم عَرض لرسول

الله ﷺ عنان من السماء، قال: «إن هذه السحابة لتَسْتهلُّ بنصر[1] بني كعب»[2].

-٤٧-

حدثنا عبدالله، حدثني أبي، ثنا محمد بن أبي بكر المقدمي، ثنا أبو معشر البراء، حدثني صدقة بن طليسة، حدثني معن بن ثعلبة المازني والحي بعد، قال: حدثني الأعشى المازني، قال:

أتيت النبي ﷺ فأنشدته:

يا مالك الناس وَدَيان العربْ ... إني لقيت ذِرْبَة من الذِربْ

غدوت أبغيها الطعامَ في رجب ... فخلَّفتني بنزاع وَهَرب

أخلفَتِ العهدَ ولطَّت بالذَّنَب ... وهنّ شرٌّ غالب لمن غلب

١- في (مسند أبي يعلى، ح.ر٤٣٨٠) «عن عائشة قالت: لقد رأيت رسول الله ﷺ غضب فيما كان من شأن بني كعب غضبا لم أره غضبه منذ زمان، وقال: لا نصرني الله إن لم أنصر بني كعب. قالت: وقال لي: «قولي لأبي بكر وعمر يتجهزا لهذا الغزو»، قال: فجاءا إلى عائشة فقالا: أين يريد رسول الله ﷺ؟ قال: فقالت: لقد رأيته غضب فيما كان من شأن بني كعب غضبا لم أره غضبه منذ زمان من الدهر»، وقد علق عليه الهيثمي في(مجمع الزوائد، ١٦٥/٦) بقوله: «رواه أبو يعلى عن حزام بن هشام بن حبيش، عن أبيه، عنها، وقد وثقهما ابن حبان، وبقية رجاله رجال الصحيح».

٢- سيرة ابن هشام(٢٨/٤-٢٩).أورده أكرم ضياء العمري في (السيرة النبوية الصحيحة، ٤٧٣/٢)، وعلق عليه بقوله: «من طريق ابن إسحاق بإسناد حسن لذاته، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث، وله شاهد ضعيف في الطبراني في (المعجم الصغير، ٧٣/٢) لضعف يحيى بن سليمان الخزاعي، وشاهد آخر في مسند أبي يعلى الموصلي(٤٠٠/٤)، وفي مسند حزام بن هشام الخزاعي شيخ محله الصدق، وأبوه تابعي مجهول الحال، وقد وثقهما ابن حبان». وصححه إبراهيم العلي في (صحيح السيرة، ص: ٤٠٢). وحسنه الدكتور مهدي رزق الله أحمد في (السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص: ٥٥٧).

قال: فجعل يقول النبي ﷺ عند ذلك: «وهنّ شرّ غالب لمن غلب»[١].

-٤٨-

حدثنا محمد بن أبي عمر المكي، حدثنا سفيان، عن عمر بن سعيد بن مسروق، عن أبيه، عن عَباية بن رِفاعة، عن رافع بن خديج؛ قال: أعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس: كل إنسان منهم مائة من الإبل. وأعطى عباسبن مرداس دون ذلك، فقال عباس بن مرداس[٢]:

أتجعل نَهْبي ونَهْب العُبَيـ ـد بَـيْنَ عُيينةَ والأَقْـرعِ

فما كـان بـدر ولا حابِسٌ يَفُوقان مِرْدَاسَ في المَجْمع

وما كنت دُونَ امرئ منهما ومن تَخْفِض اليومَ لا يُرفَع

قال: فأتم له رسول الله ﷺ مائة[٣].

-٤٩-

عن أنس بن مالك:أن النبي ﷺ مر ببعض المدينة[٤]، فإذا هو بجَوَارٍ يَضربْن بِدفهن ويَتَغنين ويَقُلن:

نحن جوارٍ من بني النَّجارْ يا حبذا محمدٌ من جارْ

١- مسند أحمد، ح.ر٦٨٨٥.أورده الهيثمي في (مجمع الزوائد، ٣٣٥/٤) وعلق عليه بقوله: «رواه عبدالله بن أحمد، ورجاله ثقات ».وقال أيضا في(م.س، ١٢٧/٨-١٢٨): «رواه عبدالله بن أحمد والطبراني وأبو يعلى والبزار... ورجالهم ثقات».

٢- الأبيات في (ديوان عباس بن مرداس، ص: ١١١-١١٢).

٣- صحيح مسلم، ح.ر١٠٦٠/١٣٧، ك.الزكاة، ب. إعطاء المؤلفة قلوبهم.

٤- في(صحيح البخاري، ح.ر٣٧٨٥، ك. مناقب الأنصار، ب.قول النبي ﷺ للأنصار...) «رأى النبي ﷺ النساء والصبيان مقبلين، قال: حسبت أنه قال: من عرس...».

فقال النبي ﷺ[1]: «اللّه يعلم إني لأحبكن»[2].

-٥٠-

حدثنا أبو شعيب عبدالله بن الحسن الحراني، ثنا أبو جعفر النفيلي، ثنا محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: أن وفد هوازن لما أتوا رسول الله ﷺ بالجِعِرَّانَة، وقد أسلموا، قالوا: إنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك، فامنن علينا منَّ اللّه عليك.

وقام رجل من هوازن، ثم أحد بني سعد بن بكر يقال له: زهير، يُكنى بـ«أبي صرد»، فقال: يا رسول اللّه، نساؤنا عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كفلنك، ولو أنا لحقنا الحارث بن أبي شمر والنعمان بن المنذر، ثم نزل بنا منه الذي أنزلت بنا لرجونا عطفه وعائدته علينا، وأنت خير المكفولين.

ثم أَنشَد رسولَ اللّه ﷺ شعرا قاله، وذكر فيه قرابتَهم وما كفلوا منه، فقال:

امْـنُنْ علينا رسـولَ اللّه في كَـرَم ... فإنـك المـرء نـرجوه ونـدَّخـر

امـنن على بيْضة قد عاقها قَدَر ... مفرَّق شملُها في دهرها غِيَـر

أبقت لنا الحرب هتَّافا على حُزُن ... على قلوبهم الغَمَاء والغُمَـر

إن لم تَدَاركهم نَعماءُ تنْشُرها ... يا أعظم الناس حِلما حين يُختبر

امنن على نسوة مَن كنت تَرضَعها ... إذ فُوكيملؤه من مَحْضِها دُرَر

١- في (م.س) «اللهم أنتم من أحب الناس إليّ، قالها ثلاث مرات».

٢- صحيح سنن ابن ماجة، ح.ر١٥٥٣/١٩٢٦، ك.النكاح، ب.الغناء والدف.قال الألباني: «صحيح». والحديث في(صحيح البخاري، ح.ر٣٧٨٥، ك. مناقب الأنصار، ب.قول النبي ﷺ للأنصار...) لكن دون محل الشاهد.

إذ كنتَ طفلا صغيرا كنت تَرضَفها	وإذ يَزينُك ما تأتي وما تـذر
لا تجعلنا كمن شالت نعامَـته	واسْتبْق منهُ فإنا معشرٌ زُهِـر

فقال رسول الله ﷺ:... «أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم». وقال المهاجرون: ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ.وقالت الأنصار مثل ذلك.وقال الأقرع بن حابس: أما أنا يا رسول الله، وبنو تميم فلا.وقال عيينة مثل ذلك. فقال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا.وقالت بنو سليم: أما ما كان لنا فهو لرسول الله.قال: يقول العباس لبني سليم: وهنتموني.فقال رسول الله ﷺ: «أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله ست قلائص من أول فيء نُصِيبُه». فرَدوا إلى رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم[1].

-٥١-

حدثنا أبو بكر بن إسحاق، أنبأ عبدالله بن الصقر، ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، ثنا معن بن عيسى، ثنا عبيد الله بن عمر بن حفص، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: لما دخل رسول الله ﷺ عام الفتح رأى النساء يلطمن وجوه الخيل بالخمُر، فتبسم إلى أبي بكر رضي الله عنه، وقال:«يا أبا بكر، كيف قال حسان بن ثابت؟»

فأنشده أبو بكر رضي الله عنه:

١- المعجم الكبير، ح.ر٥٣٠٤.أورده في(مجمع الزوائد، ٦/١٩٠) وعلق عليه بقوله: «فيه ابن إسحاق وهو مدلس، ولكنه ثقة، وبقية رجاله ثقات».والحديث في(صحيح البخاري، ح.ر٢٣٠٧-٢٣٠٨ و٢٥٣٩،٢٥٤٠ و٢٥٨٣-٢٥٨٤ و٢٦٠٧-٢٦٠٨ و٣١٣١-٣١٣٢ و٤٣١٨-٤٣١٩ و٧١٧٦-٧١٧٧) لكن دون الشعر.قال ابن حجر في(فتح الباري، ٧/٦٢٩):«...وأورد الطبراني شعر زهير بن صرد من حديثه، فزاد على ما أورده ابن إسحاق خمسة أبيات. وقد وقع لنا عاليا جدا في «المعجم الصغير» عشاري الإسناد، ومن بين الطبراني فيه وزهير لا يعرف، لكن يقوى حديثه بالمتابعة المذكورة، فهو حسن، وقد بسطت القول فيه في «الأربعين المتباينة»، وفي «الأمالي»، وفي«العشرة العشارية»، وبيَّنت وَهْم من زعم أن الإسناد منقطع، والله الموفق».وقال عادل رشد في تعليقه على رواية(الاستيعاب، ص: ٢٥٩): «هذا سند حسن».

عَدِمْت ثَنِيتي إنْ لم تَرَوها   تُثِير النَّقع من كَتِفَي كَدَاء

يُنازِعْن الأعِنَّة مُسرعات   يُلَطِّمْهُن بالخُمُرِ النساء

فقال رسول الله ﷺ: «ادخلوا من حيث قال حسان».[1]

-٥٢-

حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا أبو عمر أحمد بن عبد الجبار، ثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن ضِرار بن الأزور رضي الله عنه لما أسلم أتى النبي ﷺ فأنشأ يقول[2]:

تركتُ القِداحَ وعَزْفَ القيا
نِ والخَمْرَ تَصْلِيةً وابتهالا

وكَرِّي المُحَبَّرَ في غَمْرَةٍ
وجهدي على المسلمين القتالا

وقالتْ جميلةُ بَدَّدْتنا
وطرَّحْتَ أهلَكَ شتَّى شِمَالا

فيا رب لا أُغْبَنَنْ صَفْقَتي
فقد بعتُ أهلي ومالي بِدَالا

فقال رسول الله ﷺ: «ما غُبِنت صفقتَكَ يا ضِرار»[3].

١- المستدرك، ح.ر٤٤٤٢/٤٠. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد».وقال ابن حجر في (فتح الباري، ٦٠٣/٧): «إسناده حسن».

٢- في(مسند أحمد، ح.ر١٦٦٤٩) «قال ضرار، ثم قلت».

٣- المستدرك، ح.ر٥٠٤٢/٦٤٠). سكت عنه الحاكم، وقال الذهبي في (التلخيص، ٢٣٨/٣): «صحيح».

-٥٣-

حدثنا يعقوب قال ثنا أبي عن ابن إسحاق قال فحدثني معبد بن كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين أخو بني سلمة أن أخاه عبيد الله بن كعب -وكان من أعلم الأنصار- حدثه أن أباه كعب بن مالك - وكان كعب ممن شهد العقبة وبايع رسول الله ﷺ بها - قال:خرجنا في حجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا ومعنا البراء بن معرور ... فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس ورسول الله ﷺ معه جالس، فسلمنا ثم جلسنا إليه، فقال رسول الله ﷺ للعباس: «هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟» قال: نعم. هذا البراء بن معرور سيد قومه، وهذا كعب بن مالك. قال: فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ:«الشاعر»؟! قال: نعم...[1].

١- مسند أحمد، ح.ر١٥٧٣٨. وقد صححه محققه حمزة أحمد الزين.وأورده الهيثمي في (مجمع الزوائد، ٤٨/٦)،وقال: «رواه أحمد والطبراني بنحوه، ورجال أحمد رجال ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع».وفي (فتح الباري، ٢٦١/٧) أن ابن حبان صحح حديث ابن إسحاق بطوله.والحديث في (السيرة النبوية الصحيحة، ٢٠١/١)، و(صحيح السيرة، ص:١١٢).



الفصل الرابع:

الموقف من الشعر

-٥٤-

حدثنا يونس، قال: حدثنا أبو داود، قال: حدثنا الأسود بن شيبان، قال: حدثنا أبو نوفل بن أبي عقرب، قال: قيل لعائشة: أكان يتسامع عند رسول الله ﷺ الشعر؟ قالت: كان أبغض الحديث إليه[١].

-٥٥-

حدثنا خلف بن الوليد قال: ثنا ابن عياش يعني إسماعيل، عن عبدالله بن دينار وغيره، عن أبي حريز مولى معاوية، قال: خطب الناس معاوية بحمص، فذكر في خطبته أن رسول الله ﷺ حرم سبعة أشياء، وأني أبلغكم ذلك، وأنهاكم عنه، منهن: النوح، والشِّعْر، والتصاوير، والتبرج، وجلود السباع، والذهب، والحرير[٢].

-٥٦-

حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: أخبرني أبو بكر بن عبدالرحمن، أن مروان بن الحكم أخبره،أن عبدالرحمن بن الأسود بن عبد يغوث أخبره،أن أبي بن كعب أخبره أن رسول الله ﷺ قال[٣]:«إن من الشعر حكمة».[٤]

١- مسند الطيالسي، ح.ر١٤٩٠. علق عليه محققه بقوله: «إسناده صحيح».وأورده الهيثمي في(مجمع الزوائد، ١٢٢/٨، وقال: «رجاله رجال الصحيح».

٢- مسند أحمد، ح.ر١٦٨٧٤. قال محققه: «إسناده حسن لأجل عبدالله بن دينار، وثقه ابن حبان وأبو علي الحافظ، وغمزه أبو حاتم، وضعفه ابن معين».والحديث أورده الهيثمي في(مجمع الزوائد، ١٢٣/٨)، وقال: «رواه الطبراني بإسنادين: رجال أحدهما ثقات».

٣- في (صحيح سنن ابن ماجة، ح.ر٣٨٢٤/٣٠٣٩، ك. الأدب، ب. الشعر) «كان يقول:...». قال الألباني: «حسن صحيح».

٤- صحيح البخاري، ح.ر٦١٤٥، ك.الأدب، ب. ما يجوز من الشعر. في بعض الروايات «لحكمة» كما في(صحيح سنن ابن ماجة، ح.ر٣٨٢٣/٣٠٣٨، ك. الأدب، ب. الشعر)، وفي روايات أخرى «حكما» كما في(م.س، ح.ر٣٨٢٤/٣٠٣٩، ك. الأدب، ب. الشعر).

-٥٧-

حدثنا عبيد الله بن موسى، أخبرنا حنظلة، عن سالم، عن ابن عمر، رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ[١] قال: «لأن يمتلئ جوف أحدكم[٢] قَيحا[٣]، خير له من أن يمتلئ شعرا»[٤].

-٥٨-

حدثنا عبيد الله بن عمر بن ميسرة،ثنا عبدالله بن يزيد، ثنا سعيد بن أبي أيوب،ثنا شرحبيل بن يزيد المعافري، عن عبدالرحمن بن رافع التنوخي، قال: سمعت عبدالله بن عمرو يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما أبالي ما أتيت إن أنا شربت ترياقا أو تعلقت تميمة أو قلت الشعر من قبل نفس»[٥].

-٥٩-

حدثنا مطلب بن شعيب الأزدي، ثنا عبدالله بن صالح، حدثني ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عبدالله بن شراحيل، قال: سمعت عقبة بن عامر يقول: قال النبي ﷺ:«ما من راكب يخلو في مسيره بالله وذِكره إلا

١- في(صحيح مسلم، ح.ر٢٢٥٩، ك.الشعر) ما يدل على مناسبة الحديث، فعن أبي سعيد الخدري قال: «بينا نحن نسير مع رسول الله ﷺ بالعَرْج؛ إذ عرض شاعر ينشد، فقال رسول الله ﷺ: خذوا الشيطان، أو أمسكوا الشيطان؛ لأن يمتلئ...» الحديث.

٢- في (مجمع الزوائد، ٨/١٢٣-١٢٤) «...جوف أحدكم من عانته إلى هامته يتخضخض...»، وقد أعقبه الهيثمي بقوله: «رواه الطبراني وإسناده حسن»، ولم أجده في المعاجم الثلاثة للطبراني.

٣- بعدها في (صحيح مسلم، ح.ر٢٢٥٧، ك.الشعر) «حتى يريه...».

٤- صحيح البخاري، ح.ر٦١٥٤، ك.الأدب، ب.ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر.

٥- سنن أبي داود، ح.ر٣٨٦٩، ك.الطب، ب.الترياق. وأورده الألباني في (ضعيف سنن أبي داود، ح.ر٣٨٦٩) وقال عنه:«ضعيف»، لكن أحمد محمد شاكر عدّه صحيحا، وتتبعَ رجال الحديث بإسهاب بدا لي أنه أرجح؛ إذ مدار التضعيف عند الرجلين على عبدالرحمن بن رافع التنوخي، وقد نقل شاكر عن ابن حبان أن ضعف الرجل ليس في نفسه؛ بل في روايته عن ابن أنعم، واحتج لثقته وعدالته بكونه أحد التابعين العشرة الذين أرسلهم عمر بن عبدالعزيز ليُفَقهوا أهل إفريقية، وعمر ما كان ليرسل إلا ثقة عدلا. (ن. مسند أحمد، هامش ح.ر٦٥٦٥).

رِدفه مَلَك، ولا يخلو بشِعر ونحوه إلا ردفه شيطان»[1].

ثانيا- الشعر في المسجد

-٦٠-

حدثنا مسدد، ثنا يحيى، عن ابن عجلان، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده،أن رسول الله ﷺ نهى عن الشراء والبيع في المسجد، وأن تنشد فيه ضالة، وأن ينشد[2] فيه شعر[3]، ونهى عن التحلق قبل الصلاة يوم الجمعة[4].

-٦١-

حدثنا هشام بن عمار، ثنا صدقة - يعني ابن خالد - ثنا الشعيثي، عن زفر بن وثيمة، عن حكيم بن حزام، أنه قال: نهى رسول الله ﷺ أن يستقاد في المسجد، وأن تنشد[5] فيه الأشعار[6]، وأن تقام فيه الحدود[7].

-٦٢-

حدثنا محمد بن سليمان المصيصي لوين، ثنا ابن أبي الزناد، عن أبيه، عن عروة، وهشام، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول

١- المعجم الكبير، ح.ر٨٩٥ من الجزء١٧.قال الهيثمي في (مجمع الزوائد، ١٣٤/١٠): «إسناد حسن».

٢- في (صحيح سنن الترمذي، ح.ر٣٢٢، ك. الصلاة، ب. ما جاء في كراهية البيع والشراء وإنشاد الضالة والشعر في المسجد) «نهى عن تناشد الأشعار في المسجد،وعن البيع والاشتراء فيه، وأن يتحلق الناس يوم الجمعة قبل الصلاة»، وقد حسنه الألباني.

٣- في (صحيح سنن ابن ماجة، ح.ر٧٥٦/٦١٤، ك. المساجد والجماعة، ب. ما يكره في المساجد) «الأشعار».

٤-سنن أبي داود، ح.ر١٠٧٩، ك.الصلاة، ب.التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة. وحسنه الألباني في (صحيح سنن أبي داود، ح.ر١٠٧٩).

٥- في(المستدرك، ح.ر١١٥/٨١٣٨) «لا تناشدوا».

٦- في (سنن الدارقطني، ح.ر٣٠٧٩) بإسناد حسن «الشعر».

٧-سنن أبي داود، ح.ر٤٤٩٠، ك.الحدود، ب. في إقامة الحدود في المسجد.حسنه الألباني في(صحيح سنن أبي داود، ح.ر٤٤٩٠).

الله ﷺ يضع لحسان منبرا في المسجد، فيقوم عليه يهجو[1] مَنْ قال في رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «إن روح القدس مع حسان[2] ما نافَح[3] عن رسول الله ﷺ»[4].

-٦٣-

حارثة بن مُضرب رفعه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الشيخ ينشد الشعر في المسجد يوم الجمعة ويذكر أيام الجاهلية فاقرعوا رأسه بالعصا»[5].

١- في(مسند أحمد، ح.ر٢٤٣١٨) «ينافح عنه بالشعر». وفي (صحيح سنن الترمذي، ح.ر٢٨٤٦، ك. الأدب، ب. ما جاء في إنشاد الشعر) «يفاخر»، وقد حسنه الألباني.

٢- في (صحيح سنن الترمذي، م.س) «إن الله يؤيد حسان بروح القدس...».

٣- في (م.س) «ما يفاخر، أو ينافح».

٤- سنن أبي داود، ح.ر٥٠١٥، ك.الأدب، ب. ما جاء في الشعر. وحسنه الألباني في (صحيح سنن أبي داود، ح.ر٥٠١٥)، وأورده في(الصحيحة، ح.ر١٦٥٧).ورواه الترمذي في سننه، وقال: « هذا حديث حسن صحيح»، وحسنه الألباني. ن.صحيح سنن الترمذي، ح.ر٢٨٤٦، ك. الأدب، ب. ما جاء في إنشاد الشعر.

٥-المطالب العالية، ح.ر٣٦٣، ك.الصلاة، ب. صون المسجد.علق عليه المحقق في الهامش الخامس بقوله: «قال البوصيري: رجاله ثقات».



الفصل الخامس:

نقد الشعر

-٦٤-

وقالت أم سعد، حين احتُمل نعشه[١] وهي تبكيه، قال: ابن هشام وهي كُبيشة بنت رافع...:

وَيْـل أم سَعْد سعْدا	صَـرَامـة وحَــدًّا
وسُــــودَدا ومجْـــدا	وفـارسـا مُعـَدا
سُـدَّ بـه مَســـدًّا	يَقُدُّ هـامـا قَدًّا

يقول رسول الله ﷺ:«كل نائحة تكذب، إلا نائحةسعد بن معاذ»[٢].

-٦٥-

حدثنا محمد بن بشار، حدثنا بن مهدي، حدثنا سفيان، عن عبدالملك، حدثنا أبو سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبيﷺ:«أصدق[٣]

١- نعش ابنها سعد بن معاذ.

٢- سيرة ابن هشام، ٣/ ٢٢٠. علق عليه محققو السيرة بقولهم(هـ ٣):«إسناده صحيح، ورجاله كلهم ثقات».وهو إسناد حسن كما في (صحيح السيرة، ص:٢٨٨).وأورده الألباني في(الصحيحة، ح.ر١١٥٨) برواية ابن سعد عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد، وقال: «إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات، ومحمود بن لبيد صحابي صغير. وللحديث شاهد من حديث عامر بن سعد عن أبيه مرفوعا. أخرجه ابن سعد (٣/٤٢٩). لكن شيخه محمد بن عمر وهو الواقدي متروك. ثم روى (٣/٤٢٩- ٤٣٠) له شاهدا من مرسل سعد بن إبراهيم. وإسناده حسن».

٣- في(صحيح مسلم، ح.ر٢٢٥٦، ك.الشعر) «أشعر».وقد ضعف الألباني رواية «أشعر»، فأورد رواية الترمذي مثلا في (ضعيف سنن الترمذي، ح.ر٢٨٤٩، ك. الأدب، ب.ما جاء في إنشاد الشعر) وقال: «صحيح بلفظ: «أصدق».

كلمة[١] قالها الشاعر[٢] كلمة لبيد[٣]:

ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطلُ[٤]

وكاد أمية بن أبي الصلت أن يُسلِم[٥].

-٦٦-

حدثنا أُصبَغ، قال: أخبرني عبد الله بن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب أن الهيثم بن أبي سنان أخبره أنه سمع أبا هريرة في قصصه يذكر النبي ﷺ يقول:

«إن أخا لكم لا يقول الرفث»، يعني بذاك ابن رواحة، قال[٦]:

وفينا رسولُ الله يَتْلو كتابَه	إذا انشقَّ مَعروفٌ من الفَجْر ساطعُ
أَرانا الهُدى بَعد العَمى فَقُلوبنا	به مُوقنات أنَّ ما قَال واقع
يَبِيت يُجَافي جَنْبه عن فِراشِه	إذا استثقلت بالكافرين المضاجع

١- في (صحيح البخاري، ح.ر٦٤٨٩، ك. الرقاق، ب. الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله) «بيت».

٢- في(مسند أحمد، ح.ر٩٦٩٨) بإسناد حسن «قالته العرب».وفي(صحيح مسلم، ح.ر٢٢٥٤، ك.الشعر) «بيت قالته الشعراء».وفي (ضعيف سنن الترمذي، ح.ر٢٨٤٩، ك. الأدب، ب.ما جاء في إنشاد الشعر) «...كلمة تكلمت بها العرب»، وقد قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

٣- سقطت «كلمة لبيد» من روايات كما في(مسند أحمد، ح.ر٧٣٧٧) وإسناده صحيح.وبدلها وفي (م.س، ح.ر٩٦٩٨) بإسناد صحيح «قول لبيد بن ربيعة».

٤- ديوان لبيد، ص:١٤٤-١٤٩.

٥- صحيح البخاري، ح.ر٦١٤٧، ك.الأدب، ب. ما يجوز من الشعر. العبارة «وكاد...» ليست في بعض الروايات كرواية (صحيح البخاري، ح.ر٦٤٨٩، ك. الرقاق، ب. الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله).وفي رواية في (صحيح مسلم، ح.ر٦/٢٢٥٦، ك.الشعر) «ما زاد على ذلك».

٦- ديوان عبد الله بن رواحة، ص:٩٦.

-٦٧-

عن النابغة قال: أتيت النبي ﷺ فأنشدته من قولي:

وإنا لنرجو فوق ذلك مَظْهرا علونا العِبَاد عِفّةً وتَكَرّما

قال: «أين المظهر يا أبا ليلى؟» قلت: الجنة. قال: «أجل إن شاء الله» قال: ثم قال: «أنشدني» فأنشدته من قولي:

بوادرُ تحمي صفوه أن يُكَدرا ولا خير في حِلم إذا لم يكن له

حليمٌ إذا ما أورد الأمر أصدرا ولا خير في جهل إذا لميكن له

قال: «أحسنت، لا يفضض الله فاك»[1].

١-مجمع الزوائد، ١٢٩/٨. قال الهيثمي: «رواه البزار، وفيه يعلى بن الأشدق، وهو ضعيف». وعلق ابن حجر في (الإصابة، ٣١١/٦-٣١٢) على الحديث بقوله: «وهكذا أخرجه البزار، والحسن بن سفيان في مسنديهما، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان، والشيرازي في الألقاب، كلهم من رواية يعلى بن الأشدق؛ قال: وهو ساقط الحديث. قال أبو نُعيم: رواه عن يعلى جماعة منهم هاشم بن القاسم الحرَّاني، وأبو بكر الباهلي، وعروة العِرقي، لكنه توبع، فقد وقعت لنا قصة في «غريب الحديث» للخطابي، وفي «كتاب العلم» للمرهبي، وغيرهما، من طريق مهاجر بن سليم، عن عبد الله بن جراد: سمعت نابغة بني جعدة يقول...

ورويناه في «المؤتلف والمختلف» للدارقطني، وفي «الصحابة» لابن السكن، وفي غيرهما من طريق الرحال بن المنذر: حدثني أبي، عن أبيه كرز بن أسامةوكانت له وفادة مع النابغة الجعدي فذكرها بنحوه.

ورويناها في «الأربعين البلدانية» للسلفي، من طريق أبي عمرو بن العلاء عن نصر بن عاصم الليثي عن أبيه سمعت النابغة يقول:...

ورويناها مسلسلة بالشعراء من رواية دعبل بن علي الشاعر، عن أبي نواس، عن والبة بن الحباب، عن الفرزدق، عن الطرماح، عن النابغة؛ وهي في «كتاب الشعراء» لأبي زرعة الرازي المتأخر».

-٦٨-

حدثنا علي، حدثنا بشر بن المفضل، حدثنا خالد بن ذكوان، عن الربيع بنت معوذ قالت: دخل عليَّ النبي ﷺ غداة بُني علي فجلس على فراشي كمجلسك مني، وجويريات يضربن بالدف يندبن من قُتل من آبائهن يوم بدر، حتى قالت جارية: وفينا نبي يعلم ما في غد[١].فقالالنبي ﷺ: «لا تقولي هكذا، وقولي ما كنت تقولين»[٢].

-٦٩-

حدثنا شعيب بن إبراهيم بن حمزة الزبيري حدثني أبي ثنا سفيان بن حمزة عن كثير بن زيد عن عبد المطلب بن عبد الله بن حنطب عن ابن كعب بن مالك قال: قال كعب بن مالك: إن النبي ﷺ مر به وهو ينشد:

١- في(مسند أحمد، ح.ر٢٦٩٠٠) بإسناد حسن «وفينا نبي يعلم ما يكون في اليوم وفي غد».

٢- صحيح البخاري، ح.ر٤٠٠١، ك.المغازي.وفي(م.س، ح.ر٥١٤٧)«دَعي هذه، وقولي بالذي كنتِ تقولين».

وفي(مسند أحمد، ح.ر٢٦٩٠٠) «أما هذا فلا تقولاه».وفي (صحيح سنن ابن ماجة، ح.ر١٥٥١/١٩٢٤، ك. النكاح، ب. الغناء والدف) بيان لعلة القول النبوي: «أما هذا، فلا تقولوه، ما يعلم ما في غد إلا الله».ولا ذكر للربيع بنت معوذ في بعض الروايات كرواية (المعجم الأوسط، ح.ر٣٤٠١)؛ إذ فيها «أن النبي ﷺ مر بنساء من الأنصار في عرس لهن يغنين:

وأهدى لها كَبْشا   تَنَحْنَحَ في المِرْبَدِ
وزوجُكِ في النادي   ويَعلمُ ما في غد

فقال رسول الله ﷺ: «لا يعلم مافي غد إلا الله»، و«رجاله رجال الصحيح» كما قال الهيثمي في (مجمع الزوائد: ٤/٢٩٣).

=وفي(المستدرك، ح.ر٢٧٥٣/٨٢) «سمع النبي ﷺ ناسا يتغنون في عرس لهم...»، وقد علق عليه بقوله: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، وهو ما قد يدل على أننا أمام حديثين لا حديث واحد، لكن الجمع بينهما ممكن، فالعرس كان عند الربيع بنت معوذ، والرسول ﷺ مر به.

ألا هَلْ أَتَى غَسَّانَ عنَّا وَدُونهمْ	مِنَ الأَرْضِ خَرْقٌ حَوْلَهُ يَتَقَعْقَع
تجَالدنا عن حرمنا كل فحمة	كردف لها فيها القوانس تلمع

فقال النبي ﷺ:«لا يا كعب بن مالك».

فقال كعب: تجالدنا عن ديننا كل فحمة.

فقال النبي ﷺ: «نعم يا كعب»[1].

1- المعجم الكبير، ح.ر ١٩٢ من الجزء ١٩). قال عنه الهيثمي في (مجمع الزوائد: ١٢٧/٨): «رواه الطبراني، وإسناده حسن». والحديث من زوائد ابن هشام في (السيرة: ٣/١٠٠-١٠١)؛ لكنه لم يسنده.



الفصل السادس:

نصوص ذات صلة

-٧٠-

عن معن بن يزيد أو أبي معن قال: قال رسول الله ﷺ: «اجتمعوا في مساجدكم، فإذا اجتمع كل قوم فليؤذِنوني». قال: فاجتمعنا أول الناس فأتيناه، فجاء حتى جلس إلينا،...فقال: «الحمد لله ما شاء الله جعل بين يديه، وما شاء جعل خلفه، وإن من البيان سحرا». ثم أقبل علينا فأمرنا وكلمنا وعلمنا.[١]

-٧١-

حدثنا وكيع عن عمرو بن حسان - يعني المسلي- قال: ثنا المغيرة بن عبد الله اليشكري عن أبيه قال: دخلت مسجد الكوفة أول ما بني مسجدها، وهو في أصحاب التمر يومئذ، وجدره من سهلة، فإذا رجل يحدث الناس قال: قلت: يا رسول الله، دلني على عمل يدخلني الجنة وينجيني من النار. قال: «بخ بخ، لئن كنت قصرت في الخطبة، لقد أبلغت في المسألة[٢][٣].

-٧٢-

حدثنا عبد العزيز بن عبد الله قال: حدثني إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير أن زينب بنت أم سلمة أخبرته أن أمها أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺأخبرتها عن رسول الله ﷺ أنه سمع خصومة بباب حجرته فخرج إليهم، فقال:«إنما أنا بشر، وإنه

١-مسند أحمد، ح.ر١٥٨٠٥. وقد علق عليه محققه بقوله: «إسناده صحيح».وذكره الهيثمي في (مجمع الزوائد، ١٢٠/٨) ثم قال: «رواه أحمد والطبراني، ورجاله رجال سهيل بن دراع، وقد وثقه ابن حبان»،.

٢-في (مسند أحمد، ح.ر٢٧٠٣٢) بإسناده صحيح «لئن كنت أوجزتَ في المسألة، لقد أعظمت وأطولت».وفي: (صحيح الأدب المفرد، ح.ر ٦٩) «لئن كنت أقصرت الخطبة، لقد أعرضت المسألة».

٣-مسند أحمد، ح.ر١٥٨٢٦. علق عليه حمزة أحمد الزين بقوله: «إسناده صحيح».

يأتيني الخصم، فلعل بعضكم أن يكون أبلغ[1] من بعض فأحسب أنه صدق فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو فليتركها»[2].

-٧٣-

حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:«بُعثت بجوامع الكلم[3]، ونُصرت بالرعب، فبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوُضعت في يدي»[4].

-٧٤-

عن ابن عمر قال: قدم رجلان من المشرق خطيبان على عهد رسول الله ﷺ، فقاما فتكلما ثم قعدا، وقام ثابت بن قيس خطيب رسول الله ﷺ فتكلم، فعجب الناس من كلامهما، فقام رسول الله ﷺ يخطب فقال: «يا أيها الناس، قولوا قولكم، فإنما تشقيق الكلام من الشيطان»، ثم قال رسول الله ﷺ:«إن من البيان سحرا».[5]

-٧٥-

عن أبي ظبية أن عمرو بن العاص قال يوما - وقام رجل فأكثر القول - فقال عمرو: لو قصد في قوله لكان خيرا له، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لقد رأيت - أو أمرت - أن أتجوز في القول، فإن الجواز هو خير».[6]

١- في (صحيح البخاري، ح.ر٢٦٨٠، ك. الشهادات، ب. من أقام البينة بعد اليمين) «إنكم تختصمون إليَّ، ولعل بعضَكم ألحنُ بحجته...».

٢-م.س، ح.ر٢٤٥٨، ك. المظالم والغصب. باب إثم من خاصم في باطل.

٣- في (م. س، ح.ر٦٩٩٨) «أعطيت مفاتيح الكلم...». وفي (صحيح سنن الترمذي، ح.ر١٥٥٣، ك. السير، ب. ما جاء في الغنيمة) «أعطيت جوامع الكلم...».

٤-صحيح البخاري، ح.ر٢٩٧٧، ك. الجهاد والسير. باب قول النبي ﷺ نصرت بالرعب..

٥-صحيح الأدب المفرد، ح.ر(٨٧٥/٦٧١). أعقبه الألباني بقوله: «صحيح».

٦-سنن أبي داود، ح.ر٥٠٠٨، ك. الأدب، ب. ما جاء في المتشدق. قال الألباني في (صحيح سنن أبي داود، ح.ر٥٠٠٨): «حسن الإسناد».

-٧٦-

حدثني سريج بن يونس حدثنا عبد الرحمن بن عبد الملك بن أبجر عن أبيه عن واصل بن حيان قال: قال أبو وائل: خطبنا عمار فأوجز وأبلغ، فلما نزل قلنا: يا أبا اليقظان،لقد أبلغت وأوجزت فلو كنت تنفست. فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:«إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه، فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة، وإن من البيان سحرا»(١).

ثانيا- عيوب الكلام

-٧٧-

حدثنا يزيد أنبأنا ديلم بن غزوان العبدي ثنا ميمون الكردي عن أبي عثمان النهدي قال: إني لجالس تحت منبر عمر رضي الله عنه وهو يخطب الناس فقال في خطبته: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة كل منافق عليم اللسان».(٢)

-٧٨-

حدثنا عبد الله بن منير، سمع أبا النضر، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله - يعني ابن دينار - عن أبيه، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يلقي لها بالا يرفع الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم»(٣).

-٧٩-

عن عبد الله بن عمرو قال:قال رسول الله ﷺ:« إن الله عز وجل يبغض

١-صحيح مسلم، ح.ر٨٦٩، ك. الجمعة، ب. تخفيف الصلاة والخطبة.

٢-مسند أحمد، ح.ر٣١٠). علق عليه أحمد محمد شاكر بقوله: «إسناده صحيح».

٣- صحيح البخاري، ح.ر٦٤٧٨، ك.الرقاق، ب. حفظ اللسان.وفي (م.س، ح.ر٦٤٧٧) في رواية أخرى «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها، ينزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب».

البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها».[١]

-٨٠-

حدثنا أحمد بن الحسن بن خراش البغدادي حدثنا حبان بن هلال حدثنا مبارك بن فضالة حدثني عبد ربه بن سعيد عن محمد بن المنكدر عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أحبكم إليَّ، وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقا، وإن أبغضكم إليَّ، وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة، الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون».[٢]

-٨١-

حدثنا أحمد بن منيع حدثنا يزيد بن هارون عن أبي غسان محمد بن مطرف عن حسان بن عطية عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «الحياء والعي شعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق».[٣]

-٨٢-

حدثنا جعفر بن محمد الفريابي ثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي ثنا الحسن بن يحيى الخشني قال: ثنا زيد بن واقد ح وحدثنا أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي ثنا أبو مسهر ح وحدثنا إسحاق بن أبي حسان الأنماطي وموسى بن سهل بن عمران الجوني قالا: ثنا هشام بن عمار قالا: ثنا صدقة بن خالد قال: حدثني زيد بن واقد عن بسر بن عبيد الله عن واثلة بن الأسقع قال: كنت في أصحاب الصفة، فلقد رأيتنا وما منا إنسان عليه

١-سنن أبي داود، ح.ر٥٠٠٥، ك. الأدب، ب. ما جاء في المتشدق...صححه الألباني في (صحيح سنن أبي داود، ح.ر٥٠٠٥).وقد رواه الترمذي في سننه، وقال: «حسن غريب»، وصححه الألباني. ن.صحيح سنن الترمذي، ح.ر٢٨٥٣، ك.الأدب، ب. ما جاء في الفصاحة والبيان.

٢-صحيح سنن الترمذي، ح.ر٢٠١٨، ك. البر، ب. باب ما جاء في معالي الأخلاق. قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب»، وصححه الألباني.

٣-م.س، ح.ر٢٠٢٧، ك. البر، باب ما جاء في العي. قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب»، وصححه الألباني.

ثوب تام، وأخذ العرق في جلودنا طرفا من الغبار والوسخ، إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: ليبشر فقراء المهاجرين، إذ أقبل رجل عليه شارة حسنة.فجعل النبي ﷺ لا يتكلم بكلام إلا كلفته نفسه يأتي بكلام يعلو كلام النبي ﷺ، فلما انصرف قال: «إن الله لا يحب هذا وصوته، يلوون ألسنتهم للناس ليَّ البقرة لسانها بالمرعى، كذلك يلوي الله ألسنتهم ووجوههم في النار».[١]

-٨٣-

حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي أخبرنا جرير عن منصور عن إبراهيم عن عبيد بن نضيلة الخزاعي عن المغيرة بن شعبة قال: ضربت امرأة ضرتها بعمود فسطاط وهى حبلى فقتلتها. قال: وإحداهما لحيانية. قال: فجعل رسول الله ﷺ دية المقتولة على عَصبة القاتلة، وغرة لما في بطنها، فقال رجل من عصبة القاتلة: أنغرم دية من لا أكل ولا شرب ولا استهل فمثل ذلك يُطل؟! فقال رسول الله ﷺ: «أسجع كسجع الأعراب»[٢]. قال: وجعل عليهم الدية[٣].

١-المعجم الكبير، ح.ر ١٧٠ من الجزء ٢٢. قال عنه الهيثمي في (مجمع الزوائد، ١٠/ ٢٦٤): «رواه الطبراني بأسانيد رجال أحدها رجال الصحيح».

٢ -في (صحيح سنن الترمذي، ح.ر١٤١٠، ك. الديات، ب. ما جاء في دية الجنين) «إن هذا ليقول بقول شاعر».

وفي (صحيح سنن النسائي، ح.ر٤٨٣٨، ك. القسامة، ب. صفة شبه العمد...) «سجع كسجع الجاهلية؟!».

٣-صحيح مسلم، ح.ر١٦٨٢، ك. القسامة، ب. دية الجنين.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.مكتبة دار التراث، القاهرة. د.ط.ت.
- الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل البخاري، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط: ٢، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م.
- أساس البلاغة: الزمخشري.مطابع الشعب، القاهرة، ط: ١٩٦١م.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد البر. صححه وخرج أحاديثه عادل مرشد.دار الأعلام، عمان، ط:١، ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢م.
- الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، قدم له وقرظه د. محمد عبد المنعم البري، ود. عبد الفتاح أبو سنة ود. جمعة طاهر النجار.دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥م.
- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: ابن قيم الجوزية. تحقيق محمد سيد كيلاني.مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط: ١٣٨١هـ = ١٩٦١م.
- الأغاني: أبو الفرج الأصبهاني. مؤسسة جمال للطباعة والنشر، مصورة عن ط. دار الكتب د.ط.ت.
- أمية بن أبي الصلت حياته وشعره. دراسة وتحقيق د. بهجت عبد الغفور الحديثي.وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد، ط: ٢، ١٩٩١م.
- بانت سعاد في إلمامات شتى: أحمد الشرقاوي إقبال. دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط:١، ١٩٩١م.
- البحر الزخار المعروف بمسند البزار: أبو بدر أحمد البزار. تحقيق

د.محفوظ الرحمن زيدالله.مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط:١، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م.

- البداية والنهاية: ابن كثير.دار التقوى، القاهرة، ط:١، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.
- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي. تحقيق أبو الفضل إبراهيم.المكتبة العصرية، بيروت، د.ط.ت.
- البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون.دار الفكر، بيروت، د.ط.ت.
- تاريخ النقد الأدبي عند العربنقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري: د.إحسان عباس.دار الشروق، بيروت، ط:٢، ١٩٩٣م.
- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير الدمشقي، دار الفكر، بيروت، ط:١، ١٤١٧هـ = ١٩٨٧م.
- تقريب التهذيب: ابن حجر العسقلاني، حققه وعلق عليه مسعد عبدالحميد السعدني. مكتبة القرآن، القاهرة، د.ط.ت.
- التلخيص للحافظ الذهبي. بإشراف د. يوسف عبدالرحمن المرعشلي. بذيل المستدرك على الصحيحين للحاكم. دار المعرفة، بيروت، د.ط.ت.
- توثيق قصيدة بانت سعاد في المتن والإسناد: د. سعود بن عبد الله الفنيسان.مكتبة الرشد، الرياض، ط:١، ١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩م.
- جامع العلوم والحكم: ابن رجب الحنبلي.دار الفكر، بيرت، ط: ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م.
- الجامع لأحكام القرآن أبو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي.دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٧م.
- الحيوان: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. تحقيق وشرح عبد السلام

هارون.دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:٣، ١٣٨٨هـ = ١٩٦٩م.

- جزء الأصبهاني: محمد بن عاصم بن عبدالله الثقفي الأصبهاني. تحقيق مفيد خالدي عيد.دار العاصمة، الرياض، ط: ١، ١٤٠٩هـ .
- ديوان الأخطل: شرحه وصنف قوافيه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين.دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- ديوان امرئ القيس:تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط: ٥.
- ديوان أمية = أمية بن أبي الصلت...
- ديوان حسان بن ثابت: تحقيق د.سيد حنفي حسنين.دار المعارف، القاهرة، د.ط.ت.
- ديوان طرفة بن العبد: المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، د.ط.ت.
- ديوان العباس بن مرداس السلمي. جمعه وحققه د. يحيى الجبوري. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:١، ١٤١٢هـ = ١٩٩١م.
- ديوان عبدالله بن رواحة الأنصاري الخزرجي شاعر الرسول [: دراسة وجمع وتحقيق د.حسن محمد باجودة. مكتبة دار التراث، القاهرة، ط: ١٩٧٢ م.
- ديوان كعب بن مالك الأنصاري دراسة وتحقيق: سامي مكي العاني، مكتبةالنهضة،بغداد، ط:١، ١٣٨٧ = ١٩٦٦ م.
- ديوان لبيد بن ربيعة: شرح الطوسي. قدم له ووضع هوامشه وفهارسه د. حنا نصر الحِتِّي.دار الكتاب العربي. ط:١ ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م.
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله بن أحمد السهيلي. تحقيق عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:١، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني.مكتبة

المعارف الرياض.

- ج(١-٥): ط: ١٤١٥هـ/١٩٩٥ م..
- ج٦: ط:١، ١٤١٧ هـ/١٩٩٦م.
- ج ٧: ط:١، ١٤٢٢ هـ/٢٠٠٢م.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة: محمد ناصر الدين الألباني.مكتبة المعارفالرياض.
- ج(١-٥): ط:٢، ١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠م.
- ج(٦-٧): ط:١، ١٤٢١ هـ/٢٠٠٠م.
- ج(٨-٩): ط:١، ١٤٢٢ هـ/٢٠٠١م.
- ج ١٠: ط:١، ١٤٢٢ هـ/٢٠٠٢م.
- سنن الدارقطني: علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني، تحقيق عبد الله هاشم يماني المدني. دار المعرفة، بيروت، ط: ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.
- سنن أبي داود: راجعه على عدة نسخ، وضبط أحاديثه، وعلق على حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد .دار إحياء السنة النبوية، د.ط.ت.
- -السنن الكبرى للبيهقي: دار الفكر، بيروت، د.ط.ت.
- السنن الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد النسائي. تحقيق د. عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن.دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- السيرة النبوية: ابن هشام المعافري، تحقيق وتخريج وفهرسة جمال ثابت ومحمد محمود وسيد إبراهيم.دار الحديث، القاهرة، ط:٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- السيرة النبوية الصحيحة (محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد

روايات السيرة النبوية):د. أكرم ضياء العمري. مكتبة العبيكان، الرياض، ط: ٢، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية(دراسة تحليلية): د. مهدي رزق الله أحمد.مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. ط:١، ١٤١٢ هـ/١٩٩٢م.
- شرح ديوان كعب بن زهير: صنعة أبي سعيد بن الحسن السكري.دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط:٣، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- شرح صحيح مسلم = صحيح مسلم بشرح النووي.
- شعب الإيمان: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي. تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول.دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١٠هـ.
- شعر النعمان بن بشير الأنصاري. حققه وقدم له د.يحيى الجبوري.دار القلم، الكويت، ط: ٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.
- الصحابة الشعراء: محمد الراوندي، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا. دار الحديث الحسنية بالرباط. نوقشت سنة١٣٩٥ هـ/١٩٧٥م، مرقونة.
- صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة الدليل السعودية، ط:٤، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري. تحقيق د. صدقي جميل العطار. دار الفكر، بيروت، ط:١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته(الجامع الكبير): محمد ناصر الدين الألباني.المكتب الإسلامي. بيروت/دمشق. ط:٣، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- صحيح سنن الترمذي(باختصار السند): محمد ناصر الدين الألباني، مكتبالتربيةالعربي لدول الخليج، الرياض، ط:١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- صحيح ابن حبان:تحقيق شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت،

ط:٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

- صحيح سنن أبي داود سليمان بن الأشعب السجستاني: محمد ناصر الدين الألباني.مكتبة المعارف الرياض. ط:١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- صحيح سنن ابن ماجة: محمد ناصر الدين الألباني. مكتبة المعارف، الرياض، ط:١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- صحيح سنن النسائي: محمد ناصر الدين الألباني. مكتبة المعارف، الرياض، ط:١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- صحيح السيرة النبوية: إبراهيم العلي. تقديم د.عمر سليمان الأشقر. راجعه د. همام سعيد.دار النفائس، عمان/الأردن، ط:١، ١٤١٥هـ/١٩٩١م.
- صحيح مسلم بشرح الإمام أبي زكرياء يحيى بن شرف النووي. ضبط وتوثيق صدقي جميل العطار.دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- الصحيحة = سلسلة الأحاديث الصحيحة.
- ضعيف الأدب المفرد للإمام البخاري: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة الدليلالسعودية، ط:٤، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- ضعيف الجامع الصغير وزيادته(الفتح الكبير): محمد ناصر الدين الألباني.المكتب الإسلامي، بيروت، ط:٣، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- الضعيفة = سلسلة الأحاديث الضعيفة.
- ضعيف الأدب المفرد للإمام البخاري: محمد ناصر الدين الألباني. مكتبة الدليل. السعودية. ط:٤، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- ضعيف سنن ابن ماجة: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط:١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- ضعيف سنن الترمذي: محمد ناصر الدين الألباني.مكتب التربية

العربي لدول الخليج، الرياض، ط:١، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

- الضعيفة = سلسلة الأحاديث الضعيفة.
- طبقات ابن سعد = الطبقات الكبرى.
- طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلام الجمحي، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر،
- مطبعة المدني، القاهرة، ط:١.
- الطبقات الكبرى: ابن سعد.دار صادر، بيروت، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.
- العقد الفريد: ابن عبد ربه، شرحه وضبطه وصححه وَعَنْوَنَ موضوعاته ورتب فهارسه أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري.لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط:٢، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد قرقزان.دار المعرفة، بيروت، ط:١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري:أحمد بن علي بن حجرالعسقلاني، راجعه قصي محب الدين الخطيب، ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، وقام بإخراجه وتصحيح تجاربه وتحقيقه محب الدين الخطيب.دار الريان للتراث، القاهرة، ط:١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- فضائل القرآن، ابن كثير، تحقيق د.محمد إبراهيم البنا.دارالقبلة للثقافة الإسلامية بجدة ومؤسسة علوم القرآن ببيروت، ط:١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- في ظلال القرآن: سيد قطب.دار الشروق، القاهرة، ط:٢٥، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- القرآن الكريم روح الأمة الإسلامية، د.الشاهدالبوشيخي.منشورات المحجة، ط:٤، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

- لسان العرب: ابن منظور.دار صادر، بيروت، ط:٣، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- مجمع الزوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي. مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد.مكتبة المعارف، الرباط، د.ط.ت.
- محاسبة النفس: أبو بكر عبد الله بن محمد بن سفيان بن أبي الدنيا. دراسة وتحقيق: أبو حاتم عبد الله الشرقاوي.مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط:١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- المستدرك على الصحيحين: الحاكم. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا.دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
- المسند: أحمد بن محمد بن حنبل. شرحه وصنع فهارسه أحمد محمد شاكر وحمزة أحمد الزين.دار الحديث، القاهرة، ط:١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- مسند البزار = البحر الزخار...
- مسند الطيالسي: سليمان بن داود الطيالسي.دار المعرفة، بيروت، د.ط.ت.
- مسند أبي يعلى. تحقيق: حسين سليم أسد.دار المأمون للتراث، دمشق، ط:١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين قضايا ونماذج: د.الشاهد البوشيخي.منشورات القلم، ط:١٤١٣،١هـ/١٩٩٣م.
- مصنف عبد الرزاق: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط:٢، ١٤٠٣هـ.
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية: ابن حجر العسقلاني.

إعداد د.يوسف عبد الرحمن المرعشلي.دار المعرفة، بيروت، ط:١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

- المعجزات القرآنية، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي. دار النيل، القاهرة، ط: ٢٠٠٦.

- المعجم الأوسط: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني. حققه وخرجه وفهرسه أيمن صالح شعبان وسيد أحمد إسماعيل.دار الحديث، القاهرة، ط:١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

- المعجم الكبير: أبو القاسم بن أحمد الطبراني، حققه وخرج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي.دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: عبد الله بن عبد العزيز البكري، حققه وضبطه مصطفى السقا.عالم الكتب، بيروت، ط:٣، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني. تحقيق صفوان عدنان داوودي.دار القلم. دمشق. ط:٣، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

- مقاييس اللغة: ابن فارس. تحقيق عبد السلام هـارون.دار الفكر. بيروت. د.ط.ت.

- مقدمة ابن خلدون: دار القلم، بيروت، ط: ١١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- منح المدح أو شعراء الصحابة ممن مدح الرسول [أو رثاه: ابن سيد الناس. تقديم وتحقيق عفت وصال حمزة.دار الفكر، دمشق، ط:١، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م.

- الموسوعة الشعرية: المجمع الثقافي، الإصدار الثالث،٢٠٠٣هـ/١٩٩٧م.

- نصوص الشعر والشعراء في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف جمع وتوثيق ودراسة: الحسين زروق.أطروحة دكتوراه نوقشت بجامعة

سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرازفاس سنة ٢٠٠٥م.

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي.
- ط:١، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير. تحقيق محمود محمد الطناجي وطاهر أحمد الزاوي.دار الفكر، بيروت، ط:٢، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.



١- الشهود الحضاري للأمة الوسط في عصر العولمة.

د.عبد العزيز برغوث.

٢- عينان مطفأتان وقلب بصير(رواية).

د. عبد الله الطنطاوي.

٣- دور السياق في الترجيح بين الأقاويل التفسيرية.

د. محمد إقبال عروي.

٤- إشكالية المنهج في استثمار السنة النبوية.

د. الطيب برغوث.

٥- ظلال وارفة (مجموعة قصصية) .

د. سعاد الناصر(أم سلمى).

٦- قراءات معرفية في الفكر الأصولي.

د. مصطفى قطب سانو.

٧- من قضايا الإسلام والإعلام بالغرب.

د. عبد الكريم بوفرة.

٨- الخط العربي وحدود المصطلح الفني.

د. إدهام محمد حنش.

٩- الاختيار الفقهي وإشكالية تجديد الفقه الإسلامي.

د. محمود النجيري.

١٠- ملامح تطبيقية في منهج الإسلام الحضاري.

د. محمد كمال حسن.

١١- العمران والبنيان في منظور الإسلام.

د. يحيى وزيري.

١٢- تأمل واعتبار: قراءة في حكايات أندلسية.

د. عبد الرحمن الحجي.

١٣- ومنها تتفجر الأنهار(ديوان شعر).

الشاعرة أمينة المريني.

١٤- الطريق... من هنا.

الشيخ محمد الغزالي

١٥- خطاب الحداثة: قراءة نقدية.

د. حميد سمير

١٦- العودة إلى الصفصاف (مجموعة قصصية لليافعين).

فريد محمد معوض

١٧- ارتسامات في بناء الذات.

د. محمد بن إبراهيم الحمد

١٨- هو وهي: قصة الرجل والمرأة في القرآن الكريم.

د. عودة خليل أبو عودة

١٩- التصرفات المالية للمرأة في الفقه الإسلامي.

د. ثـريـة أقصـري

٢٠- إشكالية تأصيل الرؤية الإسلامة في النقد والإبداع.

د. عمر أحمد بو قرورة

٢١- ملامح الرؤية الوسطية في المنهج الفقهي.

د. أبو أمامة نوار بن الشلي

٢٢- أضواء على الرواية الإسلامية المعاصرة.

د. حلمي محمد القاعود

٢٣- جسور التواصل الحضاري بين العالم الإسلامي واليابان.

أ.د سمير عبد الحميد نوح

٢٤- الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية.

د. أحمد الريسوني

٢٥- المرتكزات البيانية في فهم النصوص الشرعية.

د. نجم الدين قادر كريم الزنكي

٢٦- معالم منهجية في تأصيل مفهوم الأدب الإسلامي.

د. حسن الأمراني

د. محمد إقبال عروي

٢٧- إمام الحكمة (رواية).

الروائي/ عبد الباقي يوسف

٢٨- بناء اقتصاديات الأسرة على قيم الاقتصاد الإسلامي.

______________ أ.د. عبد الحميد محمود البعلي

٢٩- إنما أنت... بلسم (ديوان شعر).

______________ الشاعر محمود مفلح

٣٠- نظرية العقد في الشريعة الإسلامية.

______________ د. محمد الحبيب التجكاني

٣١- محمد ﷺ ملهم الشعراء

______________ أ. طلال العامر

٣٢- نحو تربية مالية أسرية راشدة.

______________ د. أشرف محمد دوابه

٣٣- جماليات تصوير الحركة في القرآن الكريم .

______________ د. حكمت صالح

٣٤- الفكر المقاصدي وتطبيقاته في السياسة الشرعية.

______________ د. عبد الرحمن العضراوي

٣٥- السنابل... (ديوان شعر).

______________ أ. محيي الدين عطية

٣٦- نظرات في أصول الفقه.

______________ د. أحمد محمد كنعان

٣٧- القراءات المفسرة ودورها في توجيه معاني الآيات القرآنية.

———————————— د. عبد الهادي دحاني

٣٨- شعر أبي طالب في نصرة النبي ﷺ.

———————————— د. محمد عبد الحميد سالم

٣٩- أثر اللغة في الاستنباطات الشرعية.

———————————— د. حمدي بخيت عمران

٤٠- رؤية نقدية في أزمة الأموال غير الحقيقية.

———————————— أ.د. موسى العرباني

———————————— د.ناصر يوسف

٤١- مرافىء اليقين (ديوان شعر).

———————————— الشاعر يس الفيل

٤٢- مسائل في علوم القرآن.

———————————— د. عبد الغفور مصطفى جعفر

٤٣- التأصيل الشرعي للتعامل مع غير المسلمين.

———————————— د. مصطفى بن حمزة

٤٤- في مدارج الحكة (ديوان شعر).

———————————— الشاعر وحيد الدهشان

٥٥- رسالة في الوعظ والإرشاد وطرقهما.

الشيخ محمد عبد العظيم الزُّرْقاني

٥٦- مقاصد الأحكام الفقهية.

د. وصفي عاشور أبو زيد

٥٧- الوسطية في منهج الأدب الإسلامي.

د. وليد إبراهيم القصاب

٥٨- المدخل المعرفي واللغوي للقرآن الكريم.

د. خديجة إيكر

٥٩- أحاديث الشعر والشعراء.

د. الحسين زروق

نـهـر متعــدد.. مـتـجــدد

هــذا الكتــاب

مدار هذا البحث على أمرين، الأول: عرض الأحاديث النبوية الصحيحة الخاصة بالشعر والشعراء، وبناء الدراسة والاستنتاجات عليها دون سواها، تصحيحًا لمسار خاطئ في الدراسات النقدية العربية تنهج فيه نهج حاطب الليل؛ لا تدري ماذا تجمع، وتبني أوهامًا تحسبها نتائج علمية على نصوص ولمّا تُحَل معضلتُها، فإذا بنتائج الدراسة أوهن من بيت العنكبوت.

والأمر الآخر: هو أن هذه الدراسة سترتاد أفقًا أكثر رحابة أغفلته معظم دراساتنا المتخصصة لاقتصارها على مجال الأدب والنقد في حدودهما الضيقة، وهذا الأفق هو موقع تلك النصوص من تصور الإسلام لبناء الحضارة...



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية
إدارة الثقافة الإسلامية
www.islam.gov.kw/thaqafa